لا غالب إلا الله

محمد بنشريفة

تاريخ الأمثال والأزجال
في الأندلس والمغرب

بحوث ونصوص

الجزء الخامس

منشورات



وزارة الثقافة





تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب

بحوث ونصوص

محمد بنشريفة
عضو أكاديمية المملكة المغربية
والمجامع العربية









تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب (الجزء الخامس)
الإيداع القانوني : 2006/0249
ردمــك : 9954-0-5051-5
سحــب : مطبعة دار المناهل - 2006





أزجال وأحداث

II





زجل الزلاقة

لابن قزمان





تصويبات ومستدركات

- وقع خلل وتفاوت بسيط في أرقام الأمثال ولكن التهدي إلى معرفة ذلك سهل.

- وقع أحيانا خلل في وضع أرقام بعض الحواشي في غير محلها ولكن معرفتها ممكنة. انظر على سبيل المثال ج 1 ص 433.

- سقطت بعض الحروف والعلامات في كتابة بعض الأسماء العربية بالحروف اللاتينية وملاحظتها ظاهرة. انظر ج 4 : 176، 178، 183 على سبيل المثال.

- يضاف إلى ما قيل في شرح المثل الوارد في الحجاج (2: 112) قول الشاعر عبد العزيز الملزوزي:

أتظن أن الحاج يعمل صالحا   لا بارك الرحمن في الحجاج

- يضاف إلى شرح المثل رقم 354 عند الزجالي (2: 181) ما يلي :

ولبعض الشعراء في قوادة:

تجمع بالحيلة أوساطنا   كأنها مسمار مقراض

ويزاد في آخر شرح المثل رقم 334 ج 2 ص 178 ما يلي:

ويقرب من هذا قولهم: كل مأخوذ متروك. وقد ورد في شعر لأبي العاصي غالب بن أمية (ق. 4 هـ) قال في رثاء القصر الأموي بقرطبة: (التكملة).

يا قصر كم قد حويت من ملك   دارت عليـه دوائر الفلك
يا قصر من قد حويت من نعم   عادت لقىً في عوارض السكك
ابـن مـا شئت جل متخذ   يعـود يومـا بحـال مترَك.





– يضاف إلى شرح المثل رقم 536 عند الزجالي (2: 214) ما يلي:

"فانتدب لهذا الشأن نصراني ماكر أشقر أزرق أنحس تقضي الفراسة أنه جامع للشر" الروض المعطار "مادة حصن الكرس"

– يضاف إلى شرح المثل رقم 580 عند الزجالي (2: 22) ما يلي:

ومثله بيت ورد في أساس البلاغة:

لا يمدّن إلى سرّي يداً وإلى ما شاء مني فليمُد

والسرّ : الفرج

- في 4 ص 148 س 1 وص 14: الصواب : الراوية.

- وفي ص 356 ص 6: الصواب: لما التاح النهار؟ أي لما لاح وبدا وظهر. وفي س 16: الصواب: ما دايم، أي لا يدوم.

- يزاد في آخر شرح المثل رقم 286 ج 4 ما يلي: "وفي إحكام صنعة الكلام (ق. 6 هـ) ورد البيت التالي:

- فجلبنا بزنا نحوه وغلاء السعر جلاب

– أوردت في ج 4 ص 235 خبر المصاحف التي كتبها السلطان أبو الحسن ووجهها إلى الحرمين والقدس الشريف وقد نشرت وزارة الأوقاف في المغرب بالتصوير جزأين من مصحف القدس.

- يضاف إلى ما كتب حول مدينة البنيه في ج 4، ص 151 س 4 ما يلي:

- ورجع (يعني السلطان يعقوب بن عبد الحق) إلى الجزيرة من غزاته ونظر في اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدوة لتزول عسكره منتبذا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العساكر وجفائهم وتخير لها مكانا لصق



الجزيرة فأوعز ببناء المدينة جوارها المشهورة بالبنية وجعل ذلك لنظر من وثق به" العبر 7: 399.

- وفي ص 374 ج 4 سقط بعد السطر الأخير ما يلي: "فورم وهلك لليال قريبة عفا الله عنه لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين، وبعث أولياؤه بالخبر إلى ابنه بمعسكره".

- وفي ص 355 منه س 9: الصواب : كيف أن. وفي آخر س 16: الصواب : ولكن.

- وفي ج 5 ص 113 يضاف إلى شرح البيتين الثاني والثالث ما يلي:

- وقريب من هذا قول البحتري:

والليل في لون الغراب كأنه   هو في حلوكته وإن لم ينعب
حتى تبدي الفجر من جنباته   كالماء ينبع من خلال الطحلب

وقول بعضهم:

وناضر مقلة فيها بياض   يدافع حقه أبداً بشك
رآه الصيرفي فقال هذا   عيار من لجين في محكّ

- وفي ص 356 س 5: الصواب : فيه.

- وفي ص 13 ج 5 س 16 يزاد بعد كلمة المعركة ما يلي: الكبرى التي. وفي ص 382 س 16 يقرأ ما يلي: يمثل ضربا من الزمالة الأكاديمية ونموذجا.

- لم استقص كل ما قيل في أبي الحسن المريني فما فاتني على سبيل المثال رسالة ابن الجياب في العزاء بالسلطان أبي الحسن.





- ومما يتعلق بأبي الحسن أيضا ما يلي:

"وحكي أن السلطان أبا الحسن المريني سبّ عبد المهيمن الحضرمي بمجلس كتابه. فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره وقال: هذا هو الجامع بيني وبينك. ثم إن السلطان أبا الحسن ندم وأفضل عليه وخجل ممّا صدر منه وأحسن إليه".

نفح الطيب 5 : 468.

"وحكي أن القاضي المليلي وأبا محمد عبد المهيمن الحضرمي صاحب العلامة للسلطان أبي الحسن حضرا مجلس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرازق فقال المليلي: جمع من الفنون كذا حتى وضع يده علي أبي محمد عبد المهيمن وقال مخاطبا السلطان: ويكتب لك أحسن من ذا. فوضع عبد المهيمن يده على المليلي وقال: نعم يا مولاي ويقضي لك أحسن من ذا". المصدر نفسه.

- فاتني أن أشير إلى أن مجونية ابن الأزرق في أطعمة أهل الأندلس ترجمت إلى الإسبانية.

- بعد طبع هذا العمل ظهر بحث حول قصيدة البونبة للباحث الجزائري محمد مواق.

- وأنبه في الأخير إلى ما يمكن أن يكون قد وقع من خطأ فاتني تصحيحه.





ابن قزمان هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان القرطبي[1] عاش في عصر المرابطين، وله أزجال في مدح بعض أمرائهم[2] ورجال دولتهم[3]، وصفه ابن سعيد بأنه إمام الزجالين على الإطلاق[4]، وقال إنه رأى أزجاله المدونة ببغداد أكثر مما رآها بحواضر المغرب[5] ولعلنا نجد مصداق هذا القول في كون النسخة الوحيدة من ديوان ابن قزمان كتبت في مدينة صفَد بفلسطين في القرن السابع[6] الهجري.

ذكر الحجاري أن ابن قزمان «كان في أول شأنه مشتغلا بالنظم المعرب فرأى نفسه تقصر عن شعراء عصره كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لا يمازجه فيها أحد منهم فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس»[7].

ونص ابن سعيد على أن الأزجال قيلت قبل ابن قزمان ولكن لم تظهر حلاها ولا انسبكت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه[8].

ويبدو أن البيئة الأدبية الجديدة في عصر المرابطين كانت من أسباب ازدهار فن الزجل فقد كان عدد من أمراء المرابطين وولاتهم وقضاتهم

1ـ ترجم له من القدماء كابن سعيد في المغرب وابن الأبار في تحفة القادم وابن الخطيب في الإحاطة والصفدي في الوافي بالوفيات وكتبت فيه دراسات عديدة وأطروحات معظمها بلغات أجنبية ونشر ديوانه أول مرة بالتصوير في برلين سنة 1896 ثم ظهر مطبوعا بحروف لاتينية بعناية نيكل سنة 1933 وطبعه بنفس الطريقة مع تقديم وتعليق إميليو غرسية غومس سنة 1972 ونشره بعد ذلك كورينتي في طبعتين إحداهما بمدريد سنة 1980 والأخرى بالقاهرة سنة 1995.

2ـ مثل علي بن يوسف بن تاشفين وولده تاشفين والزبير بن عمر اللمتوني.

3ـ مثل بني حمدين والقاضي ابن الحاج والقاضي ابن أضحي وغيرهم.

4ـ المقتطف : 263

5ـ نفح الطيب 7 : 15

6ـ هي التي نشرها بالتصوير جونزبورج

7ـ المغرب 1 : 100.

8ـ المقتطف : 263.





يستطرفون الزجل ويتجاوبون معه بعكس ما كان عليه الحال لدى ملوك الطوائف الذين كانوا من حماة الشعر الفصيح. ولعل ألفاظ الزجل ومعانيه ومواضيعه المستمدة من الحياة اليومية أكسبته حيوية وجاذبية وأعطته قبولاً وقربا من عامة الأندلسيين وخاصتهم أيضا ومن الملاحظ أن جل ممدوحي ابن قزمان هم من القضاة والفقهاء الذين كانت أمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم فعظم أمرهم وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم[1].

إن ديوان ابن قزمان يقدم صورة حية لحياته وعصره ففيه أصداء الحياة اليومية كما كانت تتردّدُ في البيوت والشوارع والأسواق وهو يعبر عن هموم العيش كالمسكن والطعام واللّباس ومتطلبات المناسبات مثل كبش الأضحية وكسوة العيد وغير ذلك[2] ويعتبر هذا الديوان وثيقة قيمة جدا للعامية الأندلسية في وقته ؛ وقد عني بدراسته عدد كبير من المستشرقين وغيرهم وكان لي نصيب في الكشف عما اشتمل عليه من أمثال عامية[3].

وبدا لنا الآن أن نفتتح هذا القسم الثاني من الأزجال بزجل من أزجال هذا الزجال الكبير وهو الذي سماه الأستاذ إميليو غرسية غومس زجل الزلاقة. وقد اخترناه لعلاقته بالمحور العام لأزجال هذا المجموع التي يدور معظمها حول الأحداث والوقائع؛ ومعركة الزلاقة التي عرض لها ابن قزمان في هذا الزجل تحدث عنها بتفصيل عدد من المؤرخين وخصها الباحث المستعرب الفرنسي Vincent Lagarder بكتاب شامل سماه : Le Vendredi de Zallaque أي جمعة الزلاقة، ويقصد اليوم الذي وقعت فيه

1ـ المعجب : 17

2ـ انظر الفصل الواسع الذي خصصه أستاذنا المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهواني في كتابه الرائد : الزجل في الأندلس.

3ـ نوه بذلك صديقنا العالم اللغوي الكبير الأستاذ ف. كورينت في مقدمة تحقيقه للطبعة المصرية من الديوان ص : 7 وفي خلال صفحات هذه الطبعة.



وهو يوم الجمعة (أو يوم العَروبة) 15 رجب سنة 479هـ/1086م. وقد سبق أن قال في هذه الواقعة عدد من أهل الشعر الفصيح كابن وهبون وابن عباد وابن حمديس وغيرهم، يقول ابن وهبون في مدح يوسف بن تاشفين حليف المعتمد وبطل الزّلاّقة :

فثَار إلى الطّعان حليفُ صدقٍ تثُور به الحفيظةُ والذمّامُ
نُمي في حِميرٍ ونَمَتْكَ لخمٌ وتلكَ وشائجٌ فيها الْتحامُ
فيوسفُ يوسفٌ إذْ أنْتَ مِنْهُ كيامنَ لا وهَى لكما نِظامُ
نهجْتَ لسَيْلهِ نَهْجاً فوافَى وفي آذيّه الطامّى عُرام
فَهيلَ بهِ كثيبُ الكفر هيْلاً وكلّ رفيغَة منهُ رُكام
وصاروا فوق ظهر الأرض أرضاً كأَنَّ وِهادَهَا منهمْ أكَامُ
عديدٌ لا يشارفُه حسابٌ ولا يحوي جماعتَه زمامُ
تألّفت الوحوش عليه شتى فما نقصَ الشرابُ ولا الطّعام

ويقول في الأدفونش الذي فر لما رأى جيشه قد أبيد عن آخره :

فأين العُجْبُ يا أدفونشُ هلاّ تجنّبتَ المَشيخَةَ يا غُلامُ
ستسْألك النساء ولا رجالٌ فتخبرُ ما وراءَك يا عصامُ
أقمتَ لدى الْوغى سوقاً فَخذْها مناجزةً، وَهُونٌ ما تُسامُ
فإن شئتَ اللُّجَيْنَ فثمّ سامٌ وإن شئتَ النُّضارَ فثَمّ حام
رأيتَ الضّربَ تصْليباً فصلِّبْ فُأنتَ على صليبك لا تُلامُ





ويقول ساخرا من فراره ليلا :

سَيَعْبُدُ بعدَها الظَّلماء لَمّا أُتيح لهُ بجانبها اكتِتامُ
نَضا أدراعَه واجتابَ ليلاً يَوَدُّ لَو أنّ طولَ اللَّيل عامُ
ولاَ ينفكُّ كالخُفّاش يُغْضي إذا مالم يباشره الظَّلام[1]

والمعتمد بن عباد الذي وقف في الزلاقة موقف الأبطال له قصيدة يذكر فيها يوم الزلاقة ويشيد بثبات يوسف بن تاشفين فيه منها :

وَيَوْمَ الْعروبَة ذُدْتَ الْعِدا نصرتَ الهُدى وأبيتَ الْفِرارا
ثبَتَّ هناكَ وإنّ الْقلوبَ بين الضّلوع لَتَأْبَى الْقَرارا
ولوْلاكَ يا يوسُفُ المتّقي رأينا الْجزيرةَ لِلْكُفْرِ دارا

ومما جاء في آخرها :

ستلْقى فِعالَكَ يوْمَ الْحِسابِ تُنْشَرُ بِالمِسكِ منكَ انتشارا
وللشُّهداء ثَناءٌ عليْكَ بِحُسْنِ مَقامكَ ذاك النَّهارا[2]

وممن ذكر الزلاقة في شعره ابن حمديس الذي يقول من قصيدة طويلة :

ومعتركٍ تَلَقّى الفُنْشُ فيه غريماً مهلكاً نَفْسَ الغَرِيم
تستّرَ بالظَّلام وفرَّ خوفاً يَروعٍ شقَّ سامِعَتَيْ ظَليم
وذاقَ بيوسفٍ ذي البأس بؤساً فَمَرَّرَ عِنْدَهُ حُلْوَ النَّعيم
وقد نَهَشَتْهُ حيّاتُ العَوالي سَلَوا ليلَ السَّليم عن السَّليم[3]

1- الدخيرة 2/1س : 247 - 248 ونضا أذراعه : خلع دروعه.
2- خريده القصر
3- ديوانه : 335 - 438 تحقيق د. إحسان عباس. والسليم : اللديغ وفي المثل : بات بليلة سليم.





ويبدو أن الزجالين الذين كانوا في تلك الحقبة نظموا أزجالا في هذه الواقعة ولكن لم يصل إلينا منها إلا زجل ابن قزمان وأبيات من زجل نظن أنه قيل في الزلاقة لمن اسمه أبو الحسن على بن محمد الشاطبي، وقد حفظ لنا صفي الدين الحلي في كتابه العاطل الحالي مطلع الزجل وأبياتا منه نسوقها حسب ترتيب ورودها في صفحات الكتاب المذكور، جاء في ص : 29 : «وكقول أبي الحسن علي بن محمد الشاطبي في مطلع زجل :

المسرّاتْ كثيره والأفراحْ   اهنْا نَحْتَجْ نصرّف الْأمدْاح

وجاء في ص : 34 : وكقول أبي الحسن الشاطبي في الزجل الذي تقدم ذكر مطلعه يصف حال العدو يوم الغزاة :

ورَجاعتْ علَيّهْ جُنودُ وبَالْ   ومال النَّحْس ماعُو كِفْ مَا مالْ

لَمْ تُنَجّيهْ وَصيـة القَرْدِنـالْ   وَلَ فادتْ نصيحة النّصّاحْ

وقردنال هي cardinal وجاء في ص : 41 : وكقول علي بن محمد الشاطبي في الزجل نفسه يصف الغزاة :

لَمَّا انضمّت الصفُّوفْ للصّفوفْ   ضَمُّ إعْجابو والْقَدْرْ للْوقوفْ

وكِيَّزْعَم بأنْ يراك مَعْسوفْ   ومع الشَّمْس لِسْ يضي مصْباحْ

وجاء في ص : 52 : وكقول أبي الحسن علي بن محمد الشاطبي في أقفال من الزجل نفسه :

جَنّا صارَتْ بلادَك الأنَدلوسْ   ووُجوه أَهْلها بَحال الشمُّوسْ

لس شيْ ما يشتكون ما عاشو بوس   قد عطاهم من الخطوب السّراحْ





وجاء في ص : 77 وللأستاذ أبي الحسن علي بن محمد الشاطبي في الزجل المتقدم ذكره يقول في بيت في وصف الغزاة :

أَي مَقَام كان أُقِلْ ذاك المَقَامْ   رَوا فِهِ الرّوم عجائباً لا تُرامْ

سيوفا تبري العظام العظام   وخيولاً لا تُباريها الأرياحْ

- وفي وصف ص : 79 ـ 80 «ووجدت من ذلك للأستاذ أبي الحسن الشاطبي في أغصان بيت من هذا الزجل يقول في صفة الحرب :

كُلما رَاَ السيُوف إليه تَنْجَبَذْ   صاحْ ويشكو وثم لَمْ يَرْتَعَدْ

يَنْبَح الكَلْب إذا يرى للأسد   والأَسَدْ لس يهزّو ذاك النّباحْ

أما أبو الحسن هذا فلا يوجد له ذكر في غير كتاب العاطل الحالي ولا يعرف له غير هذا الزجل، وفي المترجمين الأندلسيين من أهل ذلك العصر من إسمهم أبو الحسن علي بن محمد الشاطبي ولكن لا ينسب إليهم شيء من هذا القبيل وأقربهم في نظرنا هو أبو الحسن علي بن محمد الشاطبي نزيل فاس الملقب بالطشتلير.

وثمة تشابه بين هذا الزجل ـ على نقصانه ـ وزجل ابن قزمان الآتي، يقول الشاطبي :

أي مقام كان أقل لي ذاك المَقَامْ   رَوا فيه الروم عجائبا لا ترامْ

ويقول ابن قزمان :

أي نهار كان حشد إليه الورى   وجرى للنصارى فيه ما جرَى

ويقول الشاطبي في وصف حال ألفونسو :



ورجاعت عليه جنود وبال　　ومال النحس ماع كف ما مالَ

لم تنجيه وصية القـردنـال　　ولا فادت نصيحة النصاح

ويقول ابن قزمان فيه كذلك :

صارت المحنه ماع أيما صار　　ومشى بينهم وهو قد حار

فخـرج من غدير إلى تيـار　　ومشى من فلوك إلى زمهرير

ويلتقي الزجلان أخيرا في وصف حال الأندلس بعد الزلاقة ففي زجل الشاطبي :

جنه صارت بلاد الأندلوس　　ووجوه اهلها بحال الشُّموس

لس شي ما يشتكو ما عاشو بوس　　قد عطاهم من الخطوب السراح

وفي زجل ابن قزمان :

لم تكون الــجزيـرَ مسكونـه　　إلا باللـه وسعـد لمتونــه

عِشْ كثيرْ لا تعبْ ولا مونه　　هذا هو الصفا بلا تكـديـر

صنع الله للكل صنعاً جميـل　　ولطيب الحيا وجدنا سبيل

فنحن في نعمه وظِلا ظليـل　　كل شكراً طويل عليه قصيرْ

وأما زجل الزّلاقة ـ كما سماه غ. غرسث ـ فقد قاله ابن قزمان في ذكرى هذه المعركة ا[illegible] الّتي وقعت قبل أن يولد، وجاء تذكره إياهَا في سياق مدح أَمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين واستقباله ـ فيما يبدو ـ أبا جعفر ابن حمدين لتوليته قضاء قرطبة ويشتمل هذا الزجل





الذي هو من أطول أزجال ابن قزمان على مدح علي بن يوسف تاشفين ومدح والده وذكرِ معركة الزلاقة ومدح أبي جعفر ابن حمدين وذكر ولائه لأمير المسلمين وأهليته للثقة التي وضعت فيه مع الإشارة إلى خصومه وينتهي الزجل بالترحم على أخيه أبي القاسم أحمد ابن حمدين، ومن الواضح أن ثناء ابن قزمان على أبي جعفر ابن حمدين وترحمه على أخيه ومدحه لبني حمدين عامة كان بسبب كرمهم وحسن تصرفهم كما أن صورة المرابطين في هذا الزجل هِي الصورة المنصفة التي نجدها عند عدد من المؤرخين وأما وصف الزلاقة فهو من وحي الذاكرة الشعبية والمرويات المتداولة بين الناس، يومئذ.

هذا بإيجاز بعض ما يتعلق بموضوع هذا الزجل وأما ما يخص الشكل فإنه - حسب كورينتي - مشطر ساذج عروضه من الخفيف المحذوف التفعيلة الثالثة (فاعلات مستفعلن فاعلن) وأما غ. غومث فإنه يذهب فيه وفي غيره إلى نفي علاقته بعروض الخليل وفيما يلي نصُّ الزجل :



لا غالب إلا الله

مِثْلَ ابْن تَاشْفِين[1] يُقَال لَهُ أَمِيرْ

وَالخِلاَفَة مِنْ بَعْدُ عَادَتْ تِصِير

1. بَارَكَ أُللَّهْ فِي (أَهْل)[2] ذَا الأَيَّامْ

تِجِي أَعْوَامْ إِذَا مَضَتْ أَعْوَامْ

وَجَعَلْهُمْ سَلاَطِنَ الإِسْلاَمْ

وَنَصَرْهُمْ كَمَا هُوَ نِعْمَ النَّصِير

2. يَعْجَبُونِي بِالحَقِّ شَيًّا عَجِيبْ

وَثَنَاهُمْ فِي فُمْ كُلِّ خَطِيبْ

وَأَنَا يَدَّ[3] فِى المَوَدَّة رَغِيبْ

وَنِحبَّ أُلَّذِي نِحِبُّ كَثِيرْ

3. ذَا هُوْ سُلْطَانْ كَمَا يُقَالْ سُلْطَانْ

أَنُّ يَحْكُمْ بِالسُّنَّ وَالقُرْآنْ

وَذَكَا لَسْ نَفَّسْ عَلَيْهْ شَيْطَانْ[4]

يَنْتَلَفْ عِنْدُهْ الذَّكَا وَيَحِيرْ

1. المقصود به أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين.
2. زيادة في طبعة كورينتي والمقصود بهم المرابطون وفي طبعة غومس : في هذا.
3. يد : أيضا
4. أي ذكاء لا يخطر ببال الشيطان أو لا ينافسه فيه، وقد تكون : لس يقس عليه أي لا يقاس عليه.



4. صَاحِبَ الْعِدْوَهْ صَاحِبَ الأَنْدَلُس[1]
لاَ يَجَّبَّرْ وَلاَ هُوَّ وَجْهُهْ عَبُوس
تَسْتَغِيثْ بِهْ وَتَجْذِبَ الْبُرْنُسْ
وفَرَّ الوَاسِطَهْ وَدَعَ أَلسَّفِير[2]

5. ثُمَّ فِيهْ مِنْ فِطَنْ وَصِدْقْ ظُنُونْ
أَنَّ يُقُولُ لَّكْ يكُونْ كذَاَ ويكُونْ
وكَلاَمُهْ رَطَبْ بِحَالَ الْقُطُونْ
بِمَعَانِي مِثْلَ الْحَدِيد الذَّكِير[3]

6. يَاوَلَدْ الأَمِيرْ (أَبُو) يَعْقُوبْ[4]
حَبَّكَ اللَّهْ فَمَنُّ أَتْ[5] مَحْبُوبْ
كَمْ ذَا تَعْفُو إِذَا عَمِل لَّكْ ذُنُوبْ
وَأَتَّ لاَشَكْ عَلَى الْعُقُوبَهْ قَدِيرْ!

7. مَا فِي عِلْمِي وَمَا سَمَعْتُهْ نُقُولْ
نَدْرِي أَنَّكْ نَصَرْتَ دِينَ الرَّسُولْ
وَرَبطْتَّهْ وكَانْ بَعدْ مَحْلُولْ
حتَّى لَسْ كَانْ بقَى لُ غَيْرْ يَسِير[6]

---

1. العدوة : ضفة الوادي أو البحر وأطلقها الأندلسيون على المغرب. وصاحب العدوتين أو صاحب البرين لقب ملوك المغرب في عهدي المرابطين والموحدين.
2. هذه قراءة كورينتي، وهي قراءة جيدة. وفي المخطوطة رداع الشفير والمعنى أن أمير المسلمين كان سهل الحجاب يصل إليه الناس بدون واسطة.
3. الحديد الذكير أو حديد ذكير هو الذي يسمى هند acier
4. كنية أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
5. أي فمنه أنت.
6. يعني أن المرابدلين تداركوا الإسلام في الأندلس بعد أن انحلّت عروته وكان على وشك الضياع.





8. رَجّعَ اللَّهْ مَنْ جَاهَدَ الكُفَّار[1]
وَ الكَوَاكِبْ عَرَضْ لَهُمْ بِالنَّهَار[2]
بِعَسْكَراً جَرَّارْ وَرَا جَرَّارْ
وَسُيُوفاً تَقْطَعْ وَرُوساً تِطِير

9. أَيْ نَهَارْكَانْ حُشِدْ إِلَيه الْوَرَى
وَجَرَى لَلنَّصَارَى فِيهْ مَا جَرَى[3]
فِيِ خُصَى وَلْدي[4] كُنْتَ أَنَا لَمْ نَرَى
إِنَّمَا أَخْبَرْنِي بِالقِصَّهْ خَبِير

10. أَيْ خُمَاراً لَّطِيفْ وَلَعْباً خَبِيثْ
أَلقِتَالْ سَاكِتْ وَالْحَدِيدْ يَسْتَغِيثْ
لاتَكَرَّرْ عَلَيَّ هَذَا الْحَدِيثْ
فَأَنِّيْ ذَا اللَّيْلَهْ كَنْبُولْ فِى السَّرِير[5]

11. صَبَاحَ الجُمُعَهْ قَامُواْ وَقْتَ اُلصَّبَاح[6]
جَمَعُوا فِيهْ بَيْنَ اللَّحْمْ وَالرِّمَاحْ
بَكَّرَ الْمَوْتْ إِلَيَ ذِيكَ الأَرْوَاحْ
عَلَيَ أَنَّهُ فِي كُلٍ وَقْتِ بَكِير

1ـ يقول في ممدوحه إن الله رَدَّ إلينا في شخصك والدك الذي جاهد الكفار في وقعة الزَّلاقة.
2ـ هذا مثل أصله عند الميداني : رأى الكواكب ظهراً. يضرب عند اشتداد الأمر. وهو شائع في البلاد العربية. أنظر ابن شنب رقم 1967 وابن سودة : 243 و291.
3ـ أي ياله من نهار، ويقصد به يوم معركة الزَّلاقة، وهو يوم الجمعة 15 رجب سنة 479هـ 1086م. وقدوصف المؤرخون ما جرى للنصارى في الزلاقة بتفصيل. انظر (وفيات الأعيان) و (الروض المعطار).
4ـ ولْدي : والدي أي أنه لم يكن ولد بعد في وقت الزلاقة ولذلك فهو لم يشهدها وإنما ينقل خبرها عن عارف بها.
5ـ هَذا من أسلوب ابن قزمان الهزلي وأدائه العامي والمقصود أن أخبار الزلاقة فيها هول ورعب وفزع.
6ـ أخذ ابن قزمان يسرد وقائع الزلاقة، وذكر المؤرخون أنه كان هناك اتفاق على أن تكون المناجزة يوم السبت لأن يوم الجمعة يوم عيد المسلمين ولكن الادفونش Al Fonso VI غدر ومكر فبكر إلى القتال يوم الجمعة. وقوله : ذلك الأرواح أي تلك الأرواح.



12. وَرَأَيْتُهْ بِالرَّأْيِ وَاللَّمْطِي[1]
يَجْرِي مِن مَّشْرَفِي إِلَى خَطِّي
أَشْ يُطْلَبْ من الطَّعْنِ يَعْطِي
لَسْ يقِيلْ شَفْرَتُهْ وَلاَ يَسْتَدِير[2]

13. وَتَرَى عِلْجاً قَدْ طَعْنِ لاغَيْرْ
رُوحْ يَخْرُجْ[3] لَسْ ثَمَّ إِلاَّ خَيْرْ
وَهُوَ هَابِطْ عَلَى ضَنَاوَةْ[4] سَيْرْ
لَجَهَنَّم مَضَى وَبِيس الْمَصِير

14. حَبَّذَا النَّفْسِ فَى اللَّيَانْ حَبَّدْ[5]،
طَالِبَ الشَّرِّ مَعْنَا شَرُّ وَجَدْ[6]
نَرَى الإِسْلاَمْ[7] هُبُوطْ أَسَدْ فِي أَسَدْ
وَالنَّصَارَى خَنْزِيرْ وَرَا خَنْزِير

15. صَارَتَ المِحْنَهْ مَاعُ أَيْمَا صَارْ
وَمَشَى بَيْنَهُم وَهُوَ قَدْ حَارْ

1- هكذا في طبعة كورينت وفي طبعة غ. غومث : ورأيته (بين) الرايات واللمطي واللمطى : قال بعضهم : إنها نسبة إلى لمطة وهي بلدة في السوس الأقصى فيها كانت تصنع الدرق اللمطية، وقال آخرون أنها نسبة إلى اللمط وهو حيوان من جلده تتخذ الدرق اللمطية ومشرفي : سيف منسوب إلى بلد يدعى مشارف وخطي : رمح منسوب إلى بلد اسمه الخط.

2- هكذا في طبعة كورينت وفي طبعة غ. غومث : لس تقل شهو تو ولا يستدير.

3- هكذا في طبعة كورينت وفي طبعة غ.غ : تخرج وقال كورينت إن الروح في اللهجة الأندلسية مذكرة. قلت : هي في اللهجة المغربية مؤنثة يقال : خرجت روحو، طلعت روحو.

4- في الأصل : طناوة. وقرأها كورينت ضناوة، وعند غ. غومس طيارة.

5- في الأصل : جيد النفس فاللبان جبذ. وتصرف غ.غ. فكتبها كما يلي : من حير النفس بالحيار حتد. أما الموجود هنا فهو قراءة كورينت.

6- كأنه مثل وهو من طلب شراً وجده.

7- لإسلام : المسلمون.





فَخَرَجْ مِنْ غَدِيرْ إِلَى تَيَّارْ
وَمَضَى مِنْ فَلُوكْ[1] إِلَى زَمْهَرِيرْ

16. لَمْ تَكُونِ الْجَزِيرْ[2] مَسْكُونَهْ
إِلاَّ بِاللَّهْ وَسَعْدِ لَمْتُونَهْ[3]
عِشْ كَثِيرْ لاَ تَعَبْ وَلاَ مُونَهْ
هَذَا هُوَ الصَّفَا بِلاَ تَكْدِيرْ

17. صَنَعَ اللَّهُ لِلْكُلِّ صَنْعًا جَمِيلْ
وَلَطِيبِ الْحَيَا وَجَدْنَا سَبِيلْ
فَنَحْنُ فِي نِعْمَهْ وَظِلاًّ ظَلِيلْ
كُلِّ شُكْراً طَوِيلْ عَلَيْهِ قَصِيرْ

18. دَوْلَ هِي مِنْ ذَهَبْ بِفَخْرُهْ بَنَى[4]
وَبَاعَ الْمَالْ وَاشْتَرَى الثَّنَا
وَيَحِبُّوكَ الأَنْدَلُوسْ[5] وَأَنَا
مَا أَظُنَّ أَنْ يِّخِيبْ فِيكْ التَّقْدِيرْ

19. أَلَّذِي حُبُّهْ فِيكْ أَشَدْ وَأَشَدْ
نَعَمْ نَعَمْ أَتَمَّ أَطَمْ مِنْ كُلِّ أَحَدْ

1ـ عند غ.غ. : شلوك.. والزجال يتحدث عن الادفونش وكيف ضاقت به السبل.
2ـ الجزير : الجزيرة أي الأندلس.
3ـ لمتونة : إحدى قبائل صنهاجه ومنها يوسف بن تاشفين وقومه. ويصف ابن قزمان في هذا والذي بعده كيف أصبحت الأندلس تنعم بالأمن والرخاء بعد دخول المرابطين.
4ـ في المخطوط : درل فخر بنا. وقرأها غ.غ. :داراً لو هي من ذهب فخر بنى. وقد اعتمدت ما عند كورينتي. والمعنى أن الممدوح بنى دولته بالإنفاق، وفيه إشارة إلى الذهب الذي دخل مع المرابطين ومنه سكت العملة المسماة Maravedi
5ـ الاندلوس : أي أهل الاندلس.





هُوَ ابنَ حَمْدِين الحُلُو كَالشُّهَدْ
أَلشَّرِيف اَلْكَبِيرْ أَبَنْ أَلْكَبِير[1]

20. أَلَّذِي هُو عَلَى اَلْمَكَارِمْ حَرِيصْ
وِيرَى غَالِي اَلْمَدَايِحْ رَخِيصْ
فَلَوَ أَنَّ الكِرَامْ[2] يَكُونُوا قَمِيصْ
كَانْ هُمْ عَاتِقْ وَكَانْ هُوَ أَلتَّدْوِير[3]

21. مَاءُ غُرَّهْ يَعْشَقَهَا بَدْرَ التَّمَامْ
وَأَصَابِعْ يِسِيرُواْ بِيهَا[4] اَلْغَمَامْ
وَجَلاَلَه يَمْتَدّ[5] فِيهَا الكَلاَمْ
وَفَضَايِلْ يطُولْ فِيهَا التَّفْسِير

22. ووَقَاراً يوَقَّرُهْ أَلْوِقَارْ
وَمَوَاهِبْ كَمَا جَرَتْ أَنْهَارْ
وَالشَّرَفْ[6] أَلَّذِي عَلَيْه اَلْمَدَارْ
أَلْغَنِي دُونْ ذِيك اَلْبِضَاعَهْ فَقِير

1ـ انتقل ابن قزمان إلى مدح ابن حمدين وهو من أسرة قرطبية تولى بعض أعلامها قضاء الجماعة وخدموا دولة المرابطين والممدوح هنا هو أبوجعفر حمدين الذي ولي قضاء قرطبة مرتين ثم صارت إليه رئاستها بعد المرابطين.
2ـ في المخطوط وطبعه غ.غ : الكرم يكون والمثبت هنا قراءة كورينت وهي صحيحة.
3ـ في طبعة غ.غ : كان غير عاتق وكان هو التدوير. وفي طبعة كورينت : كان هو، والصواب هم. ولعل تشبيه ابن قزمان ينظر إلى المثل العربي: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق . والتدوير من مصطلحات الخياطة.
4ـ عند غ.غ. : يسير والمعنى أنه كريم ويده مبسوطة.
5ـ يمتد : يطول
6ـ المقصود بالشرف هنا شرف الأصل أي النبل، وقد أوهمني التقارب اللفظي بين هذا البيت والمثل الأندلسي : زيتون الشرف كلما زاد وقر زاد فقر. فظننت أن الشرف في البيت هو الجهة المشهورة بالزيتون في ضواحي إشبيلية فليراجع وليصحح.



23. شَرَفَ الدَّوْلَهْ سَيِّدَ الْغِزْلَانْ
أَلَّذِي هُو شَرَفْ خَبَرْ وَعِيَانْ
وَرَجُلُ أَلرِّجَالْ وَفَخْرَ الزَّمَانْ[1]
وشباب البلد وزين العشير

24. وَلَمَّا كَانْ مُحِبّ فِيكْ وَوَدُودْ
أَنْفَرَدْ بَالْمَشْي إِلَيْكْ وَالْقُصُودْ
فَلَقَى مِنْكَ إِلَيْكْ مِنَ الْمَعْهُودْ
مِنْ مَبَرَّهْ وَمِنْ مَحَلاَّ أَثِيرْ[2]

25. وَأَخَذْتُمْ جَمِيعَ فِي أَشْيَا
مِمَّا يَصْلَحْ لِلدِّينْ وَلِلدُّنْيَا
وَتَرَوْا عَزْمًا فِيهْ (لَنَا) أَلْحَيَا[3]
مَا بَعَدْ قَدْ فُطِنْ لِذَا التَّدْبِيرْ

26. أَتَّ هُو جَعْفَرَ الَّذِي عَنْكَ يُقَالْ
وَمَا يُسْمَعْ يُرَى عَلَى كُلِّ حَالْ
وَقَدْ أَجْمَعْتَ مِنْ عُلَى وَخِصَالْ
مَا لَا يُشْبَهْ وَلَا يُجَدْ لُ نَظِيرْ[4]

1ـ في المخطوطة : رجولا رجال فخر. وعند غ.غ. : ورجو الرجال.
2ـ يبدو أن الحديث عن أمير المسلمين على بن يوسف ورحلة ابن حمدين إلى مراكش للقائه وما لقي هذا من حظوة وعناية.
3ـ وتروا : قراءة غ. غومس، وفي طبع كورينت : ورأوا، والباقي قراءته أيضا، ولا بأس به. والحيا = الحياة.
4ـ جعفر : هذا إما اختصار كنية الممدوح أبي جعفر أو تشبيه له بجعفر البرمكي وانظر ترجمة هذا الممدوح واسمه حمدين في التكملة والحلة السيراء وبغيه الملتمس والمن بالإمامة ونظم الجمان وأعمال الاعلام.





27. قَدْ سَبَقْتَ الْكِرَامْ وَأَهْلَ الْبَلَدْ
بِتَقَدُّمْ جَاوَزْتَ فِيهِ كُلَّ حَدْ
فَمَتَى مَا نَقِيسْ عُلاَكْ مَعْ أَحَدْ
فَقَدَ اقْرَنْتُ الْفِضَّ لِلْقَزْدِيرْ[1]

28. مَشَى ذِكْرَكْ عَلَى الْمَدَايِنْ وَطَاشْ
مَنْ يِقُولْ إِنَّ عِنْدْ غَيْرَكْ يُعَاشْ
فَهُوَ أَخْذَلْ فِي ذَا الكَلاَمْ مِنْ نَعَّشْ،
وَهُوَ أَكْذَبْ فِي الْحَدِيثْ مِنْ أَسِيرْ[2]

29. أَلْحَسُود الَّذِي يرَاهْ يَنْطَبَقْ،
قُلْ أَعُوذْ. نَقُولْ. بِرَبِّ الفَلَقْ
أَلنَّبِي قَالَ السِّحْرِ وَالْعَيْنْ حَقْ
كُلَّ خَيَّاطْ يْشُقِ فِي التَّدْوِيرْ[3]

30. كِيرُومْ أَنْ يْكُونْ بِحَالَكَ زَيْنْ
وَيْنَاهِضَكْ يَدَّ غَيْرْ مَرَّتَيْنْ
فِي أَذْرَعَيْهِ كِيفَجَّرَ الإِثْنَيْنْ
عَلَى شَرْطَ أَنْ يْمُوتْ مِنَ التَّفْجِيرْ[4]

---

1. عند غ.غ.: في تقدم وعند كورينت : بتقدم، وحد وردت عند غ.غ. : أحد وآخر البيت يشبه أن يكون مثلا.
2. في آخر هذا البيت مثلان هما أخذل من نعش وأكذب من أسير. أنظر الميداني 2 : 169.
3. ينطبق : يموت كمداً، وفي هذا المقطع اقتباس آية وحديث. وآخر البيت كأنه من أمثال الخياطين، وهو يشبه قولهم : في العقدة يحصل النجار. انظر على سبيل المثال ابن شنب رقم 1250.
وقد قرأه غ.غ. وكل خياط بها يشق فالتدوير. والتدوير هو تفصيل جناحي القميص وغيره وإتقانه صعب.
4. كيروم : من كان يروم، يد : أيضا، في أدرعيه : في ذراعيه.





31. زُرْتَ اَميرَكْ وَجِيتْ بِكُلّ سُرُورْ
وَبِهَ اشْيَا كَمَا تَرَى وَأُمُورْ
مَن يِّسَامَحْ وَلَمْ يكُونْ قَطْ غَيُورْ
فَلِذَا الْجِنْسْ مِنْ قَضِيّة يغِيرْ[1]

32. مَا وَعدَكْ الْعُلَى سَتَبْلُغْ إِلَيْهْ
والَّذِي زُرْتُهْ رَايْ بِيْنْ عَيْنَيْهْ
وَالْعَدُو الَّذِي بَغَى عَلَيْهْ،
لاَ غِنَى يزْمرْ أَحْلَى مِنْ ذَا الزَّمِيرْ[2]

33. بَاللّ بَاللَّهْ وَاشْ يقْلَقْ الإِنْسَانْ
لَيْتَ بعْدَ النَّايْ، (لا) يكُونْ، لاَ كَانْ!
دَعْوَ نَعْمَلْ ونَجْمَعَ الإِخْوَانْ،
ألنَّهَارْ الَّذِي يجِ(ينَا الْبَشِيرْ)[3]

34. وترَانِي فِي هَمّ وَايْ أَنْفَاسْ
نَمْشِي رَاكِبْ فِي زَحْمْ بيْنَ النَّاسْ
وفَوَايِدْ ودَارْ مِنَ الأَحْبَاسْ
ونَلَبَّسْ لَكْ الْحِيطَانْ بَالْجِيرْ[4]

1ـ هذا البيت يوضح أن ما قبله هو في الحديث عن زيارة ابن حمدين إلى مراكش للقاء أمير المسلمين، وفيه إشارة إلى غيرة جنس ابن حمدين من الفقهاء وغيرهم وحسدهم له على حظوته لدى أمير المسلمين. وكلمة الجنس وردت في المخطوطة : الجيش.

2ـ يفهم من هذا البيت أن أمير المسلمين وعد الممدوح بخطة القضاء؛ ويذكر ابن الأبار أنه ولي قضاء بلده بعد اغتيال ابن الحاج سنة 529 هـ ثم صرف بأبي القاسم ابن رشد والد الحفيد سنة 532 هـ ولما استعفى هذا أعفى وأعيد حمدين إلى القضاء. والمعنى أنه يقيم مأدبة يدعو إليها إخوانه احتفالا بتعيين الممدوح قاضياً

3ـ عند غ.غ. ياالله ياالله. وعنده أيضا : لو كان نعمل دعوا تجمع الاخوان. وآخر هذا البيت غير موجود في المخطوطة وطبعة غ.غ. وتتمته هنا من ترميم كورينت.

4ـ يعني أنه سيستفيد من ولاية الممدوح فيحصل على مركوب ودار من دور الأحباس يبيضها بالجير وعلى فوائد أخرى.





35. لَمْ نَفَكَرْ فِي ذَا الْحَدِيث الْجَدِيد
إلاَّ نَسمع بِأُذْنِي فَالاَ رشِيدْ
مِنْ «سعادِه» و«مر بعد سعِيد»
و «مُوفَّق» و«جي بعد تيسِير»[1]

36. رحمَةَ اللَّه كثِير علَى من مضَى
على ابُو القَاسِمْ الزكِّي الرضى
حاكِمَ المسلِمِين وقاضيَ القُضَا
فنهاراً فقِدْ نهاراً عسير[2]

37. كَمْ ذاْ أقَامْ من فى الجزيره مقَامْ
ووجدْنَاه عنْدَ الامُور العِظَامْ
وإذَا التَفَّ للنَوازِلْ ظَلامْ
قَامْ لُ فيه راي مِثْلَ االسِراج المُنير[3]

38. والغَريبْ فيه لمْ قطْ يكُونْ بِهْ بُوسْ
ولاَ جاَ نصرانِي إلى الأندلُوسْ،
ولا قاموا الخيْل متَاع السوسْ،
ولا كانْ فى المَرِيَّ رايَاً دبير[4]

---

1. يدل هذا على ما كان لذلك اللقاء من أثر عند الأندلسيين.
2. أبو القاسم أحمد بن محمد ابن حمدين قاضي القضاة وهو أخو أبي جعفر ابن حمدين وترجمته في الصلة لابن بشكوال ج 1ص : 81. ولابن قزمان في أبي القاسم أزجال في مدحه ورثائه منها الزجل رقم 79 والزجل رقم 83 وقد كانت وفاته سنة 521 ورثاه ابن قزمان بزجل أوله :
البكا واجب وصبرنا أنفع   إن من قد مات لم يمد لبرجع
3. نجد مصداق هذا البيت في قول ابن بشكوال في ترجمة المذكور : «وكان نافذا في أحكامه جزلا في أفعاله».
4. يعني أن العهد الذي كان فيه أبو القاسم قاضي القضاة نعمت فيه الأندلس بالأمان ولم تظهر فيه فتنة بخلاف ما ظهر بعده كدعوة المهدي بن تومرت والتفريط في مدينة المرية بسبب ما سماه ابن قزمان بالرأي الدبير وهو الرأي الفاسد والاختلاف والأنانية وكلها أدت إلى استسلام المرية للحملة الصليبية التي حاصرتها من جميع الجهات سنة 542هـ 1147م.





39. طَبْعَ الانْسَانْ كِيَخْتَبَرْ فَالْحِينْ
فكَأنُّهْ قَدْ كَانْ صَحبهُ سِنِين
مُنُذْ لَمْ تحكْمُوا بَنِي حَمْدِين
وقَعَ الْحِسِّ والذّكَا فى الْبِيرْ[1]

40. دُمْتَ مَسْرَورْ مُبَلَّغَ الْآمَالْ
وتَرَى جَاهْ وَعِزَّ فِي إقْبَالْ
مَا اسْتَحَالَ الظَّلَامْ ولاَح الْهِلاَلْ
ومَا قَلْسِنْ فقِيهْ وعممْ وَزِيرْ[2]



(1) قال ابن الأبار في التكملة : «وكان أبو الحسين بن سراج يقول ـ على ما كان بينه وبين بني حمدين من البعد والتنافس ـ : لا تزال قرطبة دار عصمة ونعمة ما ملك أزمّتها أحد من بني حمدين».
(2) قلسن : لبس القلنسوة وعمم : لبس العمامة. وقد كان رجال الأندلس وذوو الهيئات من طبقات أهل الخدمة يلبسون القلانس الطوال المرقشة إلى أن كان عبد الرحمن ولد المنصور بن أبي عامر فأمرهم بالانتقال عنها إلى العمائم وأصبح هذا ظاهرا بعد دخول المرابطين وهم أصحاب عمائم. انظر خبر التعميم في البيان المغرب لابن عذاري 3 : 48.





زجل ثلاثة أشياء لمدغليس







مدغليس لقب اشتهر به هذا الزجال، يقول صفي الدين الحلّي في كتابه العاطل الحالي : «وهذا اسم مركب من كلمتين أصله : مضع الليس، جمع ليسة وهي ليقة الداوة، وذلك أنه كان صغيرا بالمكتب يمضغ ليقته فسمي بذلك، ولسان المغاربة والمصريين يبدلون الضاد دالا فأطلق عليه هذا الإسم وعرف به وكنيته في ديوانه أبو عبدالله بن الحاج عرف بمدغليس[1]» ومما تمثل به الأندلسيون والمغاربة قولهم : مدغ الليس خداع بالبطن[2]، ونلاحظ أن كنية أبي عبد الله تطلق على من اسمه محمد ولكن ابن سعيد سماه في المُغرب بأحمد بن الحاج المعروف بمدغليس، وقد صنفه في شعراء مدينة المرية[3]، والزجال نفسه يشير إلى هذا في مطلع زجل له إذ يقول :

كـُل أحـدْ مَحْبوبُو مـاعُـو وَأنَـا لِـسْ ماعـي محبوبْ

كِفْ تضي وَدْ ياشْ في عَيْني وانـا في الْمَرِيَّه منشوب[4]

وكنت وقفت على نص ليس بين يدي الآن فيه قطعة زجلية لبعضهم يهجو فيها الأندلسيين بسرقة أزجال مدغلّيس المغربي، ومهما يكن فإنه عاش في ظل السادة الموحدين وعمالهم وهو يجيء من حيث الترتيب الزمني بعد ابن قزمان ويعتبر خليفة له فقد عاش - كما قلنا - في العصر الموحدي الأول وله أزجال في مدح بعض السادة الموحدين وعمالهم، وكان النقاد الأندلسيون يقولون:

1- العاطل الحالي : 13

2- أمثال العوام في الأندلس (الزجالي رقم 1548)

3- المغرب 2 : 214.

4- العاطل الحالي : 38.



ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت إلى المعنى ومدغليس للفظ[1]».

وقد بدأ مدغليس كابن قزمان بالشعر المعرب «ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه[2]» وكان يعارض بعض أزجال ابن قزمان كما في زجله الذي مطلعه :

لقد لقلبي حرص وإلحاح في عشق الملاح

ففي آخره يذكر مطلع زجل ابن قزمان الذي عارضه قائلا :

أهديت هذا الدر وهذا المرجان لسيد الملوك الأمير عثمان
عروض ذاك الذي لابن قزمان «الجنة لو عطيناها هي الراح
وعشق الملاح»[3]

وهذا الزجل الذي عارضه هو الذي يحمل رقم 62 في ديوان ابن قزمان. أما الأمير عثمان الممدوح في هذا الزجل فهو السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المومن الذي كان واليا على غرناطة، وترجمته في الإحاطة وأخباره في البيان المعرب وغيره.

ولمدغليس ديوان زجل يعد اليوم مفقودا وقد كان معروفا في الأندلس والمغرب ووصل إلى المشرق وكان لدى صفي الدين الحلي نسخة منه

1ـ نفح الطيب 3 : 385.
2ـ نفسه.
3ـ العاطل الحالي : 14.





واقتبس منه نماذج وأمثلة عديدة[1] وكانت أزجال مدغليس مروية بالأندلس في القرن التاسع الهجري كما يستفاد من قول الفقيه عمر الزجال المالقي في نونيته الشهيرة :

ألا فأجزني يا إمام بكل ما

رويت لمدغليس أولابن قزمان[2]

ويستفاد من النماذج التي ذكرها الحلي أن موضوعات مدغليس كموضوعات ابن قزمان تشتمل على مدائح وغزليات وخمريات ومن ممدحيه السيد أبو يحيى أخو يعقوب المنصور ووالي قرطبة[3] والسيد أبو سعيد عثمان والي غرناطة[4] والسيد أبو العباس أحمد[5] ومدح أيضا بعض عمال الموحدين وكتابهم كأبي عبد الله محمد بن صناديد[6].

وثمة شيء من الاختلاف في الطريقة بين مدغليس وابن قزمان، فقد مال مدغليس إلى النظم فيما سمي بالقصائد الزجلية، وهي قصائد تنظم

1ـ انظر فهرس العاطل الحالي : 16.
2ـ نفح الطيب 5 : 44.
3ـ العاطل الحالي : 19،17.
4ـ نفسه : 14.
5ـ نفسه : 1
6ـ نفسه : 15 ـ 16.



وفق البحور الخليلية وتلتزم بالقافية الواحدة فهي «كالقريض لاتغايره بغير اللحن واللفظ العامي[1]».

كما أنه حاكى شيئًا ما شعراء القريض كأبي تمام وغيره وذلك باستعمال بعض المحسنات البلاغية[2].

وقد علل أستاذنا المرحوم الأهواني هذا بأن مدغليس عاش في ظل السادة الموحدين الذين كانوا أكثر ثقافة ومعرفة باللغة العربية وحماية للشعروالأدب من المرابطين، ولهذا جاءت أزجال مدغليس قريبة من الشعر الفصيح[3] ولسنا ندري هل عرض في أزجاله إلى بعض الأحداث التي وقعت في العصر الموحدي الأول الذي عاش فيه ولاسيما وقعة الأرك التي أربت على وقعة الزلاقة كما قال بعضهم فقد «كانت غزوة الزلاقة مقسومة الثقل مكدرة الصفو، وجاءت هذه الواقعة هنية الموقع عامة المسرة كأكلة جائع أو شربة عاطش فأنست كل فتح بالأندلس تقدمها[4]»، وقد قال يعقوب المنصور بطل الأرْك : «الفتح أعظم من الإطناب في وصفه[5]» وأمر أن يوجز الإخبار فيه بغاية الإيجاز وأن يطوى بساط الشعر حوله[6].

1ـ العاطل الحالي : 14.
2ـ الزجل في الأندلس : 107
3ـ نفسه.
4ـ البيان المعرب ـ قسم الموحدين : 221.
5ـ نفسه.
6ـ نفسه





قال ابن عذاري : «ولم يحفظ عن الشعراء فيه مقال إلا الكاتب الأريب الشاعر المجيد أبو العباس الجراوي فإنه قال فأحسن، ولم تصل إليه[1]» ولكن هذا يخالف ما نجده عند عبد الواحد المراكشي الذي يقول : «ولما رجع من غزوته العظمى المتقدم ذكرها في سنة 591 جلس للوفود في قبة من تلك القباب مشرفة على النهر الأعظم وأذن فدخلوا عليه على طبقاتهم ومراتبهم وأنشده الشعراء فممن أنشده في ذلك اليوم صديق لي من أهل مرسية اسمه علي بن حزمون[2]» وقد أثبت عبد الواحد قصيدة ابن حزمون بتمامها كما سمعها وقرأها عليه وهي تقع في 40 بيتا من بحر الخبب :

حيتْكَ معطّرةَ النَّفَس　　نفحاتُ الفتح بأندلُس

وأورد ابن عذارى من قصيدة الجراوي المشار إليها 19 بيتا[3] وهي في بعض المصادر 33 بيتا[4] ومطلعها :

هُوَ الفتحُ أعيا وصفُهُ النظم والنثرا　　وعمّتْ جميعَ المسلمينَ بهِ البُشْرَى

---

1. البيان المعرب ـ قسم الموحدين ـ : 221.
2. المعجب : 293.
3. البيان المعرب ـ قسم الموحدين : 222.
4. مختارات يظن أنها من الحماسة البياسية.





ومعاني القصيدتين وصورهما شبيهة بمعاني وصور الشعر الذي قيل في الزلاقة، يقول الجراوي في قتلى معركة الأرك :

ألوف غدت مأهولة بهم الفلا   وأمست خلاء منهم دورهم قفرا
ودارت رحى الهيجا عليهم فأصبحوا   هشيما طحينا في مهب الصبا يذرى
يطير بأشلاء لهم كل قشعم   فما شئت من نسر غدا بطنه قبرا

ويقول ابن حزمون :

لاقيتَ جموعم فغدوا فرصاً في قبضة مفترِس
جاءوك تضيق الأرضُ بهم عدداً لم يُحصَ ولم يُقَس

وهذا كقول ابن وهبون في قتلى معركة الزلاقة :

عديد لا يشارفه حساب   ولا يحوي جماعته زمام
تألفت الوحوش عليه شتى   فما نقص الشراب ولا الطعام

ويقول الجراوى في الفونسو الثامن وفراره :

لقد أورد الأدفونش شيعته الردى   وساقهم جهلا إلى البطشة الكبرى
حكى فعل إبليس بأصحابه الألى   تبرأ منهم حين أوردهم بدرا
أطارته شدات تولى أمامها   شريدا وأنسته التعاظم والكبرا
رأى الموت للأبطال حوليه ينتقي   فطار إلى أقصى مصارعه ذعرا
وقد أورَدَتْه الموت طعنة ثائر   وإن لم يفارق من شقاوته العمْرا

ويقول ابن حزمون فيه :

نظر الملكُ الأعلى فرأَى ملكاً كالطور بنور الله كسي
فمضى لم يَلْوِ على أحدٍ ورمى بالدّرع وبالتُّرس

وهذا كقول ابن حمديس في الفونسو السادس وفراره :





ومعترك تلقى الفنش فيه غريما مهلكا نفس الغريم
تستر بالظلام وفر خوفا بروع شق سامعتي ظليم
وقد نهشته حيات العوالي سلوا ليل السليم عن السليم

ومن المعروف أن هذه المعاني توجد عند شعراء أندلسيين آخرين وهي معان طرقها الشعراء القدماء قبل هؤلاء.

ولسنا ندري هل قال مدغليس شيئا في واقعة الأرك أم لا وَمِن المعروف أن له أمداحا في السادة الموحدين إخوة يعقوب المنصور وأعمامه وله أمداح في أبي عبد الله ابن صناديد كبير أهل الأندلس وهذا هو الذي استشاره المنصور في الخطة التي تتبع في معركة الأرك وأخذ برأيه ولا شك أن مدائح مدغليس في ابن صناديد التي لم تصل إلينا تشتمل على شيء من هذا، وهو في بعض مدائحه الباقية يشيد بشجاعته وبطولته فيقول من قصيدة زجلية :

الرفيع الماجد الحر الشريف   الشجاع الفارس الليث البطل

وقد قال صفى الدين الحلي إن لمدغليس زجلا يصف فيه حال غزاة ولكنه لم يورد منه إلاّ مطلعه وهو :

أي مُصاب اتفق على الإسلام   بيض الروم وسود الأيام
مثل ذا الرزء ليس يطرا   فالقلوب من جِرَاحُو لس تبرا
وما نعجب منّو إلا كفْ اجْرا   يقدم الموت على ذاك الاقدام

ولعل هذا من زجل قيل في كارثة العقاب سنة 609 هـ ولو وصل إليا هذا الزجل لكان مناسبا للمحور العام في هذه المختارات وبما أنه مفقود فسنختار من أزجال مدغليس زجلا عنوانه : ثلاثة أشياء. وهو زجل يتغنى





فيه مدغليس بجمال الطبيعة، وهو الموضوع الذي أكثر فيه شعراء الأندلس وحاكاهم في ذلك شعراء الزجل والملحون فاستعملوا الصور المعهودة لدى شعراء الطبيعة فمن ذلك أنهم يقابلون بين بكاء الغمام وضحك الأزهار ويشبهون التواء الجداول بالتواء الثعابين والغصنين المتشابكين بالحبيبين المتعانقين ورقة النسيم بنحول العاشق إلى غير ذلك من الصور التي نجد عددا منها في هذا الزجل الذي يعتبر من أشهر أزجال مدغليس فقد ذكره ابن سعيد في المغرب وأورد بعضه صفي الدين الحلي في العاطل الحالي وأثبته ابن مبارك شاه في السفينة، ووضعنا له عنوان ثلاثة أشياء التي بدئ بها وهي أشياء تمثل ذوقا حضاريا يوجد في الأشعار العباسية والفارسية والأندلسية، ومما ينسب إلى أبي نواس قوله :

أربعة مذهبة لكلّ غم وحزن
الماء والقهوة والـ بستان والوجه الحسن

والمراد بالقهوة هنا قهوة أبي نواس لا قهوة أبي الفضل حسب عبارة شهيرة لزكي مبارك، وقد حذف غيره هذه الرابعة فأصبح العدد ثلاثة كما في هذا البيت الشائع بين الناس :

ثلاثة تجلو عن المرء الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن

وقد يختلف المعدود كما في زجل مدغليس فالثلاثة عنده هي النسيم العليل والخضرة النضرة والطير المغرد :

ثلات اشيا فالبساتين لس تجد في كل موضع
النسيم والخضر والطير شم واتْنَزّه واسمع

ويبدو أنه كان مولعا باستعمال هذا العدد فهو يقول في قصيدة زجلية





يمدح بها ابن صناديد :

وجهه البدر وأيامُ السرورْ وإيديه الرزق والسيف والأجل

لثلاث أشيا هو كفّو اليمين للعطايا والمنايا والقبل

وقد استعمل مدغليس في البيت الثاني من المطلع السابق ما يسمى عند أهل البديع باللف والنشر المرتب وهذا من مظاهر الصنعة التي عرف بها مدغليس المشبه بأبي تمام، ومن مظاهرها أيضا في هذا الزجل تشبيه الساقية بالسيف المجرد وماء الغدير عندما يهب عليه الريح بالمدرّع وقد نظر في هذا إلى الشاعر الذي يقول :

صنع الريح من الماء زرد أيّ درع لقتال لو جمد

وكذلك تشبيه الأغصان في تأودها وتمايلها بالسكران المترنح أو الراقصة الملتويّة وتشبيه شمس العشي في اصفرارها بوجه العاشق المُصْفَرِّ في لحظة الوداع، وهي كلها معان مطروقة في الشعر المعرب والشعر الملحون وإنما يكون الاختلاف في الأسلوب والصياغة وننتقل بعد هذا التقديم الموجز إلى نص الزجل.





ثلاثة أشياء

ثلاثْ أشيا فالبَساتينْ　　لس تُجَدْ في كُلٍّ مَوْضَعْ
النّسيمْ والخُضْرَ والطَّير　　شم واتْنَزَّهْ واسْمَعْ

* * *

قُمْ ترَى النسيم يولْوَلْ　　والطُّيورْ عليه تغَرّدْ
والثِّمارْ تنْثُرْ جواهِرْ　　في بساطْ من الزُّمُرّدْ
وبوَسْط[1] المَرْجْ الأخضَرْ　　ساقْيًا[2] كالسَّيْف المجَرّد
شبّهْتْ بالسّيفْ[3] لمّا　　شَفْتْ[4] الغَديرْ مُدَرَّعْ[5]

* * *

ورَذاذاً دقّ يَنْزِلْ　　وشُعاع الشمس يضْربْ
فتَرى الواحِدْ يفضّضْ　　وتَرى الآخر يذهَّبْ
والنّباتْ يشْرَبْ ويسكَرْ　　والغُصون تَرْقُصْ وتطْرَبْ
وتْريدْ تجي إلينا　　ثمَّ تَسْتحي وترجَعْ[6]

* * *

وجوار[7] بحال حور العين　　في رياضْ تشْبَهْ لِجَنّا
وعشيّة[7م] قَصيرْ　　تَنْظُرْ[8] الْخلعا تُجَنّا

---

1. في السفينة العاطل الحالي : وفي وسط.
2. في المغرب : سقي، وفي السفينة : وادٍ وفي العاطل الحالي : وادي.
3. في العاطل الحالي : للسيف.
4. في العاطل الحالي : شقت.
5. في السفينة : أي سيف نزهة للأبصار　　والغدير يمشي مدرع
6. هذا الدور من قوله : ورذاذ غير موجود في السفينة.
7. في العاطل الحالي والسفينة : وملاح.

7م في العاطل الحالي : وعشيوة.

8. في العاطل الحالي : تنظروا وفي السفينة : هي للخلاع فتنا.

لِـسْ نُرِيـدَ نفـارقـوها وَهِـيَ تَحْمَـلْ طـاقا عنّـا
وكـأنّ[1] الشّـمـس فيـهـا وجـه عاشـق إذّ يـودّع

* * *

اسْتَمِـعْ[2] أُمَّ الحُسـنْ كِـفْ تلْهِمَـكْ إلـى الْخـلاعا[3]
بْنَغَـمْ يـرُدّ الاشيـاخْ لْلُمْجُـون وللـرّقـاعـا[4]
غَرَّدتْ مِـنْ غُدْو للّيْـل ومـا كـرّرتْ صِنـاعـا[5]
يسمـع الخَلِيـع غِنـاهـا ويـحس قلـب يخلّـع[6]

* * *

والقَطِيـع[7] لَمَّـا سَمَعْهَـا تَتْغَنَّـى هُـو بَقْبْـق
قَلّـهـا[8] اسكُتْ كَمْ تصدّعْ أنَـا أطْبَـعْ مِنـكْ وأرشَـق
لَمّ زادْ فـي القـولْ عَلَيْهـا قالَـتْ لَـو بسـكْ[9] تمخْرَق
أنـا[10] نَفتِـي بَيْـن جَمِيعـوا أنْـتَ أحْلَـى وهِـي أطْبَـع

* * *

فَغَضِـبْ[11] وقـالْ نُشَبِّـهْ لمغَنّيَـاتِ الأغْصَـان[12]
وأنـا فـي الأكُـف نحبس وتْقَبِّـلْ كُـل سُلْطَـان[13]
ثُمّ نَسْقِـي كـل مُشْرِف[14] ما عُرِفْ لُو قَطْ نُقْصَـان
ولا جَـارْ علـى رَعِيّـه ولاحَـقـهـم يـضـيّـع

---

1. في العاطل الحالي والسفينة : فكأن.
2. في السفينة : واستمع ؛ وأم الحسن : طائر مغرد معروف.
3. الخلاعا = الخلاعة.
4. وللرقاعا = وللرقاعة.
5. صناعا = صناعة. وهي ما يسمى اليوم في موسيقى الآلة : صنعة وجمعها صنايع.
6. يخلع : ينخلع.
7. القطيع : قنينة طويلة العنق يكون فيها الخمر.
8. البقبقة : صوت القنينة عند إفراغها.
9. قلها = قال لها أي أن القطيع قال لأم الحسن ومدغليس يجري في الدورين الأخيرين حوارا بينهما، وتجدر إلى أن هذين الدورين لا يوجدان إلا في السفينة.
10. أطبع : أملح، وأرشق : القطيع طويل ورشيق
11. بسك تمخرق : في ألف ليلة وليلة : بسك تتهزأ بي. والمعنى. كفى مخرقة.
12. أي الزجال.
13. يعني أن القطيع لم يرض بالحكم.
14. يعني أنه رشيق القد.
15. يعني أنه يمسك في اليد ويقبل فم السلطان الذي يشرب منه.
16. المشرف : المكلف بجمع الكلف المخزنية.

ونشير بعد هذا إلى أننا نجد فيما وصل إلينا من أزجال مدغليس ضربين من الزجل : الضرب الأول هو ما يسمى بالقصائد الزجلية وهي كالقريض المعروف تنظم على البحور الخليلية ولا تختلف عن القريض إلا في عدم الإعراب واستعمال الألفاظ العامية، وقد ذكر صفي الدين الحلي الذي كان بيده ديوان مدغليس أنه يشتمل على ثلاث عشرة قصيدة على أوزان العرب في بحور المديد والرمل والخفيف والمُتقارب ومخلع البسيط وغيرها، ونمثل لها هنا بقصيدة في بحر المديد تشتمل على 28 بيتا وهي من قصائده الزجلية التي قالها في مدح أبي عبد الله ابن صناديد أحد قادة الأندلسيين في عهد الموحدين، وأولها :

مَضَى عنّي مَن نحبّو وودّعْ   ولهيب الشّوق في قَلْبي قد أوْدَعْ
لَوْ ريت كِفْ كن نشيّاعو بالعينّ   وم ندري أنْ روحي نشيّعْ
من فظاعة ذا الصّبر كُنْت نَعْجَبْ   حَتّى رَيْت أن الفراق منّو أفظَعْ
لسْ نشُك أنّو حملْ قَلْبي ماعُو   فايشْ ذا في صَدْري يضْرَبْ ويوجعْ
لا صبرْ عنّو ولانوم ولا عيش   ولا محبوبْ قَلْ لي حيله ترجعْ
كيجي الموت عندي لوجا إليا   أنا ياقوم لسْ لي في العيش مَطْمَعْ
سَعْدات هي حتَّى في الْعِشق ياقوم   قيس وغَيْلانْ ذكرهم لس يُسْمَعْ
وعلى ماتٍّ حلو فمك أَحْلَى   وعلى ماأتّ رفيع عينيك أرفَعْ
تِهْ واتدْلّل واعْمَل مُرادكْ   أنتَ أملَحْ أهْلِن الدنيا أجمعْ
وأبو عبد الله ابن صناديد   أفضل الدنيا وأسود وأرفعّ
يلتقي الأمداحْ بوجهًا مسامحْ   وملا ياسِرْ وكفّاً لا تمَنعْ

وجميع هذه القصائد الزجلية لمدغليس مفتتحة - كالقصائد التقليدية - بمقدمات غزلية وبعدها يقع التخلص إلى المديح وقد ذكرنا فيما تقدم أسماء الممدوحين.



أما النوع الثاني فهو يشبه الموشّح من حيث إنه يتألف من أغصان وأقفال، وذلك مثل زجل ثلاثة أشياء الذي أ ثبتناه آنفا ومثل الزجل التالي :

ما اسْوَدْ هُو ذا قَلْبي وما أظلمو اللـهْ يسَلْ عنّو مـن يَظْلَمـو

* * *

عَشَقْ بلا شُورى عَيْنين غْزالْ
شْهَلْ عَلَيه اجْفان بحال نبالْ
وهُو قليل الدُّرْبَه بالقتالْ
يـاربّ كُـنْ مـاعـو وسَلّمُـو

عيني الذي ولد هذي الحروبْ * وقَلْبي قد اسْعَفْ ولم يتوبْ
فداعو ذايَبْكي وذا يذوبْ أو تخْلط الاثنين وتَقْسَمُو

يَقُلِّي من نعْشَق طول النّهار ولس يقول باطِلْ ولا خُـمارْ
دراعي يوجعْني في ذا السّوار لـو أنَّ يكون أضيَق كان تَخْرَمُو

* * *

إلى مَتى يا سِتِّي ذالْمطـالْ
لِس باللّه في هذا الشُّحْ ما يُقالْ
دارك مَلا مُتْرَعْ من الْوصـالْ
وكُل مَن فدَّاك لس تَرْحَمُو

* * *





ذا كـلّ لـس تشْفَـقْ عَلَـى بَشَـرْ
مِنْ قَسْوَهُو مَحْشى ذاك الصّدَرْ
حتى نهيداتَكْ مثْل الحجَرْ
من الـذي داخِلْ اتْعَلّمُـوا

ومن هذا النوع كذلك ما ذكره ابن خلدون، فقد قال إن مدغليس كان سابق حلبته وأنه وقعت له العجائب في طريقته فمن ذلك قوله في زجله المشهور :

وَرذاذ دق[1] ينـزل وشعـاع الشمس يضـرب
فـتـرى الـواحـد يفَضَّض وتـرى الآخر يـذَهّـب
والنَّباتْ يشـرب ويسكـر والغصون ترقص وتطـرب
وتـريـد تجـي إليـنـا ثـم تستحـي وتـهـرب

ومن محاسن أزجاله :

لاحِ الضيا والنجوم حيارا فقم بنا ننزع الكسل
شُرَيْبَ[2] ممزوجا من قراعا[3] أحلى هي عندي من العسل

* * *

يامن يلمني كما تقلدْ قلدك اللهْ بما تقولْ
تَقول بأنَّ للذُّنوبْ مولِّدْ وأنّهْ يفسد العقولْ[4]
لأرض الحجازْ مُورْيكُنْ لَكْ أرشَدْ اشْ ساقَكْ مَعي لذا الفُضولْ

* * *

1ـ دق : دقيق ورقيق؛ يقال : الليمون الدق أي الدقيق الصغير.
2ـ شريت = شريبه، تصغير شربة.
3ـ قراعا : قرعة أي إناء يكون فيه شراب.
4ـ حوار بين فقيه وخليع، وفي أزجال ابن قزمان ما يشبه هذا؛ انظر الزجل رقم 148؛ وعبارة النية أبلغ من العمل مما يدور على الألسن وهي من لأحاديث المروية.



مُرّ أنت للحج والزيارا ودَعْني في الشرب منهمل
من لس لو قُدْره ولا استْطاعْ النّيه أبلغ من العمَلْ»[1]

وقد اشتهر هذا الزجل وعارضه محمد بن عبد العظيم الوادي آشي بزجل أورد منه ابن خلدون ما يلي :

حلّ المُجون يا أهل الشّطارا مُذْ حلّت الشمس بالحَمَلْ[2]
جددوا كل يوم خلاعا لا تجعلوا اسمها يُمَلّ

إليها ختخلّعوا في شنِيلْ على هي خضورةَ ذاك النّباتْ
وخل بغْدادْ وأخْبارَ النّيلْ أحْسَنْ هي عنْدي ذيك الجهاتْ
وطافيها أصلَحْ من أربعينْ ميلْ إنْ مَرتّ الرّيح عليه وجاتّ

* * *

لَمْ يلتق لِلْغبار أمَارا ولا بمِقْدار ما يَكْتَحَلْ
وكيف ولِش فيهْ موضع رقاعا إلاّ ويسْرَحْ فيه النّحَلْ

1. له ترجمة في الاحاطة 3 : 88 والكتيبة الكامنة : 99.
2. عند حلول الشمس بالحمل يكون اعتدال الليل والنهار وذلك أفضل فصول السنة. قال أبو نواس وحاكاه في قوله صاحب هذا الزجل وغيره :
أما ترى الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدَلا



زجل القيسي
في حصار مدينة المرية





موضوع هذا الزجل يشبه موضوع ملعبة الكفيف فهو يسجل فشل حملة عسكرية وإخفاق حصار بري وبحري، وذلك أنه في سنة 709هـ (1309م) اجتمع فرناند الرابع ملك قشتالة وخايمى الثاني ملك أراغون وقررا القيام بحملة مشتركة لمحاصرة الجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وسبتة والمرية، وكانت في الواقع حملة صليبية كما جاء في قصيدة للشاعر المغربي أبي علي بن تدرارت الذي يقول :

أَلَمْ يأتِكُم أَنْبَاءُ نَفْرٍ تضافَرَتْ ... طَوائفه كلّ يُجِدُّ مُسَارِعا

فَسَبْعَةُ أَمْلاكٍ لهَا البَبَّ ثامنٌ ... قَد احْتفَلوا إذْ ملَّكوا العَزْمَ تاسِعا

وَقَدْ أجلَبوا من خَيْلِهِمْ ورجَالِهِمْ ... فَما إنْ وَنَوا شَيْخاً وكَهْلاً ويافعا

يَرومونَ إطْفاءً لدين محمّدٍ ... وهيهاتَ لا ينفكُّ يسطع لامعا[1]

وكان هدفهم منع وصول بني مرين لِنُصرةِ إخوانهم المسلمين في الأندلس، وقد بدأ ملك قشتالة بمحاصرة الجزيرة وجبل طارق، وقام بعده ملك أرغون بحصار المرية، وهذا الحصار هو الذي يتحدث عنه صاحب الزجل.

كان حصار المرية في أيام شاء الله أن تكون ـ كما يقول ابن الخطيب : «أيام نحس مستمر شملت المسلمين فيها الأزمة وأحاط بهم الذعروكَلِبَ العدو»[2] وكان السلطان النصري أبو الجيوش سيء الحظ وكان السلطان المريني منشغلا بفتن داخلية ولم تكن العلاقات بين بني نصر وبني مرين على مايرام، ولذلك كان دفاع الله عن المومنين من أهل المرية وصبرهم وصمودهم أمام عدو كثير العدد والعدة هو الذي أنقذ المرية وأهلها مِن

1ـ من قصيدة وردت مع غيرها في الموضوع لهذا الشاعر في مذكرات ابن الحاج النميري التي حققها صديقنا الاستاذ دوبريمار (عندي مرقونة).

2ـ اللمحة البدرية : 70.





خطر داهم، كما كان للمجاهدين من بني مرين المرابطين بغرناطة دور حاسم تحدث عنه ابن خلدون قال : «وعقد ابن الأحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الأعياص على عسكر بعثه مدداً لأهل المرية فلقيه جمع من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عثمان واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية وألح بمغاداتهم ومراوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم وأفرج عن البلد»[1].

دام هذا الحصار ستة أشهر تقريبا حاول فيها النصارى دخول المرية بكل الوجوه، واستعملوا جميع الوسائل والحيل كالآلات والسلاليم والأبراج الخشبية والمسارب تحت الأرض والمجانيق الراجمة بالأحجار الهائلة فباء جميع ذلك بالفشل الذريع.

وقد كتب في هذا الحصار أكثر من واحد من أهل ذلك العصر، منهم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغافقي المعروف بابن الفحام قال ابن القاضي في ترجمته : «وله جزء في تاريخ حصار الطاغية البرجلوني للمرية[2]» وقال في ترجمة أبي جعفر أحمد بن قاسم الجذامي المعروف بابن البغيل : «وله تاريخ حسن في حصار البرجلوني لمدينة المرية»[3] وقد أورد في ترجمة بعضهم بعد ذكر سنة وفاته 709هـ نبذة تاريخية في حصارالمرية تفتح بمايلي : «وفي هذه السنة يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الأول منها»[4] إلى آخره ولاعلاقة لهذه النبذة بصاحب الترجمة وهو مصري إسكندري

---

1. العبر 7: 518ومعنى استلحمهم بالغ في قتلهم.
2. درة الحجال 1: 131.
3. نفسه 1: 134.
4. نفسه 1 : 138.





إلا مجرد الاتفاق بين تاريخ وفاته وتاريخ الحصار، وهو سبق قلم نبه عليه ابن القاضي في ترجمة شعيب بن أحمد قائد المرية (ج 3 ص316) قال : «وما تقدم من ذكر حصار المرية في باب الألف هنا محل ذكره إلا أن القلم وقع به هنالك».

وقد تكون هذه النبذة التاريخية التي وضعت في غير محلها لأحد المترجمين السابقين وهما معاً من المرية، وننبه إلى أن ابن القاضي يعتمد في تراجم أعلام المرية على ابن خاتمة مؤلف كتاب مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية. وهو مفقود[1] ومهما يكن من أمر فإن كاتب النبذة[2] هو من أهل المرية وحضر وقائعها ودونها يوما فيوما محددا مواضع المواجهات وأعداد المهاجمين، وما أتوابه به من عدة، كما يذكر أسماء المدافعين، ويصف صبرهم واستماتتهم وهو يلتقي مع صاحب الزجل في عدد من العناصر كتاريخ الواقعة، وضخامة الأسطول، وصبر المجاهدين وثباتهم، وماحصل من لطف الله بالمسلمين، وما لقيه النصارى المهاجمون من سوء المصير حيث عمهم الجوع والوباء، والفرق بين صاحب النبذة التاريخية وبين صاحب الزجل أن الأول كان يعيش في دار الإسلام بالمرية أما الثاني فقد كان مدجنا بدار الكفر يعيش تحت الذمة في مملكة أرغون وقد عبر عن فرح المسلمين المدجنين بنجاة إخوانهم المسلمين في

1. كان موجودا في العهد السعدي وقد ذكر المقري في نفح الطيب (1 : 163) أنه كان يملك نسخة من مزية المرية في مجلد ضخم وتركها مع جملة كتبه في المغرب لما رحل إلى المشرق.
2. تقع هذه النبدة في الجزء الأول من درة الحجال من ص138 إلى ص 148 وقد نشرها مع ترجمتها إلى الفرنسية المستعرب علوش في مجلة هسبريس سنة 1933.





المرية وذلك بتوجُّههم إلى المساجد لرفع أكف الدعاء بأن يحفظهم الله من انتقام أعدائهم.

وناظم الزجل هذا يدعى محمد القيسي، هكذا ورد اسمه في آخر زجله، وكذلك في كتاب له عنوانه «كتاب مفتاح الدين في المجادلة بين النصارى والمسلمين»، والزجل والكتاب يوجدان في المخطوط رقم 1557 بالمكتبة الوطنية بالجزائر، وقد كُتِبَتْ مقالات حول هذا المخطوط[1] وحول مخطوط آخر له علاقة به يوجد في المكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم 4944[2]، ويستفاد منهما أن محمد القيسي كان من علماء جامع الزيتونه في تونس وأنه وقع في أسر الأرغونيين وحمل إلى لاردة حيث عاش في ربض المدجنين وهناك نظم زجله بمناسبة حصار المرية عام 709هـ (1309) وألف كتابه فيما وقع بينه وبين القسيسين من مجادلات، ومما جاء فيه قوله باكيا سوء حظه : «ورماني بين حزب الشيطان، في دار الكفر والطغيان، أخدم على النصارى الاسبان، والقسيسين والرهبان، في المذلة والهوان، حتى سلبوني عقلي، وصيروني لا أملك قياد قولي، وما أحسب إلا أني أنظر إلى قبري، قبل انقضاء عمري».

1ـ أنظر بحث الأستاذين P.S .KONIKGSVELD - G.A. WIEGERS في مجلة AL- QANTARA 1994 ومنه نقلت النصوص الموجودة في هذا التقديم وهي مكتوبة بالحرف اللاتيني.

2ـ أنظر العدد 15 من مجلة الأكاديمية وهو عدد خاص بالموركسيين في المغرب، ولا سيما بحث الأستاذ عبد العزيز شهبر.





وكلام هذا القيسي هنا يذكرنا بشعر قيسي آخر جاء بعده في القرن التاسع الهجري وكان أسيرا في أبذة وشكا في شعره من خدمة القسيسين والرهبان أيضا. ومما جاء في إحدى قصائده في شكوى الأسر :

فحصلتُ في الأَسْرِ الذي أَدْواؤه ... لِرَهينِهِ مِنْ أعظَمِ الأدْواءِ
أجني مذلّته وضيق قيودِهِ ... بعْدَ اجْتِنَاءِ العزّةِ القَعْساءِ
ما بينَ قومٍ كافرين تلوّنوا ... في كُفرِهم كتلوُّنِ الحِرْباءِ
لايَرْحَمون مُوحِّداً في أرضهم ... إنْ جاءَهُمْ يشكو بخطْبٍ عَناءِ
ما إنْ أرَى مِنهم سِوى مَنْ قَلْبُهُ ... مِنْ قَسْوةٍ كالصَّخْرةِ الصَّمّاءِ
أصلُ الصَّباح مع المساءِ لديهمُ ... في الخِدْمَة المعهودةِ الإعياءِ[1]

ويقول في قصيدة أخرى :

واحَسْرَتي بعد اشتغالي بالعُلُو ... مِ ودرسِها وتلاوةِ القرآنِ
أُمْسي وأُصبحُ خادماً متصرفاً ... لِعِبادةِ الأصنام والأوثانِ
إنْ لَمْ أكَنْ بِالحفْرِ مُشْتَغِلاً أكُنْ ... بالهَدْم مشتغلاً مع البنيانِ
والكَنْسُ في يوم الجلوس صناعتي ... والرَّشُّ يتْبعه مدَى الأحيانِ
وبِغَسْلِ أقذار الكلاب تحرّفي ... في أكثر الأوقات والأزْمانِ
فَثِيابُهُمْ أدْرَانُها مغسولة ... بِيَدي، وثوبي الدّهرَ بالأدْرانِ[2]

لقد طال أسر صاحب الزجل في لاردة وأصبح كما يقول : «لساني عجمي، قد خانني جَناني، وكثرت أحزاني، وأسلمني خاطري، وبان عني ناظري،

1. انظر كتابي : البسطي آخر شعراء الأندلس : 29.
2. نفسه : 30.





واستعجم مني باطني وظاهري، فلا نقوم بجواب، ولانعرف من كتاب، وحق لمن أسرته الروم، وكابد المشقة والهموم، أن يكلّ لسانه، ويضعف بيانه، ويذهب تبيانه» ولطول أسره ومقامه بين المدجنين صار له أهل وأولاد : «ثم إن الله بفضله لما ابتلاني زادني العيال، وأسكنني الدجال» يعني مع المدجنين، وقد كان يطمع في الخلاص : «إذا سخط الله على عبد رماه في أرض الشرك، فإذا عفا عنه ولطف به الألطاف الخفية استنقذه وخلصه» ولهذا نجده في زجله يعبر عن ضيقه بالسكني في أرض الدجن ويتوجه إلى اله سائلا أن يخرجه منها صحيحا سالما :

قَدْ عَيِيتْ سُكْنى الدّجَالْ
رَبِّ أخْرِجْني في حَالْ
حَسَنْ ومعْتَدَالْ
فإنّي مَطْروحٌ مَهينْ
بَيْن ظُهور الْكافِرينْ

ويبدو أن القيسي هذا لم يكن زجالا محترفا ولعله لم يُروِّعنه إلا هذا الزجل الذي ولّده فرحه بهزيمة أعداء المسلمين وتشفيه من غيظه عليهم بسبب ماكان يعانيه في الأسر والدجن. والزجل كما سنرى «يتألف من إحدى وخمسين مقطوعة تتألف كل واحدة منها من غصن ذي ثلاثة أجزاء على قافية واحدة ثم قفل ذي جزئين على وزن المطلع وقافيته» ولغة الزجل سهلة واضحة تكثر فيها الألفاظ الفصيحة لأن ناظم الزجل كان من أهل الفقه والعلم، وقد كان المستعرب ليفي بروفنسال نشر هذا الزجل مع ترجمة فرنسية في مجلة الأندلس منذ أزيد من ستين سنة ونظرا لطول المدة رأينا أن نعيد نشره مع هذه المجموعة من الأزجال القديمة، ونعزّزه بالترجمة الفرنسية وبالنبذة التاريخية التي سبقت الإشارة إليها. وفيما يلي نص الزجل :



كُنْ فِي عَوْنِ المُسْلِمِينْ
يَـاإِلَـهَ العَـالَـمِـينْ

* * *

1. أَنْتَ هُوَ فَرْدٌ صَمَدْ
لَمْ يَكُنْ قَبْلَكَ أَحَدْ
لاَرْتِضَا[1] خَيْرِ العِبَادْ
هُوَ مُحَمَّدُ الأَمِينْ
أَنْ تَكُونْ لَهُمْ مُعِينْ

* * *

2. فَعَسَى تَبْعَثْ لَهُمُ
أَنْ يَشْـدُ أَزْرَهُمْ
مِنْ دُعَـا[2] نَبِيِّـهِـمْ
وَدُعَـاءِ الصَّالِحِينْ
لاَيُـرَدُّ[3] خَـائِـبِـينْ

* * *

3. أَهْلِكْ يَارَبِّ العَدُو
لاَتِـبلِّغْ مَقْصَدُوا[4]

---

1. لارتضا : هكذا في الأصل، وهي من فعل ارتضى، ويفهم من السياق أن الشاعر يتوسل إلى الله تعالى بنبيه محمد عليه السلام. وعليه فقوله : لارتضا خير العباد معناه لإرضاء خير العباد.
2. من دعا أي بدعاء.
3. لا يرد : لا يردون.
4. أي لا تبلغه مقصوده.



قَدْ تَرَى مَايَعْبُدُوا[1]
هَـؤُلَاءِ الكَـافِرِيـنْ
رَبِّ رُدْهُمْ خَائِبِيـنْ.

* * *

4. أَبُو مُرَّه[2] قَالْ لَهُمْ
وَسِّعُوا فِي أَرْضِكُمْ
أَلَمْ يَكُونُوا مِثْلُكُمْ[3]
مَنْ قُتِلْ فِي الْأَوَّلِينْ
بِسُيُوفْ بَنِي مَرِينْ[4]

* * *

5. يَقِنُوا وَهُمْ جُلُوسْ
أَنْ يَأْخُذُوا لِلْأَنْدَلُوسْ
ثُمَّ يَقْتُلُوا النُّفُوسْ
الَّذِي هُمْ قَاعِدِينْ
مِنْ هَذَا الْمُدَجَّنِينْ[5]

* * *

6. سَوَّلَتْ نُفُوسُهُمْ
عَلَى قَدْرْ عُقُولُهُمْ

1ـ أي ما يعبدون ويريد أن يقول : إنهم يعبدون الصليب.
2ـ كنية إبليس.
3ـ يقصد النصارى الذين قتلوا في المواجهات مع بني مرين
4ـ إشارة إلى جهاد بني مرين في الأندلس ودفاعهم عنها ولاسيما في عهد يعقوب بن عبد الحق.
5ـ يقنوا : ايقنوا، الأندلوس : الأندلس، الذي : الذين، يقتلوا : يقتلون. وفحوى القول أن الشيطان حرض النصارى على قتال المسلمين والهجوم على أرضهم، من هذا المدجنين أي من هؤلاء المدجنين. والمدجنون هم مسلمو الأندلس الذين كتب عليهم أن يعيشوا تحت حكم النصارى. ويسمون عندهم Mudejures.



وَزَمَرْ فِي بُوقُهُمْ
نَفَخْ إِبْلِيسَ اللَّعِين
بِخَبَرْ الأَوَّلِيسَنَ[1]

* * *

7. وَالنَّصَارَى يَذْكُرُوا
بِالدَّجَال انْتَصَرُوا
حَوِّلُوا هذَا الفَرْوُ
وَتَكَونَوا مَعَزُوزِين
مِثْل المُغَطَّسِين[2]

* * *

8. قَالُوا أَهْلَ الأَرِدَّا
اصْبِرُوا عَلَى الرَّدَا
مِنَ اليَوْمْ إِلَى غَدَا
يَفْتَحْ ألرَّبّ المُعِينْ
وَيُغِلّ الكَافِرِين[3]

* * *

1- لعل المعنى إن إبليس حرضهم وذكرهم بما فعل الأولون من المسلمين (أو بما فعل أسلافهم) من استيلائهم على الأندلس.

2- يذكروا : يذكرون، بالدجال أي بأهل الدجن. حولوا هذا الفرو أي اقلبوه ظهرا لبطن والمقصود غيروا دينكم. وتكونوا : تكونون. والمغطسون : هم الذين نصروا أو تنصروا من المسلمين. والزجال يشير إلى عزم النصارى على تنصير من عندهم من المسلمين وعرض المغريات عليهم وقد ورد ما يقرب من كلام القيسي هذا في كتابه مفتاح الدين وذلك قوله حاكيا : «وأنا نبعث إلى صاحب برتقال وإلى الفرسان والرجال وإلى صاحب قشتالة وإلى صاحب أرغون ونتعاون الجميع على هؤلاء القوم حتى نخرج الإفريريين واليهود والمسلمين ثم نبعثهم إ لى أرض المسلمين يأخذونها فتكون الأرض لنا.».

3- الأردا : لعلهم أهل الأردية وهم الفقهاء ولعل المعنى أن هؤلاء نصحوا المدجنين الذين كانوا يدعون إلى التنصر بأن يصبروا على الامتحان فعسى أن يأتي الفرج.

9. حِينَ أَتَتْ سَبْع مايَهْ
ثُمَّ تِسْعُ عَادِيَهْ
جَوْمي أَبْعَثْ نَادِيَهْ
مَنْ يَكُن لِي مَعُينْ
لِقِتَال المُسْلِمِين[1]

* * *

10. كَرْمَ نَعْطى فِي كِرَاهْ
ثُمَّ دَارُ بِحِذَاهْ
وَيَكُونْ عِنْدِي فِي جَاهْ
لاَ سلَفْ للاخِدِين
وَمَتَاعُ إِلَى حِين[2]

* * *

11. أَجْلَبَ الَخلْقَ وَالعُدَدَ
مَا لاَيُحْصَى لَهْ عَدَدْ
ثُمَّ أَرْمَى فِي البِلاَدْ
يَغَرَّمُوا المُرَفَّهِينْ
وَجِمِيع المُقَوِّين[3]

* * *

1ـ ذكر تاريخ الحادثة وهو 709 للهجرة، وجومي JAIME والمقصود خايمي II ملك أراغون، وأبعث : بعث، وناديه أي مناديه، ومن يكن : من يكون أي الذي.
2ـ كرم = كرمة أي حديقة أو جنينة. والمعنى أن جومي قال أنه يعطى من يشارك في الحملة دارا وحديقه على سبيل التملك لا على سبيل السلف ويكون ملحوظا عنده. ومتاع : ومتاعه، وإلى حين أي إلى وفاته. وقد اقتبسها الزجال من قوله تعالى : «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين».
3ـ أجلب : جلب، أرمى : رمى أي أنه وزع رجاله لجمع نفقات الحملة من الأغنياء الأقوياء والمترفين.



12. تَرَكْ أَرْضُ خَاوِيه
اَلجِبَال والأَوْطِياهْ
مِنْ جِرُنَة لِمُرْسِيه
كُلُّ مَنْ يَحْمِل سِكِين
أَوْ يُطِيقْ عَلَى أَنِين[1]

* * *

13. بِالصَّلِيبِ فَأَكْتَفْهُمْ
يَزْعَمُوا أَنَّ رَبْهُمْ
بِـهِ [قَدْ] أَمَرَهُمْ
كَذَبُوا اَلْمَلْعونين
عَلَى رَبِّ العَالَمِين[2]

* * *

14. لَبَسوا لَكَ السِّلاحْ
اَلنَّصَارَى اَلقِبَاحْ
مَنْ لاَ فِي وَجْهُ فَلاحْ
كَثْرَتُهم مُغَطِّسِين
وَاليَهُود الكَاذِبِين[3]

* * *

1ـ أي أن خايمي جنّد كل قادر على حمل السلاح وغير قادروترك أرضه سهولا وجبالا خالية وجرنة : Gerona وهي مدينة معروفة وكانت مهمة في مملكة أراغون أما مرسية فقد استولى عليها الأراغونيون. وأرض : أرضه، والأوطياه جمع وطا وهو السهل.

2ـ فاكتفهم : في أكتافهم، يزعموا : يزعمون، كذبوا الملعونين (على لغة أكلوني البراغيث وهي كثيرة في العامية) أي كذب الملعونون والمعنى أنهم كانوا يحملون الصلبان على أكتافهم كما أمرهم ربهم حسب زعمهم.

3ـ يعني أن هذه الحملة كانت تتألف من النصارى واليهود والمتنصّرين وهم الأكثر وقد عبر عنهم بالمغطّسين وقد دخلت هذه الكلمة إلى الإسبانية AL MOGATACE. وجاء في مفتاح الدين : «وتحالفوا بينهم وجعلوا الصليب على أكتافهم ألاّ يخرجوا عن رأيهم حتى يخرجوا المسلمين ويغطسوا المدجّلين».

طوفان الأقصى

15. اَلـمُنَـجَّـمْ قَـالَ لَهُمْ
قَدْ تَقَهْـقَرْ نَجْمُكُمْ
هَذَا هُـوَ الـمَرِّيخْ لَكُمْ
وَالبَرْجِيسْ للمُسْلِمِين
هُمْ يكُونُوا ظَافِرِين[1]

* * *

16. المَـرِيَّة أتَوْا لِهَا
طَمِعُوا في أَخْـذِهَا
لِقِـتَالْ أَهْلْـهَا
هُـمْ [بِهِ] مُسَـمَّيين
لدِهُـورُ الدَّاهِـرِين[2]

* * *

17. تُرِيدُ أَنْ تَسْمَعْ خَبَرْ
لَمَّـا رَأَيْتْ أَنَّ الْبَحَرَ
بِالقَـطَائِعْ قَد عَـمَرْ
قُلْتُ رَبِّي آنْتَ مُعِـينْ
عُصْـبَةُ الْمُوَحِّـدِين[3]

* * *

1ـ كان المنجمون من لوازم البلاطات وقبل الخروج إلى أي حركة عسكرية يقوم المنجم بالنظر في الطالع، ويقول الزجال هنا إن المنجم أخبر هؤلاء الصليبيين بأن الطالع ليس في صالحهم وأنه في صالح المسلمين والبرجيس : هو المريخ، ويكونوا : يكونون.

2ـ مسميين هكذا قرأها وكتبها وترجمها بروفنسال، وأظن أنها مسممين أي مصممين والمعنى أنهم كانوا مصممين على أخذ المرية، والمعروف أنه سبق لهم أن هاجموها وحاصروها في حملة صليبية ودخلوها سنة 542هـ ثم استردها بعد ذلك الموحدون بقيادة الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد المومن.

3ـ البحَر بفتح الحاء نطق عامي مسموع عندنا. القطائع : المراكب الحربية وعصبة هكذا شكلها بروفنسال وأحسن منها في الوزن عِصابة.



18. أَقْبَلُوا آهلَ بُرْتُقَالْ
بَيْنَ رُكْبَانٍ وَرِجَالْ
مَالاَيُحْصَى لَهُ مِثَالْ
وَرِجَالْ مُسَلَّحِينْ[1]

* * *

19. وأَهْلُ قَشْتَالَه كذَاكْ
أَجْمَعُوا عَلَى الهَلاَكْ
قَطَعُوا إلىَ السِّكَاكْ
لِلْجَزِيرَةَ قَاصِدِينَ
نَـزَلُوا حَـقّاً يقَينْ[2]

* * *

20. ثمُ دَّارَت الخيُولْ
في الوَعَرْ وَفي السُّهُولْ
وَكَلاَمْ فيهِمْ يَطُولْ
إنَّ صَبْرَ المُسْلِمِين
لاَيَصِفْهُ الوَاصِفِينْ[3]

* * *

1ـ أقبلوا أهل : أقبل أهل، وبرتقال هم البرتغال.

2ـ قشتالة : كانت من الممالك النصرانية التي تألفت منها إسبانيا ! السكاك : السكك أي الطرق، والجزيرة هي الجزيرة الخضراء.

3ـ قوله «وكلام فيهم يطول» هو الذي شرحه المؤرخ في الملحق الآتي. وقوله لايصفه الواصفين أي لا يصفه الواصفون.



21. اللَّهُ أَوْرَا[1] قُدْرَتَهْ
ثُمَّ أَرْسَلْ رَحْمَتَهْ
للنَبي وأمَّتَهْ
بِالقُلُوبِ المُطْمَنِّيِنْ
كَنْ لَهُم رَبِّ مُعِينْ

* * *

22. صَبَرُوا عَلَى الجِهَادْ[2]
اسْتَشْهَدْ مِنْهُمُ أَعْدَادْ
ضَمَّهُمْ رَبُّ العِبَادْ
وَذُنُوبُهُمْ مَغْفُورِينْ
وَجُسُومُهُمْ طَاهِرِينْ

* * *

23. أَيْ رجَالْ وَاشْ دالرِّجَالْ
عَوَلُّوا على القِتَالْ
وَيرُوغُوا للنِّبَالْ
لِلطِّعَانْ هُمْ صَابرِينْ
لَمْ يُوَلُّوا مُدْبِرِينْ[3]

1- أورى ويقال أيضا ورى أي أظهر في العامية، والمطمَنّين : المطمئنين.
2- في هذا المقطع والذي بعده يشيد هذا الزجال بشجاعة المجاهدين المسلمين وصبرهم واستشهادهم.
3- أي رجال... يعني أنهم رجال وأي رجال، يروغوا : يروغون أي ينحرفون ويتحاشون. ولم يولوا مدبرين أي لم يفروا، والزجال يستعمل العبارات القرآنية ففي القرآن الكريم : «إذ ولوا مدبرين» «ثم وليتم مدبرين» «ومن يولّهم يومئذ دبره».



24. ثَبَتَتْ أَقْدَامُهُمْ
وَرأى اللَّهْ صَبْرَهُمْ
وَعَلِمْ قُلُوبَهُمْ
أَنَّهُمْ صَابِرِينْ
وَقُلُوبْهُمْ مُخْلِصِينْ[1]

* * *

25. اللَّهْ أَوْرَا[2] مُعْجِزَا
عَلَى يَدْ هَوْلَا الغُزَا
قَاتَلُوا مِنْهُمْ أَجْزَا
مِنْ جُمُوعِ الكَافِرِينْ
واقْهَروهُمْ مُحْصَرِينْ

* * *

26. ثُمَّ جَاهُمُ[3] الْوَبَا
لِلْنَصَارَى المُذْنِبَا
لِلْقَيَاطِين وَالْخِبَا
لِلنَّقُوس تَسْمَعْ طَنِينْ
إذَا مات مِنْهُمْ قَرِينْ

* * *

1ـ صاحب هذا الزجل فقيه حافظ للقرآن الكريم ولهذا استعمل بعض الألفاظ القرآنية الواردة في آيات الجهاد وهو هنا يشير إلى قوله تعالى في سورة الفتح «فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا».
2ـ أورا أي أظهر، معجزا : معجزة. والغزا : الغزاة أي المجاهدون وقد كان هذا اللقب يطلق على المجاهدين من بني مرين المرابطين بالأندلس في عهد بني الأحمر ومنهم عثمان بن أبي العلاء شيخ الغزاة وصاحب المواقف البطولية ومنها تصديه لهذا الحصار على المرية وكسره له، وقد توفي سنة 730هـ. وقوله : واقهروهم محصرين أي قهروهم رغم أنهم كانوا محاصرين.
3ـ جاهم : جاءهم، الوبا : أي الطاعون ؛ المذنبا : المذنبون والقياطين جمع قيطون، والخبا : الخباء للنقوس : للناقوس، وقرين : معناها نفس وصاحب، وقد ترجمها بروفنسال بأحد الأعيان.



27. وَأتَـاهُمُ الغَلاَ
وَالتَّشَتُّتْ وَالــبَلاَ
بِالقَمْلْ رُؤسَـهُمْ مَلاَ[1]
كُنْ تَرَاهُمْ مَذْبُولِينْ
وَرُؤسْـهُمْ مَحْلُوقِينْ

* * *

28. بْوُجُوهْ مِثْلَ القُرُودِ
النَّصَارَى وَاليَهُـودْ
غَيَّرْ اللَّهْ الخُـدُودْ
فِي التُّرَابِ هُمْ مُطْرَحِينْ
وَنُفُوسْهُمْ هَالِكِينْ[2]

* * *

29. وَالشِّتَا لَيْلْ وَنَهَارْ
وَالبَرَاغِثْ تَنْتَشَرْ
مِثْلْ قَوْمْ فِي الأَسَرْ
هَذَا هُوَ زَجْراً مُبِينْ
عِبْرَه فِيهْ لِلآخَرِينْ[3]

* * *

1- ملا : ملأى. مذبولين : ضعاف يبدو عليهم الذبول.
2- تكرر ذكر اليهود في هذا الزجل إلى جانب النصارى، ويفهم منه أنهم، أصبحوا مع النصارى حربا على المسلمين، وقوله : مطرحين أي مطروحين.
3- في النبذة التاريخية التي ستأتي أن الله «أرسل الريح الغربية مدة شهرين فمنعت أجفانهم (سفنهم) من السير وقطعت عنهم المير حتى عمهم الجوع». وفي الشطر الأخير يستمد الزجال من محفوظه القرآني ويشير إلى الآية الكريمة : «فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين».



30. لَمْ يعمُهُمْ[1] طَبِيبُ
مِنْ نَتْنِهِمْ أُصِيبُوا
بِعَوَاهُمْ مِثْلَ الكِلَابُ
وَتَرَاهُمْ خَائِفِينْ
مِنْ أَمَالْهِمْ قَانِطِينْ

* * *

31. وَأَرْسَلَ اللَّهُ الذُّبَابْ
نَزَلَتْ عَلَى الجَرَاب[2]
مِثْلَ صَبٍّ أَوْ سَحَابْ
كَانُوا يَحُكُّوا مُهْطِعِينْ
لِجُسُومِهُمْ سَالِخِينْ

* * *

32. ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَا[3]
صَارُوا مِثْلَ الجُذَمَا
عَلْمُوا أَنَّ اللَّهْ رَمَا
زَجْرَهُ فِي المُذْنِبِينْ
وَأَنَّهُمُ الْخَاطِيِينْ

* * *

---

1. لم يعمهم طبيب لعل المعنى أن عدد الأطباء كان قليلا فلم يباشروا جميع المرضى.
2. الجراب : الجرب، صب أو سحاب : يقصد المطر الشديد وقرأ بروفنسال ضب وترجمها بالضباب والغيم، ومهطعين : مسرعين.
3. العلماء : يقصد به رهبانهم. الجذما : المعروف في العامية الأندلسية والمغربية : مجدام وجمعه مجادم، ولعل الزجال قاس الجذماء على العلماء، ومقصوده أن الرهبان صاروا كالمبتلين بالجذام.

33. قَالُوا نَرْمُوا[1] فِي البَحَرْ
كُلَّ مَنْ يَعْمَلْ ضَرَرْ
وَيُؤَخْدُوا فِي الأَسَرْ
النِّسَا وَالمُذْنِبِينْ
نَحْنُ بِهِمْ مَأْخُودِينْ

* * *

34. عَمَّرُوا بِهِمْ جِفَانْ[2]
وَأَرْسَلُوهُمْ لِمَكَانْ
أَنْ يَكُونْ لَهُمْ حِصَانْ
خَرَجُوا لِلْمُسْلِمِينْ
أَخَدُوهُمْ مَأْسُورِينْ

* * *

35. لَوْ تَرَا أَهْلَ الدَّجَالْ[3]
حِينْ أَتَا هَذَا الْمَآلْ
يَسْمَعُوا إِلَى السُّوَالْ
بِرُؤُسِهُمْ مَايِلِينْ
وَقُلُوبِهُمْ فَرِحِينْ

* * *

1ـ نرموا : نرمي : في الأسَر : في الأسْر، في البحَر : في البَحْر، ومعنى هذا القسم أن رهبان الحملة لما رأوا ما حل بهم عرفوا أنه عقاب من الله لهم على تعديهم فقرروا أن يكفروا عن ذلك بالتضحية بالنساء وأهل الذنوب وذلك إما بإلقائهم في البحر أو برميهم إلى بلاد المسلمين فيؤخذون أسرى، ومثل هذا العمل كان معروفا عند النصارى في القرون الوسطى.

2ـ جفان : أجفان جمع جفن وهي المراكب البحرية حصان : حصن.

3ـ أهل الدجال أي أهل الدجن أو المدجنون وقوله : حين أتى هذا المآل يعني حين جاء الخبر إلى المدجنين بما آل أمر أصحاب الحملة من وقوعهم في الأسرفرحوا في سرهم، والسؤال : السائلون، برؤوسهم ما يلين أي يميلون رؤوسهم للاستماع.



36. لِلإلَهِ هُمْ يَقصِدُوا
فِي المَسَاجِدْ يَعْبَدُوا
أَنْ لاَ يَنْتَقِمْ عَدُو
عَلَى أرْضِ المُؤْمِنِينْ
وأَنْ يَكُونُوا مَحْفُوظِينْ[1]

* * *

37. ثُمَّ جَاهُمُ الخَبَرْ
بأَنْ قَدْ حَلَّ الدَّمَرْ[2]
بأَرْض قَشْتَالَ وَصَرْ
عِبْرَة لِلسَّايِلِينْ
عَلَى يَدِ المُسْلِمِينْ

* * *

38. سمعُوا المَخَازِي ذاكْ
بِدِمَاهُمْ تُسْفَكْ
يَقِنُوا ثَم بالهَلاَكْ
ثُمَّ وَلَّوْا مُدْبِرِينْ
لِدِيَارْهُمْ هَارِبِينْ[3]

* * *

1. يقصدوا : يقصدون. يعبدوا : يعبدون
2. الدمر : الدمار. وصر : وصار والإشارة إلى الهزائم التي لحقت خلال حصارهم طارق الخضراء وهلاك ملكهم سنة 712هـ (العبرة 7 : 518 - 519) وقشتال =قشتالة (Castilla).
3. المخازي : البلايا. ذاك : هذه وقوله : ثم ولوا مدبرين مأخوذ من الآية : وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين.

39. فِي الخَــوَايَمْ(1) أَطْلَقُوا
اَلنِّــيَرانْ وأَحَــرَقُوا
قَوْمْ لِقَــوْمْ أَغْــرَقُوا
فِي البَــحَرْ يَاسَامِعِــينْ
كُــلَّ مَــنْ لاَ لَهْ مُــعِينْ

* * *

40. جَوْمِى(2) أَرْسَلْ رُسُلَهْ
مَاصَبَرْ يَــرْجَــعْ لَهُ
بِــالَّذي أُقِلْ لَــهْ
خَيْــلُو خَلاَّ حَارِبِيــنْ
وَطَــلَعْ لِلْبَحْرِيِّينْ

* * *

41. قَالَ لَهُمْ قُومُوا اقْلَعُوا(3)
مِنْ كَلاَمِي اسْمَعُــوا
خَيْلُ الاسْلاَمْ دَفَعُوا
نَحْوَنَا هُمْ قَاطِعِــينْ
وَإِلَيْنَا قَاصِدِيــنْ

* * *

1ـ في الخوايم أي في الخيام. ويقول صاحب النبذة التاريخية : «ووسقوا أثقالهم في المراكب وما عجزوا عنه أضرموا فيه النيران، وبقي منهم طائفة بعد ذلك ضاقت عليهم الأجفان فأقاموا تحت الذمة»

2ـ جومى : خايمي : Jaime يرجع : يرجعون. أقلُ له : قيل له. وقوله خيلوا إلخ أي أنه ترك فرسانه يحاربون وصعد إلى مراكبه.

3ـ اقلعوا : انشروا القلاع. دفعوا : أقبلوا مهاجمين.



لا غالب إلا الله

42. لَوْ تَرَا حِينْ رَجَعُوا
لِلْحَوَانِيتْ[1] يَقْطَعُوا
بِالسَّعْيْ هُمْ يُرَجِّعُوا
كُلّْ صَوْتٍ بِأَنِينْ :
ارْحَمُوا يَامُحْسِنِينْ

* * *

43. وَالثِّيَابْ مُمَزَّقَهْ
وَالعِنَانْ مُخَرَّقَهْ
وَالُوجُوهُ مُطَرَّقَهْ[2]
بِسَوَادٍ مِثْلِ طِينْ
قَدْ عَلاَ فَوْقَ الجَبِينْ

* * *

44. مَنْ رَجَعْ لأَهْلِهْ
رَجَّسَهُ[3] لِقَاؤُهْ
وأُعْلِمَ جِيرَانُهْ
بِالمَرَضْ هُمْ مُهْلَكِينْ
فِي الطُّرُوقْ هِمْ مَطْرُوحِينْ

* * *

1. للحوانيت يقطعوا لعلها التي تسمى بالبيوت في النبذة التاريخية. وترجمها بروفنسال بما يلي : يمزقون خيامهم. بالسعي : بالسؤال والاستجداء، يرجعوا : يرجّعون أي يردّدون. ارحموا يامحسنين : من عبارات المتسولين.
2. العنان عنان الفرس الذي يمسك به، والمقصود أنهم رجعوا وأعنة خيلهم ممزقة. وقوله والوجوه مطرّقة أي كالنعل المرقعة، ولعله يشير إلى الحديث الوارد في كتب الفتن وفيه : «كأن وجوههم المجان المطرقة».
3. رجسه : رجسوه أي اعتبروه رجسا وتحاشوه. في الطروق : في الطرق. ومطروحين : منبوذين.



45. مَنْ دَنَا مِنْهُمْ نَدَمْ
أَوْ مَــرَضْ أَوْ سَــقَمْ
وَلَحَــقَهُ الْحِـمَـامْ
لَمْ يَعُمُّهُمْ دَفِــيْن[1]
فِي الكَنَـايِسْ مُقْبَرِين

* * *

46. لَوْ تَــرَا مَافَعَلُوا
فِي لَقَنْت[2] حِينْ نَــزَلُوا
قَــوْمْ لِـقَوْمٍ قَتَـلُوا
هَــذَا فِعْلْ مَنْ لاَ لَهْ دِيـنْ
وَعِـبْرَةْ لِلنَّـاظِـرِينْ

* * *

47. مَنْ لاَ أَقْبَلْ بِحَـثِيث[3]
حَيّْ أَرْمَـا يَسْتَغِيـثْ
وَدُمُــوعْ كَـالرِّثِيـثْ
قَــبُوَجُـبّْ بَانِـيِـينْ
اسْكُنُوهُ الظَّـالِمِـينْ

* * *

1ـ الحمام : الموت. دفين : دفن، مقبرين مدفونين.
2ـ لقنت Alicante مدينة معروفة في شرق الأندلس.
3ـ بحثيث : بسرعة : أرما : رمي وألقي ودموع : ودموعه. كالرثيث : كالمطر. دوزي 509 نقلا عن Voc وفيه الرثات، وهي هنا بالإمالة.





48. فِي لَقَنتِ الكُبْرَا[1]
جُبُّهَا صَارْ مَقْبَرَا
لِعِظَامِ الْكَفَرَا
اقْبَرُوهُمْ مَقْهُورِينْ
وَهُمْ أَحْيَا رَاغِبِينْ

* * *

49. تَعْلَمُ يَارَبِّ أَنَّهْ
لَمْ نُتِمَّ نَصْفَهْ[2]
كَمْ عَسَى أَنْ نَصِفَهْ
لَوْ يَقُولُوا الْقَائِلِينْ
لَمْ يُتِمَّهْ بَعْدَ حِينْ

* * *

50. قَدْ عَيِيتْ سُكْنَى الدَّجَالْ[3]
رَبِّ أَخْرِجْنِي فِي حَالْ
حَسَنٍ وَمُعْتَدَالْ
فَإِنِّي مَطْرُوحٌ مَهِينْ
بَيْنْ ظُهُورِ الْكَافِرِينْ

* * *

1ـ يفهم منه أن ثمة لقنت الكبرى ولقنت الصغرى، وهذا في معجم البلدان لياقوت : لقنت : بفتح أوله وثانيه وسكون النون وتاء متناه : حصنان من أعمال لاردة بالاندلس : لقنت الكبرى ولقنت الصغرى وكل واحدة تنظر إلى صاحبتها. والجب : البئر. وهو في الإسبانية Algibe.
2ـ لم يتم نصفه : يعني أنه لم يتم نصف الكلام على الواقعة.
3ـ الدجال : الدجل : الدجن، وقد تقدم شرحه ومعتدال : ومعتدل ومطروح مهين : مطرح مهان. وبين ظهور الكافرين أي بين ظهريهم بفتح الراء وظهرانيهم بفتح النون.



51. صَدَقَ القَيْسِي وَقَالْ

وَرَغَبْ لِذِي الجَلاَلَ

عَسَى يَقْبَلْ لَهْ سُؤَالْ

مَنْ دُعَاءِ المُؤْمِنِين

أَنْ يَكُونَ اللَّهْ مُعِين

لِجَمِيعِ المُسْلِمِين[1]

1ـ ختم القيسي زجله على طريقة أهل الزجل والملحون بالإعراب عن شهرته.





ترجمة فرنسية* لزجل القيسي

*سبق للمستعرب ل. بروفنسال نشر زجل القيسي مشفوعا بترجمته إلى الفرنسية في مجلة الأندلس وقد رأينا إعادة نشر هذه الترجمة التي قدم زمنها لارتباطها بالنص العربي و للزيادة في الإفادة والإيضاح.





Sois en aide aux Musulmans - ô Dieu des deux mondes!

1. C'est Toi qui es Un, Éternel. - Il n'y a eu avant Toi personne -pour agréer le meilleur de Tes esclaves : - lui, Muhammad, qui les a assurés - que Tu leur accorderais Ton assistance!

2. Et sans doute leur enverras. Tu - quelqu'un qui leur servira de soutien! - D'avoir invoqué le Prophète ~ et d'avoir invoque les saints, - ils ne se trouveront pas repoussés, déçus!

3. Fais périr, mon Dieu, l'ennemi! - Ne lui fais point gagner son but! - Tu vois bien ce qu'ils adorent, - ces mécréants : - Mon Dieu, repousse-les et rends vains leurs efforts!

4. Le démon leur a dit : - «Étendez-vous sur votre territoire ! y - N'étaient-ils pas leurs pareils - ceux qui ont péri, parmi leurs aînés, - par les sabres des Mérinidés?

5. Ils ont acquis la certitude, alors qu'ils étaient réunis, - qu ils s'empareraient d'al-Andalus, - puis qu'ils tueraient les créatures - qui sont réduites à une attitude passive - parmi ces Mudéjares (que nous sommes)!

6. Une inspiration diabolique les a pris - à la mesure de leurs intelligences; - et a retenti dans leurs trompes - le souffle de Satan le maudit - pour leur rappeler les exploits de leurs ancêtres.

7. Et les Chrétiens répétaient alors - aux Mudéjares : «Devenez Chrétiens! - Changez (pour d'autres accoutrements) ces pelisses (qui vous distinguent). - Alors, vous serez entourés d'égards/—tout comme le sont les baptises (Almogataces).»

8. Les gens aux réponses sensées dirent (aux Mudéjares); - «Supportez avec constance vos maux! - D'aujourd'hui à demain, - l'aide divine peut vous délivrer - et anéantir les impies!»



9. Lorsque vint l'année 700 - et que s'y ajoutèrent neuf autres années - Jaime (jawmy) envoya son héraut proclamer : - «Qui voudra venir à mon aide - pour combattre les Musulmans,

10. Je lui donnerai une vigne pour prix de son louage - et aussi une maison à côté ! - il sera auprès de moi l'objet d'estime! - Ceux qui recevront mon cadeau n'en jouiront pas à titre de prêt - et sa possession leur sera garantie pour l'avenir! »

11. Il fit venir troupes et approvisionnements, - trop nombreux pour pouvoir être dénombrés. - Puis ses hommes se déversèrent sur le pays, - pour exiger des impositions des personnes à l'aise - et de tous les gens riches.

12. Il laissa un territoire vide (d'hommes) - dans les montagnes comme dans les plaines - depuis Gérone jusqu'à Murcie. - Il ne resta personne qui fût en état de porter un coutelas - ou fût capable de proférer la moindre plainte.

13. (Ils se mirent en route), avec la croix sur leurs épaules; - ils prétendaient que leur Dieu - leur avait ordonné d'en faire ainsi : - c'était mensonge de ces maudits - à l'égard du Maître des Mondes!

14. Ils revêtirent donc leurs armes - ces Chrétiens méchants, - aux visages marqués par la malchance! - La plupart étaient des Almogataces - et il y avait aussi des Juifs menteurs.

15. L'astrologue leur avait dit: - «Votre horoscope est défavorable! - Vous êtes sous le signe de Mars - et les Musulmans sous celui de Jupiter : - c'est eux qui seront vainqueurs!»

16. A Alméria, ils s'en vinrent; — ils convoitèrent de la prendre, - en livrant combat à ses habitants : - ce qui eût été pour eux une gloire - inscrite aux siècles de l'éternité !

17. Veux-tu en écouter l'histoire? - Lorsque je vis que la mer



- s'était emplie de galères, — je dis : «Mon Dieu, c'est Toi qui aideras - le parti des Unitaires! »

18. Vinrent les gens du Portugal, - tant cavaliers que fantassins, - en un nombre incalculable - avec des chevaux couverts de housses de mailles - et des hommes en armes.

19. Et de même les gens de Castille - s'en vinrent tous à leur perte, - parcourant les chemins - en direction d'Algeciras. - Ils établirent leur camp, bien sûrs (de leur victoire).

20. Puis les cavaliers ennemis firent des tours - dans les régions accidentées et plates du pays. - II serait trop long de le raconter. - Quant à la fermeté dont les Musulmans firent preuve, - personne ne pourrait la décrire !

21. Allah montra Sa puissance, - puis envoya Sa miséri- corde - au Prophète et à Son peuple : - les cœurs étaient satisfaits. - Sois - leur en aide, ô mon Dieu!

22. Ils combattirent pour la foi avec constance! - Nombre d'entre eux périrent en martyrs : - le Dieu des créatures les rassembla, - absous de leurs péchés, - leurs corps-en état de pureté!

23. Ah! quels hommes! Ah! oui! quels hommes! - Ils se préparèrent au combat. - Ils se détournaient pour éviter les

flèches; - ils tenaient bon sous les coups des lances; - ils ne reculaient pas, en tournant le dos à l'ennemi!

24. .Ils se maintenaient sur place. -Allah vit leur fer meté -et remplit leurs cœurs de la conviction - qu'ils étaient des guerriers pleins de constance - et que leurs cœurs étaient sincères!





25. Allah donna le spectacle d'un miracle - en la personne de ces guerriers. - Ils tuèrent des troupes d'ennemis -. parmi les bandes des incroyants - et forcèrent les autres à s'enfermer assiégés.

26. Puis leur arriva la peste - aux Chrétiens, gens depéché, - dans leurs tentes et leurs pavillons. - On entendait les cloches tinter - quand parmi eux mourait un notable.

27. Puis leur arrivèrent le renchérissement des vivres, - et la désertion, et les calamités. - De poux, leurs têtes devinrent pleines! - Si tu les avais vus amaigris par leurs privations - et leurs têtes rases !

28. Leurs faces semblaient celles de singes, - les Chrétiens tout comme les Juifs! - Allah couvrit de rides leurs visages. - Ils gisaient sur le sol, - pendant que la mort faisait son œuvre !

29. La pluie, nuit et Jour, faisait rage - et les puces S'éparpillaient, - telle une famille réduite en captivité. - C'était là un signe clair de la colère divine, - un avertissement pour ceux qui viendront plus tard!

30. Pas de médecin pour les soigner tous - Ils furent victimes de leur puanteur, - parmi leurs hurlements tels des chiens. - Tu aurais pu les voir alors en proie à la terreur, - désespérant d'obtenir le résultat qu'ils avaient escompté !

31. Allah envoya dans leur camp des nuées de mouches - qui se jetèrent sur les galeux, - telles la brume ou un nuage ! - Ils hérissaient, pleins d'effroi, - après avoir gratté leurs corps jusqu'au au sang.

32. Puis, il arriva que leurs clercs — devinrent pareils à des lépreux. - Ils surent qu'Allah avait lancé -Sa colère contre les pécheurs - et qu'ils étaient dans l'erreur.



33. Ils dirent : «Lançons sur la mer - tous ceux quicommettent du mal, - et ils seront réduits en captivité. - Car (si nous gardons avec nous) les femmes et ceux qui ont péché, -nous serons pris en même temps qu'eux !»

34. Ils en remplirent des bateaux - et les envoyèrent à certain endroit - qui pourrait leur servir d'asile. - Mais les Musulmans sortirent - et les firent prisonniers !

35. Si tu avais vu les Mudéjares - quand cette nouvelle leur parvint ! - Ils écoutaient les réponses aux questions, - leurs têtes penchées, - leurs cœurs joyeux !

36. Ils dirigèrent leurs prières vers Allah, - dans les mosquées, dévotement, - pour que l'ennemi ne se vengeât point - contre le territoire des Croyants - et qu'ils fussent eux-mêmes à l'abri de ses méfaits.

37. Puis leur parvint la nouvelle — que la dévastation s'était exercée - sur le territoire de la Castille et que celui-ci était devenu - une leçon pour ceux qui questionnent, - par les mains des Musulmans,

38. Les Chrétiens, en apprenant ces calamités, - avec le sang des leurs répandu - furent alors sûrs de leur perte, - et ils battirent bientôt en retraite, - prenant la fuite vers leurs demeures.

39. Dans leurs tentes fut mis - le feu et elles furent incendiées. Groupe par groupe, ce fut la noyade - dans la mer, ô vous qui m'entendez, - de tous ceux qui n'avaient aucune assistance !

40. Jaime envoya ses messagers— mais ne patienta pas Jusqu'à leur retour, -à cause de ce qui lui fut dit. -Il laissa ses cavaliers au combat - et monta vers les matelots.



41. Il leur dit : «Debout, mettez à la voile ! - A mes paroles, obéissez ! - Les cavaliers de l'Islam s'avancent - dans notre direction, tout droit - et arrivent, vers nous !»

42. Si tu avais pu voir leur retour ! - Leurs tentes ils les mettaient en pièces. - Avec peine, ils battaient en retraite ; - chaque voix proférait ce gémissement: -« Pitié pour nous, vous qui avez bon cœur !»

43. Leurs vêtements étaient en lambeaux, - les brides de leurs chevaux en pièces, -leurs visages tout bariolés-d'une noirceur pareille à de la boue - qui les eût recouverts jusqu'au dessus du front !

44. ceux qui revinrent dans leur famille - la contaminèrent à leur contact, - et leurs voisins s'en rendirent compte. - (Les autres) succombèrent (en route) à la maladie - et ils gisaient sur les chemins.

45. ceux qui s'approchèrent d'eux eurent à le regretter - ils tombèrent malades ou prirent un mal chronique - et la mort les atteignit bientôt. - Les lieux de sépulture ne furent plus suffisants pour contenir leurs cadavres, - dans les églises on les enterra !

46. Si tu avais vu ce qu'ils firent- à Alicante, quand ils s'y installèrent : - ce fut une tuerie réciproque, -action de gens sans religion, - signe pour les observateurs !

47. Celui qui ne s'éloigna pas en toute hâte - vivant fut précipité malgré ses supplications, - et ses larmes coulaient comme la pluie !.- Ils bâtirent une voûte sur une citerne -et en firent la demeure des criminels.

48. A Alicante la grande - le château d'eau devint un sépulcre - pour les ossements des mécréants. - Ils les y en terrèrent par force, - encore en vie et suppliants !



49. Tu sais, mon Dieu, que - je n'ai pas terminé la Moitié de mon poème. -Combien aurais-je pu encore y raconter de choses ! -Si d'autres compositeurs voulaient parler à ce sujet, - ils ne termineraient leur composition qu'après bien du temps .

50. Je suis las de résider ici, comme Mudéjar! - Mon Dieu, fais-moi quitter ce pays, en condition - bonne et en temps propice ! - Car je suis ici au rebut, et méprisé - en plein milieu des mécréants.

51. Voilà ce que, sincère, a dit al-Qays_, -en suppliant Celui qui possède la gloire, - peut-être agréera-t-Il sa demande, - qui est l'invocation des Croyants : - «Qu'Allah vienne en assistance - à l'ensemble des Musulmans !.







حصار المرية*

709 هـ - 1309م

---

* رأينا من المفيد نشر هذا النص هنا لعلاقته بزجل القيسي المذكور آنفا.





حصار المرية[1]

709 هـ - 1309م

«وفي هذه السنة في يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الأول منها بموافقة شهر غشت من الشهور العجمية في أول دولة أبي الجيوش[2] حاصر البرشلوني[3] المرية وقائد أبي الجيوش عليها القائد أبو مدين شعيب بن شعيب[4] وعلى البحر القائد أبو الحسن علي الرنداحي[5].

والبرجلوني[6] المذكور طاغية أرغون خذله الله وصل عشية يوم الإثنين ثاني الشهر المذكور إلى طرف الفنت[7] من ساحل المرية الشرقي في ثلاثمائة قطعة بين صغار وكبار حربية وسفرية فحط هنالك وبات في أجفانه[8] فلما كان من الغد يوم الثلاثاء أنزل الخيل والعُدد والأزواد بتلك المواضع من طرف الفنت إلى الموضع المعروف ببركة الصفر[9]، وانتشر الفرسان والرجال بفحص المرية وخارجها، وفي الحين أمر القائد أبو مدين بهدم ما قارب الأسوار من المباني بخارج البلد، فهدمت، وسويت

---

1. راجع تقديمنا لزجل القيسي الذي مرَّ آنفا وقد ترجم هذا النص إلى الفرنسية إ. س. علوش ونشره في مجلة هسبريس 1933 كما ترجمه إلى الإسبانية ك.س. البرنث وضمنه في الجزء الثاني من كتابه إسبانيا المسلمة.
2. هو أبو الجيوش نصر بن محمد رابع ملوك بني الأحمر خلع أخاه محمد الثالث وتقدم مكانه عام 708 ولكنه أخر بعد ذلك وأجبر على الإقامة بوادي آش إلى أن توفي عام 722هـ وترجمته في الإحاطة واللمحة البدرية وغيرهما.
3. هو خايمي الثاني ملك أراغون (1291م - 1327م).
4. هو شعيب بن أحمد بن شعيب أبو مدين. ترجم له ابن القاضي في درة الحجال ولم يزد على قوله : قائد المرية وهو الذي نزل عليه البرشلوني وقت ولايته عليها سنة 709هـ». وهو من أسرة كانت مشهورة في المرية تولى أفرادها القضاء والخطابه والإمامة والقيادة. انظر تراجمهم في درة الحجال 1 : 127، 2 : 62، 3 : 73 وانظر أيضا الإحاطة 2 : 440 - 441.
5. هم من أسرة اشتهر أعلامها بقيادة الأسطول في المغرب والأندلس منذ عصر الموحدين. وكان أبو الحسن هذا صهرا لأبي عبد الله محمد بن شلبطور (درة الحجال 2 : 70) فقد كان هذا زوج بنت الرنداحي وكان محمد ولد محمد بن شلبطور ابن أخت الرنداحي ينوب عن خاله في القيادة البحرية (الإحاطة 2: 360 - 364) ومعلمة المغرب 13 : 4451.
6. سبق رسمها بالشين وهو المشهور ويوجد مثل هذا في أسماء أخرى.
7. هي La Fuente من أحياء المرية.
8. جمع جفن وهو المركب البحري.
9. لعل هذا الموضع المعروف بالبركة هو الذي ذكره الزهري في جغرافيته (ص 102) وقال فيه : «المعروف بالحوض».



بالأرض، وسدت أبواب البلد بالبناء إلا ما دعت الضرورة لتركه، وهُيِّئَت الأسوار للقتال، ولازمها الرماة والرجال.

وفي يوم الأربعاء ثاني يوم نزولهم احتفل النصاري في أحفل زيّ، وأتوا يضربون الأبواق والطبول حتى انتهوا إلى أسوار البلد مما يلي الرجال[1]. فقاتلوا البلد قتالا عظيما، وتكالبوا عليها تكالبا شديدا، وقد كان المسلمون على غير تعبئة، لخروجهم من البلد طمعًا في دفاع النصارى عند إقبالهم، لعدم الخبرة بحالهم ؛ ففروا أمامهم إلى البلد ولجئوا إلى الأسوار، ودافعوهم بالقتال والسهام عن البلد، وعصم الله وهو نعم النصير.

وفي يوم الخميس خامس الشهر المذكور وصل الشيخان أبو العباس : أحمد ابن طلحة، وأبو عبد الله، محمد بن أبي بكر[2] في نحو مائة وخمسين فارسا، وكان أولادهم بالمرية، فلما رآهم النصارى قد أطلوا خرجوا إليهم في خيلهم ورَجْلهم ومعهم الطاغية ملكهم، فصبر الغزاة القادمون لقتالهم أعظم صبر، وتجلدوا على جلادهم غاية التجلد، واقتحموا على رغم أنوفهم، وتكرارألوفهم حتى دخلوا البلد بعد أن هلك من خيلهم تسعة، وما نقص منهم عدد ؛ فكانت هذه الكائنة مما أكمدت النصارى وطاغيتهم أشد الوجد والكمد وأدخلت عليهم حزنا وأمدت المسلمين بأعظم المدد.

وفي سائر هذا البيت وصلت جيوش النصارى على البَرّ بما عم السهل والوعر من الخيل والرجال، فأحدقوا بالبلد إحداق الهالة بالقمر، والأكمام بالثمر، وقد كان لحق أهل المريّة لأول حصارهم دهش فلما ناشبوهم القتال، واستقر بهم النزال، ورأوا أن الحرب سجال، انبسطت للقتال

---

1. الرجال هم غير الرماة، وفي المطبوع : الرجل.
2. من شيوخ الغزاة الذين كانوا تابعين لمشيخة الغزاة المرينيين بغرناطة، ويفهم من العبارة أنّ شيوخ الغزاة كانوا موزعين على المدن الكبري في مملكة غرناطة وأنهم كانوا مصحوبين بأولادهم.





نفوسهم، وثارت للحرب عزائمهم، وافترس[1] رُماتهم، وانتصر حُماتهم، وصاروا يبادرون الحرب، ولا يهابون الطعن والضرب، وأخذ النصارى نفوسهم لأول الحصار بالمواظبة في القتال، والمصابرة بالنزال، وقلما ذهب لهم يوم إلا بقتال جديد، وجعلوا يرتبون الرجال نطاقا[2] على البلاد، ويضيقون الطرق، ويحافظون على الرتب[3]، ومهما ظهر لهم موضع راحة للبلاد، أو مسلك دخول أو خروج بادروا إليه ليسدوه، ونصبوا المجانيق وأعدوا الأثقاب[4]، وضيقوا الحصار وفتحوا إلى الحرب الأبواب.

فلما كان يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول المذكور احتفل الطاغية في مواكبه وجنوده، وراياته وبنوده، وأقبل نحو البلد في عدد كثير حتى وافى باب بَجَّانة[5] وهنالك أكثر نزولهم ومعظم قتالهم فأفاضوا في المقاتلة، واستقبلهم المسلمون بأشد المدافعة.

وكذلك كانت الحروب بينهم في عامة الأيام.

وفي يوم السبت الرابع عشر من الشهر المذكور أقبل جيش المسلمين من حضرة غرناطة طامعا في نصرة البلد ودفاع العدو عنها، فخرج الطاغية إليهم، والتقى الجمعان، فكانت الكَرّة على المسلمين، وقتل كثير من الرجالة والفرسان، وفي خلال ذلك خرج جمع من أهل البلد، فاختلفوا إلى مَحِلّة النصارى، فذهبوا منها كلّ ما قدروا عليه.

وفي يوم السبت الحادي والعشرين ضربوا ناقوسهم الكبير، وكانوا لا يضربونه إلا لركوب طاغيتهم، ودخلوا في السلاح بأجمعهم، وأقبلوا محدقين بالبلد من جميع جهاته، وأعدّوا للقتال أبراجا سامية من الخشب

---

1. افترسوا أي تشجعوا. وفي الأساس : ويقال ليس بفارس ولكنه يتفرس.
2. النطاق هنا ما يحيط بالشيء والمعنى أنهم ضربوا نطاقا حول البلد.
3. في أساس البلاغة : ورتب الأشياء ورتب الطلائع في المراتب والمراقب وهي مواضع الرقباء.
4. الأثقاب أو الأنقاب هي الأدوات التي يثقب أو ينقب بها الحائط.
5. هو أحد أبواب المرية منه يخرج إلى مدينة بجانة التي تقع على ستة أميال من المرية.





تندفع على عجلات، وشحنوها بالرجال والرماة، ويتلوهم الفرسان، ففرقوا ذلك على البلد، فدافعهم المسلمون وطرحوا عليهم الزفت والقطران، ورموا بالنيران، حتى فر النصاري عنها، وتمكن المسلمون من كثير منهم، وكان هذا اليوم من الأيام العظام.

وفي أول شهر ربيع الأخير أقبل جيش من حضرة غرناطة إلى مرسانة[1] ليرقبوا بها، فضيقوا على النصارى تصرفاتهم، وكانوا يخرجون من مَحلّتهم صبيحة كل يوم في جمع وافر من الفرسان ينتجعون من الوادي على دوابهم أنواع العصير[2]، وضروب الفواكه، ويجلبون الخشب لأبنيتهم، والحطب لوقودهم، فخرجوا على عادتهم يوم الأربعاء عاشر شهر ربيع الأخيز، فلما بلغوا الوادي خرجت عليهم كمائن المسلمين فانهزموا أمامهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا دوابهم وأسلحتهم، وكان عليهم في ذلك بوار وانكسار.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر لشهر ربيع الأخير أقبل جيش المسلمين وعليهم الشيخ أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء[3] فانبرت إليه جيوش النصارى، وتلاقوا بمواضع خارج المرية ؛ فكانت الدائرة على النصارى، وقُتل جماعة من زعمائهم وكماتهم وقتل الفرس تحت الشيخ أبي سعيد، لكن نجاه تعالى، وسلمه.

ولما ضاقت صدور النصاري بالحرب وفشا فيهم القتل في الأيام الفارطة عزموا على المكيدة ؛ فخرجت فرقة من فرسانهم ليلا، وأبعدوا عن

---

1. عند الإدريسي والحميري أن مرسانة أو مرشانه من حصون المرية. وهي غير مرشالة التي بكورة إشبيلية.

2. العصير عند الأندلسيين يطلق على العنب والتين وزمن العصير هو وقت جنيهما وقد كان الحصار كما ذكر في شهر غشت وما بعده.

3. هو أبو سعيد عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو. شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس ومن بيت الملك المريني. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة 4: 77 - 80 وقد عدد مواقفه وذكر أنه توفي عام 730هـ وكان عمرة 78 سنة واستوفى 732 غزوة ومات في ملحمة الجهاد فارتجت الأندلس لفقده.





المحلة، فلما كان الغد يوم الأحد الرابع عشر من شهر ربيع الأخير - أطلوا في زي جيوش المسلمين عليهم البرانس[1]، وعندما تظاهروا للمحلة، ركب الجيش إليهم على حال استعجال، وخلفوا أخبيتهم ليس فيها أحد يستدرجون بذلك أهل البلد للخروج إليهم وقد رصدوا لهم المكامن، وعملوا عليها الخيل، ونصبوا لهم الحبائل، ولما بصر المسلمون بظاهر الحال، ولم يكن عندهم شعور بالمكيدة رفعوا الأعلام في الأسوار وخرج الفرسان، وقائد البحر وجماعة من أعيان المرية قاصدين نحو الأخبية لينتهبوها، ثم إن الله سبحانه صرفهم عنها فعرجوا إلى جبل المرية[2] ليبتدئوا بما هنالك من الأخبية ؛ إذ كان أهلها من شرارهم. ولما شاهد أرباب الكمائن ذلك من فعل المسلمين حسبوا أنهم فطنوا للمكيدة، وأن تعريجهم إنما كان طلبا لنجاتهم ؛ فانبروا من مكانهم، وأرادوا قطعهم عن البلد ؛ فسُقط في أيدي المسلمين، واتفق أن قد كان فتح في تلك الجهة باب أمس ذلك اليوم، فلجئوا إليه واقتحموا عليه، ومن انقطع منهم عاذ بالسور، ودوفع عنه بالنبل، ودُلي لهم ألواح، وتستروا بها حتى ارتفع القتال وتحصنوا فتترسوا[3] وصرف الله مكرهم.

وفي يوم الثلاثاء السادس عشر من شهر ربيع الأخير أعملوا الحيلة في إقامة ألواح عظام عالية بموضع يعرف بالأسد على قرب من البلد، ووصلوا بينها بمسامير الحديد، وجعلوا يبنون خلفها ؛ فعظم الأمر في ذلك على المسلمين، وأقبلوا يحاولون تحريقها فيسر الله تعالى عليهم ذلك بعد جهد عظيم[4].

---

1. البرانيس جمع برنوس وهو لباس مغربي معروف.
2. يقول الإدريسي : «والمرية في ذاتها جبلان، وبينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة والجبل الثاني منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم» ويبدو أن هذا الجبل الثاني هو المقصود هنا.
3. فتترسوا أي احتموا بالتروس، يقال اتّرس وتترّس.
4. يقول ابن خلدون في العبر (7 : 518) : «ونصب عليها الآلات، وكان منها برج العود المشهور، طال الاسوار بمقدار ثلاث قامات، وتحيل المسلمون في إحراقه فأحرق».



وفي يوم السبت الموفى عشرين للشهر المذكور - كان القتال العام في البر والبحر، وركب الطاغية في أسطوله في البحر، وفرق جيشه على كل جهة من جهات البلد في البحر، وفي البر، وأقبلوا جميعا على القتال، وقد أعدوا من الأبراج والسلاليم ما يضيق عنه نطاق الاحتمال وصاروا لا يدفعهم قتال، وضاق الحال بالمسلمين، وانسدت أبواب الحيل فصرخ فيهم صارخ أن بادروهم بطرح العذرة عليهم؛ فهو أعظم نكاية لديهم، فبادر الناس في الحين لتناول ذلك وحمله؛ فوضعوا الشيء في محله، وقارنوا الشكل بشكله «ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله[1]» فكان الفارس منهم في أجمل حال في زيه، وإذا هو مكسو ثوب العذرة ؛ فيصير مسخرة بينهم، وكان ذلك أدهى عليهم من القتال، وفرج الله من شدة تلك الحال.

وفي يوم الأربعاء العاشر لجمادى الأولى وصل جيش المسلمين من الحضرة في خيل ورجل كثير، فأقبل الفرسان من جهة المناظر[2]، وأقبل الرجالة من جهة الجبل[3]، وكان التقدم للرجالة، فزحفت إليهم طائفة من فرسان النصارى، فلم يستطيعوا صبرا على مقاتلتهم ؛ فانهزموا أمامهم ومضت عليهم سيوفهم، وكان من لطف الله تعالى أن خرج طائفة من المسلمين من البلد إلى ما يليهم من المحلة قصد شغل النصارى عنهم وأحرقوا لهم بعض أخبيتهم وكثيرا من بيوتهم، فصعد دخانها في الجو، وعندما شاهد ذلك مقاتلة النصارى انصرفوا نحوه يظنون أن محلتهم أضرمت في جميعها النيران فكان ذلك للمنهزمين سببا لرفع السيف عنهم.

1ـ الآية 43 من سورة فاطر.
2ـ اسم موضع.
3ـ لا نعرف أي جبل من الجبلين الذين مر ذكرهما.





ولما انتهى فرسان المسلمين إلى الحفير الذي احتفره النصارى على محلتهم وعليه طاغيتهم عنده بجنده توقفوا عن مخالطتهم حتى فرق الليل بين الفريقين من غير قتال، وصار هذا الجيش من المسلمين بعد ذلك يرتب مرسانة[1]، فيأتون في أكثر الأيام إلى محلة النصارى يناهشونهم ويضاربونهم، وخف لذلك القتال عن البلد، فكانوا لا يقاتلون أهل البلاد إلا في اليوم الذي لا يأتي فيه جيش المسلمين.

وفي صبيحة يوم الجمعة الثالث لجمادى الأخيرة رام النصارى غدر البلاد من ناحية جبلها[2] فأتوا في عدد موفور بسلاليم عالية فرفعوها حتى ألصقوها بالسور، ووثبوا يصعدون فيها، ويرتفعون عليها، ولم يكن في تلك الجهة للاتفاق غير رجل واحد من المسلمين، فصاح بالناس فسارعوا إليه يتصايحون حتى غصت الأسوار بأناسها، وضاقت عن أهلها، فدافعوهم، وفتح الباب هنالك فخرجت منه طائفة من المسلمين فغلبوهم، وقتلوا رئيسا من زعمائهم فيمن قُتل.

وفي عشية يوم الخميس التاسع من الشهر المذكور أعملوا الحيلة على غدر هذه الجهة من العرقوب[3] مرة ثانية، وظنوا إخلاءها من الناس وقد كان ناسها استشعروا الحذر من الغدرة الأولى، ففطنوا لهم وتصايحوا، فاجتمع الناس إليهم، وفتح الباب هنالك، فتمكنوا منهم، وظفروا بعدد منهم.

1ـ هو الحصن الذي مر ذكره ومعنى يرتب يرابط ويراقب.
2ـ يبدو أن المراد بالجبل هنا جبل المدينة وليس جبل الربض.
3ـ اسم موضع.





وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين لرجب سقطت ستارة من السور بحذو باب الغربي[1] فانْتُدِب النصارى إليها، وتهالكوا عليها، وتقاتلوا قتالا مستمرا بطول اليوم، وهو آخر قتال كان بينهم وبين أهل البلد إلى أن ارتحلوا[2].

وإنما أطلت بهذا الحصار ؛ لما فيه من العبرة لأولى البصائر والأبصار وكانت عدة فرسانهم ثلاثة آلاف فارس منها ألف مدرعة وأربعمائة مبرقعة[3] والسائر تبع لهؤلاء وأما الرجالة فلا يحصون كثرة، هلك من جميعهم في هذا الحصار تسعون ألفا قتل منهم أهل المرية بطول الحصار أربعة عشر من الزعماء وسبعمائة من الفرسان وواحدا وعشرين ألفا من الرجالة، والسائر قتلهم جيش المسلمين.

وعدة أخبيتهم نحو الثلاثمائة وأما القياطين[4] والبيوت فممَا لا يأخذه حصر.

وعدة المجانيق التي نصبوا للرجم أحد عشر منجنيقا رعادة تدور بالبلد وينقل بعضها من جهة إلى أخرى منها ما يرجم أسوار البلد، ومنها ما يرجم داخل البلد، ومنها ما يرجم القصبة.

ومعظم تسلطهم وكلبهم على أسوار العرقوب، وعدة الحجارة التي رمت بها المجانيق بطول الحصار اثنان وعشرون ألفا.

وانظر لحكمة الله كان عدد موتاهم أضعافا للأحجار المرمى بها من حجر يزن ثلاثين، إلى حجر يزن خمسة وعشرين.

1ـ ذكر الإدريسي أن للمرية أبوابا عدة، وهذا أحدها وقد مر ذكر باب بجاية. والتسمية بباب غربي توجد في بعض المدن، المغربية وغيرها وذكر الحميري أن للمرية بابا شرقيا خارجا عن أسوار المدينة.

2ـ المدرعة : الذين يلبسون الدروع، والمبرقعة : الذين يلبسون البرقع الحديدي.

3ـ ذكر ابن خلدون (7 : 518) شيئا زائدا على ما ذُكر، قال : «وحفر العدو تحت الأرض مسربا عريض المسافة مقدار ما يسير فيه عشرون راكبا، وتفطَّن لهم المسلمون وحفروا قبالتهم مثله إلى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا تحت الأوض.»

4ـ القياطين : جمع قيطون وهو أصغر من الخباء والخيمة.



وكان لأهل البلد منجنيق واحد يرمون بها برا وبحرا بحسب الحاجة فلما تكسرت لحجر أصابها صنعوا ثلاثة مجانيق أخرى، ومن أسباب عصمة الله تعالى لأهل البلد في هذه المدة ما توفر لمخازن قصبته[1] من الشعير الكثير، وصاروا يفرقون ذلك بحساب رطل لكل نفس بسوم قيراط واحد للرطل من غير تفرقة بين قوي وضعيف، وأنهى ما بلغ إليه الرطل من القمح ثلاثة دراهم، والخبزة منه إحدى عشرة أوقية بدرهمين.

وعدة من استشهد من أهل البلد لطول الحصار مائة وتسع وخمسون نسمة منهم امرأتان وسائرهم رجال.

ثم أرسل الله الريح الغربية مدة شهرين فمنعت أجفانهم السير، وقطعت عنهم المير[2] حتى عمهم الجوع، فأجابوا إلى الصلح على مال التزم لهم، فوصل الحمام إلى المرية مبشرا بذلك، وذلك يوم الأحد الحادي والعشرين لرجب من السنة وقد أنف من ذلك جيوش قشتالة، ووسقوا أثقالهم في المراكب، وما عجزوا عنه أضرموا فيه النيران، وبقي منهم طائفة بعد ذلك ضاقت عليهم الأجفان فأقاموا تحت الذمة، ورحلت المحلة بطاغيتها المخزي في غضب الله إلى لعنة الله وسوء المصير، وذلك يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان منها فكانت مدة الحصار إلى مدة التمام ستة أشهر غير عشرة أيام.

وفي شهر رمضان من السنة المذكورة حُشد أهل بادية المرية لهدم ما بقي بعد الحصار بخارج البلد من الحيطان والأبنية خوفا مما كان يتحدث به من عود الطاغية البرجلوني إليها، ونزوله عليها كرة أخرى فامتنعت إلى أن حل قضاء الله وقدره وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وإنما ذكرناه للاعتبار في مقدورات الله.

---

1. تحدث الزهري عن مخازن قصبة المرية فقال : «ومن عجائبها أنها يختزن بها الشعير ستين سنة لايتسوس ويؤكل بخلاف غيرها من المواضع» ص 206.
2. المير والميرة : الطعام والمؤونة.





زجل
قفل الحارس علي دربكم
لمحمد الصواف







يوجد أصل هذا الزجل ضمن مجموع مخطوط في إحدى مكتبات هولندا وكان المستشرق A.R.NYKL قد حصل على صورة منه ونشره في مجلة الأندلس تحت العنوان التالي : UNA CANCION POPULAR MARROQUI أي : قصيدة شعبية مغربية، ونظرا لمرور زمن طويل على تاريخ صدور هذا الزجل فقد رأينا أن نعيد نشره مع هذه المجموعة من الأزجال المغربية والأندلسية القديمة ؛ وهو يتألف من 28 مقطعا وعروضه يمكن أن ينطبق عليه بحر الرمل ؛ فاعلاتن فاعلاتن فاعلن، وعلاوة على عروضه الخليلي، فمعظم ألفاظه وتراكيبه قريبة من اللغة الفصيحة ؛ والألفاظ العامّية المغربية نادرة، ومع أن صاحبه يقول أنه صواف أودراز فإن لغة زجله وأسلوبه ومعانيه تدل على أنه كان ذا حظ من الثقافة، وقد ذكر اسمه وكنيته وصنعته في آخر زجله، فهو القيم محمد بن عباس الصواف، ولا يعرف عنه أزيد من هذا، ولايوجد له زجل آخر، وهو يقول في خاتمة زجله :

جَبْت ذا المَنْظومْ بْدَيعْ مِن فكْرَتي

وإنْ ارْدتــو غَيْــر ذَا سَمَّعْتُكُمْ

ولكننا لانعرف هل نظم بعده شيئا أم لا، وإذا كنا نجد في بداية هذا الزجل وخاتمته وبعض استعمالاته مثل كلمات الدخول والمعاني زيادة على الخط المغربي الذي كتب به مايدل على مغربيته فإننا نستغرب ورود بعض الألفاظ والأسماء المشرقية مثل كلمة تعا أي تعال وكلمة أدي بمعنى هاهو وهاهي أو هذا وهذه وكبشة بدل كمشة وقد استغربنا كذلك قول ناظم الزجل في معشوقته طفله ست أهل العراق.

ومهما يكن من أمر فإن الاستفادة التاريخية من هذا الزجل غير ممكنة مادمنا لانعرف صاحبه ولابلده ولازمنه.

أما موضوعه فإنه شبيه ببعض حكايات ألف ليلة وليلة وهو قريب كذلك من موضوع الحراز الذي برع فيه شعراء الملحون وفيما يلي نص الزجل :





1. قَبْلَ ما أَدْخُلْ في الْمَعَانِي والدُّخولْ[1]

أَمْدَح الْهَادِي النّبي طَهَ الرَسُولْ

كُلْ مَنْ صَلَّى عليه يُعْطَا الْقَبُولْ

كُلّكُمْ صَلُّوا غدا يَشْفَعْ لَكُمْ

* * *

2. بَعْدَ مَدْحَتِي في النَّبِي خَيْرِ الأَنَامْ

قُلْت هذا الشِّعْر حِين زادني الْغَرَامْ

لِلْمِلاَحِ أَنْشَدت قايل دَا الْكَلاَمْ

أَوْعِدُوني ثُمَّ أَوْفو وَعْدَكُمْ

* * *

3. نَامَت العَالَمَ وعَيْنِي لَمْ تنامْ[2]

وبلَى جِسْمِي بآلاَمِ السَّقامْ

وَأَنَا في حُبِّكُمْ زَايِدْ غَرامْ

لأَجَل دَا الطَّيرِ الذي في بُرْجِكُمْ

* * *

1ـ الدخول : لست أدري هل يقصد المعنى الاصطلاحي الذي يعرف عند أهل الملحون ويقصدون به الجزء الأول من القصيدة أم لا.

2ـ قوله : وعيني لم تنام : لم تنم، ولست أدري هل ينظر إلى قول بشار:

لم يطلِ ليلي ولكن لم أنم   ونفى عني الكرى طيف ألم



4. ضاعْ زَماني في هواكُمْ وانْقَضَا
وأَنا صابرْ عَلَىْ حُكْمِ الْقَضَا
فَبحَق الْمُصْطَفَا والمُرْتَضا
دَوِّقُونَا مِنْ حلاوة قُرْبِكْم

* * *

5. قَالُوا احْنَا مَنْ بلَى في عشْقِنَا
مايدُوقْ شي منْ حَلاوة قُربنا
حتَّى يُرْضي قبْل حَارسْ دَربِنا
قُلْت أنَا أُرْضي كُل مَنْ في دَرْبِكُمْ

* * *

6. قَالُوا احْنا[1] دَرْبنا درْب بَعِيدْ
ماتصِلْ لُو إلاَّ عَلى خيل الْبَرِيدْ[2]
قُلْت لَوْ كَانْ دَرْبكُمْ في أَقصا الصَّعِيدْ
جيتكُمْ والقَلْب كماله عِنْدَكُمْ

* * *

1ـ احنا : نحن. الدرب : يطلق في العامية الأندلسية والمغربية على الزقاق، وقد كان للدروب والحومات أبواب تقفل في الليل ويقوم عليها درابون أو حراس. أنظر نفح الطيب 1 : 219 وقاموس دوزي 1 : 429. وكانوا يعرفون في المغرب خلال العهود الأخيرة بالبياته جمع بيات.
2ـ خيل البريد : كانت تختار لسرعتها رتبدل عند كل محطة والصعيد بلاد في مصر.

7. أَوْعَدُونـي ثُمَّ قالُوا لي الْمِـلاَحْ
زُورونا في جُنْح لَيْل قَبل الصَّباحْ
واخْتَصُّني (1) بالْوَصْل يا أهْل السَّماحْ
قُلْت أَجِيكُمْ ما أُخَالِفْ قَولـكُمْ

* * *

8. قُمْت في اللَّيل البَهيمْ جُنْح الظَّلامْ
أَرْتَجي وَصْل الْحَبَايبْ والسَّلامْ
صِرْت قَايلْ يامِلاح هذا الْكَلامْ
يامِلاَحْ غَرِّيتْ برُوحِي (2) لأَجْلِكُمْ

* * *

9. حِينَ أتَيْتَ الدَّرب أَلْقاه انْقَفَلْ
بِالعَجلْ(3) قَدْ ساحَ دَمْعي وانْهَمَلْ
صِرْت قايلْ يامِلاح كيف العَمَلْ
قَفَل الْحَارس علياَ دَرْبَـكُمْ

* * *

10. حِينْ قفَلْ قَدْ زاد عليّا حُبُّكُمْ
والْعَسَسْ دائِرْ وانا مُغْرَمْ بِكُمْ
وأخَاف يَنْظرني حارسَ دَرَبْكُمْ
مَايرْحَمْني وَدا مِنْ أَجْلِكُمْ

* * *

---

1. واختصوني : وخصوني أي تفضلوا علي.
2. غربت بروحي : غررت بنفسي
3. بالعجل : العجل والعجلة : السرعة. قفل : أقفل.





11. قَفلوا أَبوابهُمْ ياوَحْشَتي
وأطْلَقُوا نارَ الْجَفا في مُهْجَتي
مَنْ يدُاويني ويَرْحَمْ عَبْرتي[1]
ويبيتّْني لُويلَة عِنْدكُمْ

* * *

12. جيتْ إلَى الْبَوَّابْ وقَلْبي في خُشوعْ
وشكيت مابيَ وارْخيت الدمُّوع
قال إيشْ بكِ[2] قُلت عَاشقْ ولُوعْ
وأنا قَدْ جيتْ قاصِدْ فَضْلكُمْ

* * *

13. قَالْ لي في مَنْ أَنت عاشقْ في الزُّقاقْ
قُلْت في طَفْله ست أَهْل العِراَقْ[3]
قالْ تريد الْوَصْل والْبُوسْ والْعِناق
اقْضي شغْلي وأنا أقْضي شغْلكُمْ[4]

* * *

1. عبرتي : دموعي.
2. إيش بك : ماذا بك.
3. ست أهل العراق : لست أدري لماذا هذا المثال إذا كان صاحب الزجل مغربيا أم أنه للقافية فحسب.
4. اقضي شغلي أي اعطني وأكرمني.



14. قُلْت ياحارسْ رضاكْ عِنْدي وَجَدْ
كَبْشَتَيْ فضهّ[1] أَنا أعطيكْ بالعَدَدْ
قَالْ تَعَا اللَّيلَة ولاَ تَعْلَمْ أَحَـدْ
حَتَّى أُعلِمها ووفَّقْ بينَكُمْ

* * *

15. قُلْت يا حَارسْ مَتَى هذَا الْمَقالْ
قَالْ لي اللَّيلة حدْاَ بَيْتي حفْاَل[2]
وأَهْل دَرْبي كُلُّهُمْ في اشتِغَالْ
مِثْل دَ اللّيلَة تكنْ تَصْلَحْ لكُمْ

* * *

16. قُلْت ياحارسْ أخـاف يَاتي إِلَيْ
كَلْبهُمْ دَاك الْمَشُومْ[3] يَنْبح عليْ
ويَجُوني يرَبْطُوني يا اخيْ
وأُرْبَطْ يَا صَاحبي في دَرْبـكُمْ

* * *

17. قالْ لي دَاك الكَلْب صارْ في سِلْسله
لاَتخَافْ شَي قَط منْ د الْمسْأله
هاتْ معكْ شَيْ واطْعِمه تُكْفَى اللَّيلَة
حِينْ يَراكْ يبْقَى ينَامْ مِن أَجلكُمْ

* * *

1ـ كبشة وكمشة ملء الكف وكبشتان أي كبشان من الفضة، وتعا : تعال.
2ـ حفل أي اختفل وهيئ نفسك.
3ـ المشوم : المشئوم.



18. حِينْ رَايتُه جَيّدْ وسِرّي مافشَا
غِبت عَنه وأتيتُ بَعْدَ العِشَا
حِينْ راني قَام ونَحْوي قَدْ مَشَا
وَغَمزْنِي قَالْ تَعا أدّى وقْتكُمْ[1]

* * *

19. فَمشيت خَلْفه وأنا في افْتِكَارْ
حَتّى أوقفَني علَى تِلْكَ الدِّيارْ
قالْ أدى مَعْشُوقتَكْ[2] في الانْتِظارْ
فيسَعَ ادْخلْ لا أحَدْ يدَرْا بِكُمْ

* * *

20. فَدخلت الدَّارْ وفي رَأسي خُمورْ[3]
وأَنا نَشاتي[4] زايدْ سُرُورْ
فَرأيت مَعْشوقتي زَيَّن الْبُدُورْ
قُلْت ستِّي قَدْ ضَنَاني بُعْدُكُمْ

* * *

21. وأَتيتك أَشْتَكي كُثْر الْبِعادْ
ولَهيب الشّوق يشْعَل في الْفُؤادْ
منْ جَميلَكْ أَرْتَجي نَيل الْمُرادْ
ارْحَمُوني دَوقُوني وَصْلَكُمْ

* * *

1. أدي وقتكم : هاهو وقتكم، وهذا هو وقتكم.
2. أدى معشوقتك هاهي معشوقتك، فيسع : في ساعة أي أسرع وعجل.
3. خمور : في مختار الصحاح : خمرة وخمر وخمور.
4. ونشاتي : نشوتي.



22. أَسأَلَكْ يامُنْيتي طِيب الْوِصالْ
وَاصلِيني يابديعَةَ في الْجَمالْ
مِنْ صُدودكْ قَدْ بَقيت رَقّ الْخِلال[1]
وَاصليني واقْبلِيني عِندكُمْ

* * *

23. قَالَتْ أنت ارضيتْ حَارسْنا فُلاَنْ
قُلْت هُو الِّي جَابْني[2] هذا الْمَكَانْ
وقَدْ ارضيتُه تعيشي في أمانْ
يامَلِيحة اللَّه يطِيل في عُمْرُكُمْ

* * *

24. حِينْ صغَتْ للقَول قَامَتْ بانْشِراحْ
أخدتني نِمت معها للصّباحْ
وقضيت الوَصْل منْ سِت الْمِلاحْ
قُلْت سِتِّي آه ما احْلا وَصْلكُمْ

* * *

25. عِنْدَ وَقْت الصَّباح جا الْحارس لَنا
قالْ أهنِّيكُمْ على نَيْل الْمُنَا
وأنَا كُنت السَّبَبْ في دَ الْهَنَا
أنْعِموني بالْفُتوح[3] مِنْ مالكُمْ

* * *

---

1. رق الخلال : رقيق الخلال أي رقيق الطبع أو تكون رق الحال أي رقيق الحال.
2. إلى جابني الذي جاء بي.
3. بالفتوح : بالأجر.



26. قُمْت أرضيتُه ورَدّيت الْجوابْ
وشَكَرْنا لُه علَى حُسْنْ الخِطابْ
وأَسأل اللَّهْ أَنْ يجود لي بالْمتابْ
ويسامَحني ويَـَغْفر ذَنْبكُمْ

* * *

27. بَعْد هذا نَمْدح نبيبا الْمُصْطَفَا
ابْن زَمْزَم والحَطيمْ وابن الصَّفَا
مَنْ لُو الموْلا قَد اختْارْ واصْطَفَا
كُلكُمْ صلُّوا غدا يَشْفع لكُمْ

* * *

28. وأَنَا الْقَيِّمْ محمَّد كنيـتي
ابن عَبَّاسْ والصوافه صَنْعَتي
جَبْت دَ المنظومْ بديعْ من فكرتي
وأَنْ أَردتُو غَيْر دَ اسمعتكُمْ



ترجمة إسبانية للزجل المذكور*

*سبق للمستشرق البوهيمي أ. ر. نيكل نشر هذا الزجل في مجلة الأندلس مع ترجمته إلى الاسبانية ورأينا إعادة نشر هذه الترجمة بعد أن مر عليه زمن طويل وذلك للزيادة في الإفادة والإيضاح.



UNA CANCIÓN POPULAR MARROQUÍ

Este es el cuento [talado] «¡El sereno me cerró tu callan!», acatado y completo. ¡Loado sea Dios en todo momento!

¡En el nombre de.Dios, Clemente y Misericordioso!

1

Antes de empezar y dar comienzo a mis palabras, • he de alabar al Guu T_h_ el Profeta.* Todo el que pida su glorificación, será bien acogido. * Pedidla todos, y el día de mañana él intercederá por vosotros.

2

Y, después de haber alabado al Profeta, la más perfecta de las criaturas, *digo que compuse estos versos cuando aumentó mi pasión • Se los recite a mi amiga, diciéndole estas palabras: * «--¡Dame una cita y cúmplela puntualmente!)»

3

Todo el mundo duerme y yo no pegoojo.* Mi cuerpo se adelgaza de pena.* Por tu amor, aumenta mi anhelo, * conforme al agüero de tu signo del Zodíaco.

4

Mi vida, e consume y acaba por tu querer, * y yo me resigno al decreto del Destino.* Pero por el Escogido y el Aprobado te lo ruego: • jDejame probar la dulzura de estar cerca de ti!

5

Ella dijo:«- ¡ Oh tú, que estás, atormentado por mi amor! • No probarás nada de la dulzura de estar cerca de mí, • si antes no te con gracias con el sereno de mi callejón.» • Le contesté:« -¡Yo me con graciaré con todos los que viven en tu callejón!»

6

Ella dijo: «- Mi callejón es un callejón muy lejano. • No llegarás, A el, si no es en un caballo de la poste.» • Le contesté : « - Aunque tu Callejón este en lo más remoto de Egipto,* llegaré a ti, pues mi corazón Ya está entero a tu lado.»





7

Me dio cita, y luego me dijo mi amiga: * « — ¡Ven a verme en la oscuridad de la noche, antes del alba, * y dame a .mí sola tu amor, oh generoso!» * Le contesté: « — Iré a verte y no me opondré a lo que dices.»

8

Me levanté en la noche, bajo el ala espesa de la tiniebla, * esperando reunirme con mi amor y gozar de la dicha, * y me puse a decir a mi amiga estas palabras: * « — ¡Oh amiga mía, por ti tengo celos hasta de mi alma!»

9

Cuando llegué al callejón, lo encontré cerrado. * Al punto se me «¡litaron y corrieron las lágrimas. * Comencé a decir: « — ¿Qué voy a hacer, amiga mía? * El sereno me cerró tu callejón.»

10

Cuando lo vi cerrado, aumentó mi amor por ti. * La guardia hacia su» rondas y yo no pensaba más que en ti. * Tenía miedo de que me viera el sereno de tu callejón * y no se apiadara del amor que te tejo.

11

Cerraron las puertas. ¡Qué sólo me han dejado! * Atizaron en mis entrañas el fuego del tormento. * ¿Quién me consolará y tendrá piedad de mis lágrimas * y me hará pasar una nochecita contigo?

12

Me acerqué al portero, con el corazón humilde; * le conté mis cuitas y dejé correr mis lágrimas. * Me preguntó: « - ¿Qué te pasa?», y le contesté: « - Soy un enamorado ardiente, * y he venido para pedirte Hft favor.»

13

Me dijo: •« - ¿De quién estás enamorado en el callejón?» * Le con. testé: « - De una muchacha que avergonzaría a las bellas del 'Iraq» * Me dijo: « - ¿Y quieres estar con ella, besarla y abrazarla? * pues arregla mi asunto, y yo arreglaré el tuyo.»





14

Le dije: « - ¡Oh, sereno! Tengo con qué arreglarte. * Te daré un puñado de plata bien contada.» * Me contestó: «-Pues ven por la noche, y no se lo digas a nadie, * para que yo la avise y os ponga de acuerdo.»*

15

Le dije: « - ¡0h, sereno! ¿Cuándo se cumplirá esta palabra?» * Me contestó: « - Esta noche habrá fiesta en mi casa. * Los vecinos de mi callejón estarán todos ocupados. * Una noche así os convendrá.»

16

Le dije: « - ¡Oh, sereno! Tengo miedo de que me salga al encuen tro * el maldito perro que está por ahí y me ladre, * y venga, hermano

mío, la gente a atarme, * y me quede, amigo mío, atado en tu callejón.»

17

Me contestó: « - Ese perro estará sujeto con la cadena. * No tengas ningún miedo por ese lado. * Trae algo de comer y le tendrás contento. * Cuando te vea, se quedará dormido y no te hará caso.»

18

Cuando le vi propicio y que no delataría mi secreto, * le dejé y volví después de cenar. * Al verme, se levantó y se vino a mí. • Me guiñó el üjo y me dijo; « - Ven, este es el momento.»

19

Me fui tras él, muy pensativo, * hasta que me llevó delante de aquella casa. * Me dijo: « -Ahí tienes a tu querida esperándote.* Date prisa y entra, que no lo sabrá nadie.»

20

Entré en la casa, con la cabeza como si estuviese borracho, • pero, en mi aturdimiento, lleno de alegría. *Y vi a mi querida, adorno de lar bellezas, * y le dije: « -Señora mía, vuestro desdén me ha hecho penar.





21

He venido para quejarme de tu mucha altivez, • con llamas de deseo ardiendo en el corazón. • De tu bondad espero que lograré mi anhelo. * Ten piedad de mí y dame a probar tu amor.

22

Te pido, cariño mío, la dulzura de tu amor. * Convídame a tus brazos, ¡oh bella entre las bellas! * Por tus desvíos me quedé delgado como un alfiler. * Convídame a tus brazos y acéptame a tu lado.»

23

Díjome: «—¿Te has congraciado con mi sereno Fulano? » * Le dije- « - Él es quien me ha traído a este sitio. * Me he congraciado con él. Estáte, pues, tranquila. * ¡Oh hermosa, Dios prolongue tus días!»

24

Escuchó en silencio mis palabras y se levantó alegremente. * Me dejó entrar y dormí con ella hasta la aurora. * Logré el amor de la muchacha bonita, * y le dije; « - ¡Oh, señora mía, qué dulce es tu amor!»

25

A la hora del alba vino el sereno a nosotros, * y nos dijo: «- ¡Al bricias por el logro de los deseos! * Puesto que yo fuí la causa de esta felicidad, * favorecedme dándome algún dinero.»

26

Me levanté, le contenté, y le respondí. * Le dimos las gracias con palabras corteses, * Ahora pido a Dios que me otorgue el arrepentí. miento, * que me disculpe a mí y perdone también vuestros pecados

27

Y después alabemos a nuestro Profeta, el Escogido, • hijo del Zemzem y del Hatim y del Safa, * a quien el Señor eligió y escog ó. *¡Pedid todos su glorificación, y el día de mañana él intercederá por vosotros!

28

Yo soy al-.Qayyim Muhammad y me apellido • Ibn 'Abbas. Mioficío es el de tejedor de lana. * Estas coplas peregrinas las saqué de mi ingenio. * Si queréis otras, os las recitaré.





زجل
لأبي عبد الله اللوشي





مما يتميز به ابن خلدون أنه كان ذا أفق واسع ونظر شامل، وقد تجلى هذا ـ فيما تجلى ـ في التفاته إلى التراث العامي، ودفاعه عنه، وعنايته بتدوين أمثلة مما كان يحفظه منه، ويعتبر الفصل الذي خصصه لأشعار العرب وأهل الأمصار في وقته من أهم فصول المقدمة، ويعنينا منه هنا حديثه عن الزجل في الأندلس والمغرب لعهده وذكره أمثلة من أزجال بعض المشهورين في ذلك العهد وسنقتبس منها زجلا لأبي عبد الله اللوشي وآخر لابن عمير الفاسي وثالثا لابن شجاع التازي.

أما زجل أبي عبد الله اللوشي فقد جاء بعد تمهيد لابن خلدون يقول فيه: «وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فنّ العامة بالأندلس من الشعر، وفيها نظمهم. حتى إنهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر، لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم:

دَهْرَ لي نَعْشَقْ جفُونَكْ وَسنينْ   وأَنْتَ لا شَفَقَا ولاقَلْب يلين
حتَّى تَرَى قَلْبي من أجلْك كيف رْجَعْ   صِفَةَ السّكَّة بين الحدّادين
الدّموعْ ترَشْرشْ والنَّارْ تَلْتَهبْ   والمَطَارقْ مِنْ شمالْ ومنْ يَمين
خلَق اللَّهْ النَّصَارى للغَزُو   وأنْتَ تغْزُو قُلوب العَاشقينْ

وكان من المجيدين لهذه الطريقة لأول هذه المائة الأديب أبو عبد الله اللوشي[1]» ثم ساق ابن خلدون الزجل الذي سنورده فيما بعد. وصاحب هو أبو عبد الله محمد بن محمد اللوشي ـ وقد تحرفت نسبته هذه إلى الإلشي والألوسي في عدد من طبعات المقدمة.

كان صديقا لمحمد الغالب بالله النصري قبل أن يصبح أول ملوك بني نصر وكان لأهله اللوشيين سابقة في قيام هذه الدولة. فرعت لهم ذلك وكانوا مقربين من ملوكها الأولين، وقد ترجم ابن الخطيب في الإحاطة والكتيبة لأبي عبد الله اللوشى هذا وقال إنه كان شاعراً مفلقا «نشأ مدللا في حجور الدولة النصرية خفيفا على أبوابها، مفضلا على مُدَّاحها» وذكر

1ـ مقدمة ابن خلدون 4 : 1464. تحقيق الدكتورعلي عبد الواحد وافي.





ابن الخطيب في أوصاف الناس أنه «طولب بالحضور مع الكتاب، وملازمة خدمة الباب، فتجنى على عادته، وتوعد بإسقاط مرتبته، فلم يرغب في إعادته، بل كَبَّر على الخدمة أربعاً وسَلَّم، وما ارتمض لها ولا تألم» ووصفه كذلك بأنه كان «مليح الدعابة ذاكرا لفنون من الأناشيد»[1] وقال في أوصاف الناس : «وأما الطريقة الهزلية (يعني الزجل) فهو فارس مجالها، وإمام رجالها، ورب رويتها وارتجالها[2]» . وأما ابن خلدون فقد صرح كما رأينا بأن اللوشي كان من المجيدين لطريقة الزجل في أول القرن الثامن الهجري وأورد له زجلا لا يوجد إلا في المقدمة ولايعرف له غيره، وهو من حيث بنيته العروضية لا يختلف عن القصيدة التقليدية، وقد ذكر صفي الدين الحلي أنهم كان يسمون هذا النوع من الزجل بالقصائد الزجلية التي تنظم حسب البحور الخليلية. وبحر هذا الزجل من السريع وقد صرح اللوشي في آخره أنه نظمه على عروض «ياشمس خدر ما لها مغرب» وهذا مطلع قصيدة لابن الزقاق البلنسي، وتمامه :

ياشمس خِدرٍ ما لَها مغربُ   أرامةٌ دارُكِ أم غُرَّبُ

وهذه القصيدة التي نسج اللوشي قصيدته الزجلية على منوالها هي أطول قصائد ابن الزقاق فهي تتألف من 72 بيتا، وقد مدح بها أبا عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز الذي تولى أمر بلنسية بعد انتهاء عهد المرابطين أما موضوع قصيدة اللوشي فهو مدح السلطان ابن الأحمر ولكن الشاعر لا يتخلص إليه إلا بعد 30 بيتا في الوصف والغزل والتغني بالخمر. وقد وقع في متن هذا الزجل اختلاف وخلط في طبعات المقدمة وبعض نسخها الخطية[3] وتمكنت من تقويمه وضبطه في الجملة بمساعدة الصديق الأستاذ إبراهيم شبوح الذي أمدني بصورة الزجل في مخطوطة الظاهري في العبر ومخطوطة أحمد الثالث وإني لأشكره جزيل الشكر، وفيما يلي نص هذا الزجل.

---

1. الإحاطة 2 : 270.
2. يوجد مثل ذلك في بقية الأزجال التي في المقدمة.
3. يوجد مثل ذلك في بقية الأزجال التي في المقدمة.



طَلَّ الصَّبَاحْ[1] قُمْ يَانَدِيمْ نَشْرَبُو   وَنضحكُو مِنْ بَعْدْ مَا نَطْرَبُوا
سَبِيكَةَ[2] الفَجْرْ أَجلَتْ شَفَقْ   فِي مِيلَقِ[2] اللَّيلْ فَقُمْ قَلَّبُو
تَرَى عِيَاراً[3] خَالِصَ ابيَضْ نَقِي   فِضّ هُو، لكنّ الشَّفَقْ ذَهَبُو
فَتَنْتَفَقْ سِكَّتُو[4] عَنْدَ البَشَرْ   نور الجُفُونْ مِنْ نورها تَكْسَبُو[5]
فَهُوَ النَّهَارْ يَاصَاحِبِي لِلْمَعَاشْ   عَيْش الفَتَى فِهْ يَاللَّه مَا أَطْيَبُو
واللّيلْ يَضّا لِلقُبَلْ والعِنَاقْ   عَلَى سَرِيرِ الوَصْلِ نَتقَلَّبُو[6]
جَادَ الزَّمَانْ من بعدْ ما كانْ بَخيلْ   ولِش كيفلْتَ مِنْ يَدَيه عَقْرَبُو
كَمَا جَرَعْ مُرُّو فِمَا قَدْ مَضَى   يَشْرَبْ بَنِينُو[6م] ويَكُلْ طَيِّبُو
قَالَ الرَقِيبْ يَا أُدَبَا أَشْ ذَا   في الشّرْبْ والعشق نَرَى تنجبو
واتْعَجَّبوا عذّالي من ذَا الخَبَرْ   فقُلْتُ يَاقُومْ مِنْ ذَا تتْعَجَّبُو
يَعْشَقْ مَلِيحْ إلاَّ رَقِيقْ الطّبَاعْ   علاشْ كنَقْرو بِاللَّه أَوْ نَكْتِبُو
لِشْ يربح الحُسْنْ إلا شاعِرْ أديبْ   يفتَضّ بِكْرو ويَدَعْ ثَيِّبُو
وإنّما الكَاسْ فَحَرَامْ هُو حرَامْ   على الذي لس يدري كيف يَشْربُو
واهلْ العقَلْ والخَنْكَرَا[7] والمُجونْ   تُغْفرْ ذُنوبْهمْ هَذَا إنْ أذْنبُو

1- يشبه مطلع صبوحية لابن زمرك وهو :
ريحانة الفجرِ قد أظلّت   خضراء بالزهر تزهر
ورايةُ الصبح اظلّت   في مرقَب الشمس تنشر
فالشهب من غارة الصباح   ترعد خوفا وتخفق
وأدهم الليل في جماح   أعنّة البرق يطلق
والأفقُ في ملتقى الرياح   بأدمع الغيث يشرق
2- السبيكة : فضةٍ مسبوكة، شبه الزجال بها لون الفجر.
3- الميلق : ما يعير به الذهب والفضة ولونه أسود ولبعض الأندلسيين في هذا الميلق الذي يختبر به :
ما ميلَقْ العالَمِ إلاّ الّذي   يخبُره العالَم في الميلَق
ذاكَ الّذي يكشف أسرارهم   فيفضح الفاجر والمتقى
4- أي تنفق سكته وتروج والإشارة إلى نفاق النهار عند الناس وإستمتاعهم به.
5- يعني أن نور العيون مكتسب من ضوء النهارويضا = أيضا.
6- في هذين البيتين إشارة إلى قوله تعالى : «وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا».
6م - مرو : مره. بنينو : بنينه وكلمة بنين وجمعها بنان ومعناها طيب المذاق وما تزال مستعملة في لهجتنا وراجع قاموس دوزي 1 : 116.
7- الخنكرا : وردت في VOC مرادفة للتنعم والتبذخ.



وذا الذي يخلِين حُسْنُو ولم نقْدر بحُسْن ألْفَاظ أن نَخلِبو
صَبيَّ هِي سِمَّان[1] تَطفى الجَمرْ وَقَلْبي في جَمرْ الغضَا تلْهبو
غزَاْلْ هي تَنْظر قلُوبَ الأسُودْ وبالوَهْم قَبْلَ النَّظر يذهبو
ثُمَّ تحيِيهم إذا مَابْتَسمْ فيضحكو مِنْ بَعْدِ مَايَنْدِبو
فْمِيمَّ كالخَاتمْ[2] وثغراً نَقِي خَطيب الأمَّة[3] لِلقُبلْ يَخطْبُو
جوْهَرْ وَمَرْجَان أي عِقْد يَافُلاَن قَدْ صَفَّفَ والنَّاظمْ ولَم يثْقبُو[4]
وَشارِبَنْ أخْضَر يريد لِشْ يريدْ مَنْ شبَّهو بالمِسْك قَدْ عَيَّبُو[5]
تسبل دلاَل[6] مِثْلَ جنَاحِ الغُرَاب لَيَالي هَجْري منّو يَسْتَغْربُو[7]
عَلَى بَدَنْ أبيَضْ فلُون الحليبْ لم قَطْ رَاعِي في الغَنَمْ يحلِبو
وَزَوج نُهيْدَات[8] علَّمت قبلَها ذيكَ الصَّلابا ريتَ مَا أصلَبو
تَحْتَ العَكَاكِن[9] مَعْهَا خصراً رقيقْ مِنْ رِقَّتُو يَخْفَى إذا تطْلُبو
أرَقْ هُوَ منْ ديني[10] فيمَا نَقُولْ جُدْ، تَرا عبدكْ سَتّي مَا أكْذَبو
أيْ دَيْن بقَالي معَاكْ وأيّ عَقْل مَنْ يَتْبَعكْ مِنْ ذَا وَذَا تِسلْبو
وتَحْمِل أرْدَافاً ثِقَال كالرّقيبْ[11] حين ينظرِ الْعَاشق وحين يرقْبُو

---

1. الممتلئة الأرداف.
2. تشبيه شائع، وفميم تصغير فم.
3. خطيب الأمة : خطيب الجماعة، وهو عادة مثال الدين والتقوى والوقار.
4. تشبيه الأسنان الجميلة بالجوهر شائع وفي بعض النسخ : جوهر في مرجان.
5. لابن عمار الشاعر الأندلسي المعروف أبيات يفاضل فيها بين ذي عذار أصفر وبين آخر مخضرّ العذار. جاء فيها :

شننت المثلث للزعفران وملت إلى خضرة في التفايا

والمثلث : لون من الطعام يدخل فيه الزعفران، والتفايا : لون آخر يعمل بالكزبرة وشبه به العذار الأخضر.
6. الدلال هنا : الشعر.
7. ليالي الهجر توصف بالسواد.
8. تصغير نهدات أي نهود.
9. العكاكن : الأعكان، وهي الأطواء في البطن من السمن.
10. من أمثالهم : أرق من دين زنديق.
11. يقال في الأمثال أثقل من رقيب.





إنْ لَم ينفّس غرزا أو ينْقشِع[1] في طَرَفْ دِيسَا والنّبي نصلبو

ليكْ قَصْرَ يصير المكَان حِنْ تِجي[2] أو الرَّمَلْ مَنْ هُوَ الَّذي يَحْسْبُو

مَحَاسِنَكْ مِثْل خِصَال الأمِير وحِين تغِيب يرْجَع في عيْني قَبُو[3]

عِمَاد الأمْصَارْ وفَصِيح العَرَبْ فمنْ فصاحِة لَفْظُ يْتعربُو[4]

بحملة العلم انفرد والعَمَلْ ومع بديع الشِّعْر[5] مَا أكْتَبُو

ففَي الصدُّور بالرُّمْح مَا أطْعَنُو وفي الرِّقابْ بالسِّيفْ ما أضْربو

من السَّمَا يُحْسَدَ في أربَعْ صِفَاتْ فَمَنْ يَعدُّو قُلِّي أوْ يَحْسْبُو

الشمسُ نُورُو والقَمَرْ همَّتو والغيثْ جُودُو والنّجم مَنْصِبُو

يركَبْ جَواد الُجودْ ويطلق عنانْ الاعتِنا والجِدّ حين يركْبُو

منْ خِلْعتو نلْبسْ فِي كلْ يومْ من طيب سناه العالي نِطَيَّبُو

نِعْمَتُو تُظهرْ على مَنْ يَرتجِيه قَاصِدْ ووَارِدْ قَطّْ مَا خَيَّبُو

قَدْ أظْهَر الحقّ وكانْ في حجابْ لِشْ يَقْدر البَاطِل بَعَدْ يحجبُو

وقد بنى بالبَني رُكْن التُّقَى مِنْ بعدِ مَا كَان الزَّمَان خَرَبُو

تَخافوُ حين تَلْقاه كما ترْتَجيهْ فمعْ سماحِةْ وَجْهُو مَا أهَيْبُو

يلقَى الُحرُوب ضَاحِكْ وهِي عابِسَا[6] غالبْ هُو لس في الدنيا منْ يغلِبُو

---

1. لعله في تهديد الرقيب، والديس : هو المعروف بالخيزران، وكأنه من قوله تعالى (ولأصلّبنكم في جذوع النخل).
2. يعني أن المكان يكون واسعا إذا حضر ويصبح ضيقا إذا غاب.
3. يتخلص من الغزل ويلتفت إلى المدح.
4. أي يكتسبون العربية والفصاحة.
5. كان محمد النصري الثاني يقول الشعر وكذلك محمد الثالث، ويبدو أن محمد الثاني هو الممدوح هنا.
6. هذا كقول مسلم بن الوليد :
يفتر عند اقتراب الحرب مبتسما
وقول المتنبي : تمر بك الأبطال كلْمى هزيلةً ووجهك وضاح وثغرك باسم



إذا جبّد سيفُه مَابينَ الردود[1] فَلَيْس يُثَنّى على مَنْ يَضْرَبُو
وَهُو سَمِي المصطفى، والإلهْ للسَّلطنا اخْتارُو واسْتَنخبو
تَراه خَليفةْ آمرَ المُسلمينْ يَقود جُيوشو ويزين مَوْكِبو
لذى الإمارا تنخضعْ الرُّؤوس نَعَمْ وفي تقبيل يديه يرْغِبو
بيتُه بني نَصْرْ بدورُ الزَّمانْ يطّلعو في المَجْدْ ولا يغْربو
وَفي المعَالي والشَّرفْ يبْعدو وفي التَّواضع والحَيا يقُرُبُو[2]
فاللّه يُبْقيهمْ ما دار الفَلكْ وأشرقت شمْسُو ولاحْ كوكَبُو
وما تغنّى ذَا القَصيدْ في عُروضْ «ياشَمْس خدِرْ مَا لها مغرُب[3]»

---

1. الردود : آلات الحرب (دوزي 1 : 250).
2. هذا كقول البحتري في مدح ابن المُدبّر :
دنوت تواضعا وعلوت قدرا فشأناك انحدارٌ وارتفاع
3. مطلع قصيدة للشاعر الأندلسي ابن الزقاق.

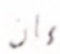


زجل اللوشي في مقدمة ابن خلدون
(نسخة أحمد الثالث)





مسفق مسكنوا عند الشير نور الحضور من بع بها كسبو
فهو النهار يا صاحي للناس عشق الغير يا الله ما الطيبو
والليل ليها للعشاق والعشاق على سرير الوصل يسعابو
جاد الزمان من بعد ما كان بخيل ولش تحملت من بعد عمر بو
فاخرج مروا ثما قد مضى يتشربت سنوا ويحل طيبو
قال الرقيب يا ادبا اشرد في السرب والعشق يرى عجيبو
والعجوا عدالي من حج الكعبة تعلن يا قوم من دا اعجبو
تعشق مليح الا ربقوا الطماع علاش نهر والله اوكسبو
لبس بريح الحسن الا سا عرادس نفض كن واودع تبنو
واما الناس حرام فهو حرام على الذي لبس بير ركنه بسربو
واهل العمل والحسكر اوالمجون نعفر دنوهم لهذا الناد سو
وذا الذي يحلي حسنوا ولم يعد رحس الباطل ان يحلبو
صبي فهي ستمان يطفي الجمر وقلبي في جمر الغضا لهيبو
غزال في منظر ولون الاسود وبالوهر قبل النظر يد هيبو
وثم عسيهم اذا ابتسم يتضحكوا من بعد ما سدبو
ثمني كالخاتم ولعرانقي خطب الامة للقبا عطبو
جوهر في مرجان اي عقد يا فلان بد صيفو الناظم ولم ينعو
ونشارين احمر يريد للشي يريد من نشهو المسك قد عنبو
نبال دلال مثل جناح الغراب لما في هجري فتنو ابسعبو
على بدن ابيض بلون الحليب لم وطا داعي في العنم عن لبو
وروح عيدان على قلبها ذيك الصلابا زينه ما اصلبو
تحت العكر معها حقار قوم من تنوا عمي اذا بطلبو
ارق هو من دي فيما القول حين لعيد كيتي مال ادبو
اي دير لها في معاك اي عقل من شعل من داوذا النسلبو
وكمال دلالها وكلام فسيح ينطر العاشق وحين برقبو


دان





زجل اللوشي في مقدمة ابن خلدون
(مخطوطة الظاهري في العبر)





غزال هي ينظر قلوب الاسود وبالوهم قبل النظر يدهبو
وثغر عجيم اذا ابتسم فتحكوا من بعد ما تنبه بو
فيه كالخاتم وثغرا نقي حطب لما للقبل يخطبو
جوهر في مرجان اي عقد يا فلان قد صففوا الناظم ولم ينقبو
وشارب اخضر يريد لثم يريد من شمه بالمسك قد عيبو
تسبل ذلال مثل جناح الغراب ليالي يجري منو سعربو
على بدن ابيض فلون للحليب لم فقط راعي في الدنم يحلبو
وزوج نهيد اب علت قلبها ذلك الصلا مارست ما اصلبو
تحت العكاكن معها خضرا رقيق من رقتوا تخفى اذا طلبو
ارقه من دني فما نقول بعد تراعيد لي سي ما اكذبو
اي دين تعالي معك او اي عمل من جعك من ذاو ذا يسلبو
وتحمل اردافا بمال كالرقيب حين ينظر العاشق وحين رقبو
اذا مشى غرزا وتنفتح في طرف ديسا والتي تمسابو
تمر تصير ليك الظان حين تجي وحين نعب يرجع في عينى قبو
محاسنك مثل جمال الاميرا والرجل من هو الذي يحسبو
عماد الامصار وفصيح العرب ثمن فصاحة لفظ سحبو
حمله العلم انفرد والعمل ومع بديع الشعر ما اكتبو
فهي الصد وبالرمح ما الطعنوا في الرقاب بالسيف ما اضربو
من الى عسد في اربع صفات سمر بعد وقلي او حسبو
الشمس نورا والقمر صنوا والعنبر جودو والبحر منصبو
ركب جواد الجود واطلق عنان الاعنا والجدحين ركبو
من حلفتو نلبس في طول يوم بطيب شاه العالي نطيبو





من مزدوجات
ابن شجاع



المزدوج من أنواع عروض البلد التي ذكرها ابن خلدون، وابن شجاع التازي من فحول الزجالين في العصر المريني الذين برزوا في هذا النوع، وقد شاعت مزدوجاته في بلدان المغرب والأندلس ولسنا ندري هل وصلت إلى المشرق أم لا، فالحلي - وهو معاصر له - لم يذكره في كتابه : العاطل الحالي، وكان ابن خلدون يحفظ بعض أزجال ابن شجاع، ووجدنا بعده الفقيه عمر المالقي وهو أشهر زجال أندلسي في القرن التاسع يطلب الإجازة من بعضهم فيقول هازلا :

أَلاَ فَأجزني يا إمامي بكلٍّ ما رَوَيْتَ لمَدْغلِّيس أو لابْنِ قُزْمان

ولاَ تنْسَ للدبَّاغِ نَظْماً عَرفْتَه فإنّكُما في ذلك النّظم سيَّان

ومزْدَوِجَاتٍ يَنسُبُونَ نِظامهَا إلى ابن شُجاعٍ في مَديحِ ابن بطّان[1]

وكونه ذكر المزدوجات بلفظ الجمع يدل على أنها عديدة، ولكن لا يوجد منها اليوم شيء، وأما ابن بطّان ممدوح ابن شُجاع فهو أبو محمد عبد الله بن بطان الصنهاجي والي مدينة تيط وجهاتها في عهد بني مرين، وقد كان جوادا ممدحا نزل عنده ابن الخطيب لما مر ببلده ووصف احتفاله به فقال : «كريمُ قِرَى ونحر، وأبهت وسحَر، ما شئت من ترتيب وتقدير، وروْضٍ وغَدير، وخوَرْنق وسدير، هذّب الأدب خدّامه، وأطاب الاحتفال خبزه وإدامه، إلى عطاء يُحْسِب الأمل، ويُثْقِل الناقة والجمل[2]».

---

1. أزهار الرياض 1 : 123
2. نفاضة الجراب : 160.





وقد مدحه بهذه القطعة :

للّه درك يا ابن بطانٍ فما لشهير جودِكَ في البسيطة جاحدُ
إن كانَ في الدنيا كريم واحِدٌ يزن الجميعَ فأنتَ ذاكَ الواحدُ
أجريت فضلكَ جعفراً يَحْيى بِهِ ما كانَ مِن مَجْدٍ فذكرُك خالدُ
فالقومُ منك تجمّعوا في واحدٍ ولدٌ كما شاء العلاء ووالِدُ[1]

أما مزدوجات ابن شجاع في مدح هذا الرجل الكريم فلم يصل إلينا شيء منها . وإنما وصل إلينا نموذجان من مزدوجاته في غير ذلك ذكرهما ابن خلدون، أحدهما في الحكمة والشكوى من فساد الزمان والآخر في الغزل، يقول في الأول :

المَالْ زينَةَ الدُّنْيَا[2] وعزِ النُّفُوسْ يبهْي وُجوهاً لَيْسْ هي باهْيَا
فهَا كُلّ منْ هوَ كثير الفُلُوسْ ولّوه الكْلامْ والرُّتبه لْعَالْيا

* * *

يَكْبَرْ مَن كثر مالُو ولَوْكانْ صغَيرْ ويصغر عزَيز القَوْم إذْ يَفْتقر
مِنْ ذا ينْطبَقْ صَدْري ومِنْ ذَا يصير يكادْ ينْفقَع لوْلاَ الرُّجوعْ لِلقَدَرْ[3]
حتَّى يلْتجي منْ هوَ في قومُو كبيرْ لِمَنْ لا أَصْلْ عِنْدو ولا لُو خطَرْ

* * *

1ـ نفسه 199 وقد ورى في البيت قبله بأسماء البرامكة كما في قول بعضهم : لك الفضل يحيى خالدا بك ذكره. والجعفر في الأصل النهر وبه سمي الرجل.
2ـ من الآية (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وفي بعض النسخ منها بدل فها.
3ـ يشير إلى قوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) وفي بعض النسخ : تغير، وكان يفقع وإدى بدل حتى.





لِذاَ يَنْبَغي نَحْزَنْ عَلى ذِي الْعَكُوس ونصْبغْ عليهَ ثَوبي فراس[1] خَايَا
ألْلّي صارَت الأذْنابْ أَمام الروس وَصَارَ يسْتَفيد الْوادْ من السَّاقْيَا[2]

* * *

ضُعْفُ النَّاسْ عَمْلَ ذا وفَساد الزّمانْ ماندور على من نكثروا العتاب
اللّى صارْ فلان يُصَبّحْ بابو فُلانْ ولو رأيت كيف يرد لجواب
عشنا والسلام حتى رأينا عيان أنفاس السلاطين في جلود الكلاب[3]

كِبار النُّفُوس جداً ضعاف الأُسُوسْ هُمْ في ناحْيا والمَجْدْ في ناحيا
يَرَوا أنهُمْ . والنّاس يروهم تُبُوسْ وُجوه البلَدْ والعُمْدَة الرّاسْيَا

وأما النموذج الثاني، فيصف فيه مايلقاه المحبون من تجني المحبوبين، وقد مهد له ابن خلدون بقوله «ومن مذاهبم قول ابن شجاع منهم قي بعض مزدوجاته»

تَعِبْ من تبعْ قَلْبو مِلاَح ذا الزّمانْ اهْمَلْ يافُلان لايلْعَب الحُسْن بِيكْ
مامنْهم مَليحْ عاهدَ إلا وَخانْ قَليلْ مَنْ عليه تَحْبَس ويَحْبَس عَلَيكْ

* * *

يَتيهُو على العُشّاقْ ويَتْمنّعوا ويسْتَعْمدوا تَقْطيعْ قلوب الرّجالْ
وإنْ واصَلوا منْ حينْهم يقْطَعوا وإن عاهَدوا خانوا عَلَى كلّ حالْ
مَليح كانْ هَوِيتُو ونَشْبَتْ قلْبي مَعُو وصَيَّرْت من خَدّي لقَدَمو نِعَالْ
ومَهّدت لُو مِنْ وسَط قَلْبي مَكانْ وقُلْت لقَلْبي أَكْرم لمَن حَلّ فِيكْ
وهونْ عليك مايعْتَريكْ مِنْ هَوانْ فلابُدَّ من هَوْل الهَوَى يَعْتَرِيكْ

* * *

1ـ لعل المقصود صبغة السواد التي هي علامة حزن.
2ـ هذا مثل وفي بعض النسخ : ادى.
3ـ هذا مثل أيضا والمسموع اليوم : العسل في جلد الكلب.





حَكَّمْتُوعلي وارتضيت بُو أميرْ   فلَوْ كانْ تَرَى حالي إذْ تَبْصِرو
نَرجعْ مثل دِ رُوحُو بوَجْه الغديرْ   يدورْ به ويغْطَسْ بحال الجَرُو[1]
وتْعَلّمْتْ مِنْ ساعا بسَبْق الضّميرْ   ونَفْهَمْ مُرادُو قَبْل أنْ يَذْكُرُوا
ونَحْتَلْ في مَطْلُوبُو ولَوْ أنَّ كانْ   عَصيرْ في الرّبيع أوفي اللّيالي فريك[2]
ونَمْشي نَسوقُو ولَوْ كان باصبْهانْ   وايشْ مايقُولْ يَحْتاجْ تَقُلْ لُو يجِيكْ



1ـ فيه قلق واضطراب وكلمة د معناها : الذي.
2ـ العصير وقت جني العنب وَالتين وهو يكون في آخر الصيف، أول الخريف وليس في الربيع والفريك يكون في شهر ماي أي في زمن الصيف لا في زمن الشتاء ونسوقو : نأتي به، واصبهان : مدينة مشهورة.





زجل

أبكاني بشاطئ النهر نوح الحمام

لابن عمير الفاسي





ورد هذا الزجل كذلك في مقدمة ابن خلدون بعد تمهيد يقول فيه «ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناآخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه عروض البلد، وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب.»

وابن عمير هذا هو - فيما يبدو - الذي ذكره الحلي بكنيته ونسبته في العاطل الحالي، ففي ص 32 من هذا الكتاب نجد مايلي «وكقول الأستاذ أبي بكر بن عمير المغربي» في مطلع زجل له وهو :

أَنْكَرْت شَيْبِي مِن بُلِيت بِيها كُلُّ من عَاشَ يَشِيبْ

إنَّمَا هِي ملاحة البُسْتَانْ بالنُّوَارْ العَجِيبْ»

وُفي ص 35 «وكقول ابن عمير في مطلع زجل له وهو:

مَرْفُع الرَّاسْ مَلُول نفُورْتَيَّاهْ يَغْضَبْ إذْ نَلْتَقُو

هَذا كلُّوا لما نُمُتْ عَنّو ولَمَّا نَعْشَقُو

وأصل اللفظة «مرفع» مرفوع فحذف الواو واستغنى بضمه الفاء» وفي ص 53 «وكقول ابن عمير في مطلع زجل له :

العَدُول عُمْرو سَيِّء التَدْبِيرْ لَوْ وفَا لِي غَدَرْ

قَالَ لِي اصبِرْ وكف نُطق نَصْبِيرْ وَشْ هُو طَعْمُ الصَّبِرْ

فالياء في نصبير ناشئة عن كسرة ماقبلها» وفي ص 56 «فأما إقلاب الواو ألفا فكقول ابن عمير :

اسْقِنِي بِالعَلاَّلْ يَاحَبِيبِي وَامْلاَ

خَلِّ قَول اللائِمْ مانُطِيعُوا أَصلاْ





ويقول في إحدى خرجاته.

واشْـرهـا بـالأمْـوال فَـعليـكْ مَـا تَـغْـلاَ
مِـثْـل كـايَـحْـلالِـكْ شُـرْبـها لِـي يَـحْـلاَ

والأصل في قافيتي هذه الخرجة تغلو وتحلو، وقد قابل بها الألف في لفظتي أملا وأصلا في قوافي المطلع» ونجد في العاطل الحالي أيضا ذكراً لمن اسمه أبو الحسن ابن عمير قال صفي الدين أثناء حديثه عن استعمال أدوات النحو في الأزجال (ص 71) «وللاستاذ أبي الحسن ابن عمير مطلع زجل :

سَافَر حبيبي وأنَا بَعْدو مقيم   أعُوذُ باللّه السّميع العلَيم»

وفي رأيي أنهما شخص واحد فأبو الحسن تحريف والصواب أبو الحسين، وهي كأبي بكر كنيه من اسمه يحيى، وقد ذكره أيضا ابن مبارك شاه في السفينة وسماه أبا بكر يحيى بن عمير وأورد له الزجل التالي :

قُمْ حج كاسَكْ بين غَرْس الحبَقْ   واسبَقْ لشربُك قدْ فَلَحْ من سبق

* * *

صباح أبيَضْ كُلِ شَيْ فيه عجَبْ
ماءِ مُفَضَضِ وشمـوس مِـنْ ذهـبْ
والطَّيـرِ يغَنّـيِ والغصونْ تـنْطرب
والرّيـح يصفّق والنّـوار يعْـتنق

* * *

واسمَعْ كَلامِ أُمِ الْحَسَنْ في الغُصون
تـهـزِ قَلْبَـكْ للْـهَـوى والْمُجون
مليحه هِيِ نعمه تخاف العُيـونْ
مـنْ ذا تـغْـنّـي فِـي سُتـور مِـنْ ورَقْ

* * *





واعشَقْ كما نَعْشق صَبي بالجَمالْ
قدْ ردّ قلْبي في غِشا من نِبَالْ
إذا خطَرْ رَيْت القَمَرْ والغَزالْ
والموت الأحمَرّ في سواد الحدَقْ

* * *

شَخْص مَليحْ النظَرْ فيهْ لس تَمَلْ
يَقْتلْ قُلوب الخَلْق إذْ يَنْفَتَلْ
فَمَنْ رَأى خَدّو في ذاك الخَجَلْ
رأى بَياض الشَّمْسْ تَحْت الشَّفَقْ

* * *

يا مَنْ هُو حافِظ للْعُهودْ والذِّمامْ
باللَّهْ عليك إنْ ريت بدْر التَّمامْ
فقلُّو يقْريكْ يا مَليح السَّلامْ
مَن لا تخلّي جفونَكْ فيهْ رمَقْ[1]

ويستفاد من هذا كله أن ابن عمير الأندلسي أصلا الفاسي منزلا كان من شيوخ الزّجل على طريقة ابن قزمان ومدغليس وغيرهما من الزجالين قبل أن يستحدث ما دعي بعروض البلد، ولا يعرف مما نظمه فيه إلا المثال الذي أورده ابن خلدون في المقدمة ونسوقه فيما يلي :

1ـ السفينة لابن مبارك شاه (مخطوط).



أبْكَاني بِشَاطي النَّهر نَوح الحمَامْ   على الغُصْن في البُسْتَانْ قُرَيْبَ الصَّباحْ
وَكَفَّ السّحر يمْحُو مِدَاد الظَّلَامْ   وَمَاءُ النّدى يَجري بِثَغْرِ الأقَاحْ

* ** *

بَاكَرْت الرِّيَاض والطَّل فِيهَا افْتِرَاقْ   نَثِير الجْوَاهِرْ في نُحُور الجوَارْ
وَدَمْعُ النَّوَاعِر يَنْهَرِق انْهِرَاقْ   يحاكي ثعَابين حَلَّقَت[1] بِالثِّمَارْ
لَوَوْا بِالغُصُون خَلْخَالْ عَلَى كُلِّ سَاقْ   وَدَار الجَمِيعْ بِالرَوْض دور السِّوَارْ

وأيْدِي النَّدَى تَخرَق جُيُوب الكِمَامْ[2]   وَيَحْمِل نَسِيمَ المِسْكِ عَنْهَا رِيَاحْ
وَعَاجَ الصَّبَا يُطَلِّى بِمِسْكْ الغَمَامْ   وَجَرَّ النَّسِيم ذَيْلُو[3] عَلَيْهَا وفَاحْ

* * *

رَأيْتَ الحَمَامْ بين الورَق في القَضِيبْ   قَدْ ابْتَلَّتْ أَرْيَاشُو[4] بقَطْرِ النَّدَى
يَنُوح مِثْلَ ذَاكَ المُسْتَهَام الغَرِيبْ   قَدْ الْتَفَّ مِنْ تَوْبُو[5] الجَدِيدْ في رِدَا
وَلَكِن بفَاه أحمر وسَاقْ خَضِيبْ   يَنْظِم سُلُوك جَوْهَر وَيَتَقَلَّدَا[6]

جَلَس بَيْنَ الأغْصَانْ جَلْسَةَ المُسْتَهَامْ   جناحاً تَوَسَّدَ والتَوَى في جَنَاحْ
وَصَارَ يَشْتَكي مَا في الفُؤَادِ مِنْ غَرَامْ   مِنْهَا ضَم مِنْقَارُه لِصَدْره وَصَاحْ

* * *

1. النواعر : النواعير، وحلقت : دارت. والثمار : الأشجار.
2. الكمام : الأكمام وهي براعم النور.
3. ذيلو : ذيله.
4. ارياشو : رياشة.
5. توبو : ثوبه.
6. ويتقلدا : ويتقلدها أي يلبسها قلادة.



لا غالب إلا الله

فقلتُ ياحمامْ أحرمتْ عيني الهجوعْ   أراكْ ماتزال تبكي بدمعْ سفوحْ
قال لي بكيتْ حتى صفتْ لي الدموعْ   بلا دمع نبقى طول حياتي ننوحْ
على فرخ طار لي لمْ يكن لو[1] رجوعْ   ألفت البكا والحزنْ من عهدْ[2] نوحْ

كذا هو الوفا وكذا هو الذمامْ   أنظرْ جفونْ صارتْ بحال الجراحْ
وأنتمْ من بكى منكم إذا تم عامْ   يقولْ عياني ذا البكا والنواحْ[3]

قلْت ياحمام لوْ خضتْ بحرْ الضنى   كنْت تبكي وترثي لي بدمعْ هتونْ
ولوْ كان بقلبكْ مابقلبي أنا   رماد كانْ تصير تحتك فروع الغصونْ[4]
اليومْ نقاسي الهجرْ كمْ منْ سنا   حتى لا سبيل جمله تراني العيونْ

ومما كسا جسمي النحولْ والسقامْ   أخفاني نحولي عنْ عيونْ اللواحْ[5]
لوْ جتني المنايا كانْ نموتْ في المقامْ   ومنْ مات بعد ياقوم لقدْ استراحْ

قال لي لوْ زفرتْ الاوداب الرياض   منْ خوفي عليه ردت النفوس للفؤادْ
ونخضبتْ منْ دمعي وذاك البياضْ   طول العهدْ في عنقي ليومْ التنادْ
أما طرفْ منقاري فحديثو استفاضْ   طرف شعل والجسمْ صار رماد

* * *

تبكي وترثي لي صنوف الحمامْ   ومن ضاق بحالي الصدّ والهجرْ
فيا بهجة الدنيا عليك السلامّ   ناحْ إذا لمْ نجدْ فيك راحه ولامستراح[6]

1- يشير الزجال هنا إلى ماكان العرب يزعمونه في الهديل من أنه فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فمات ضيعة وعطشا فيقولون إنه ليس من حمامة إلا وهي تبكي عليه. (لسان العرب).
2- لو : له.
3- يشير إلى قول لبيد : ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر. وعياني : في بعض النسخ : عناني وهي بالتشديد مثل عياني أي أعياني وأتعبني.
4- أي لاحترقت.
5- اللواح : اللوام وللمتنبي : كفى بجسمي نحولاً أنني رَجُلٌ   لَوْلاَ مُخاطبتي إيّاك لَمْ ترني
6- لا يوجد هذان البيتان في بعض النسخ.





زجل لابن عمير من مخطوط السفينة لابن مبارك شاه







ابو بكر يحيى بن عابد

قم هات كاسك بين غرس الحبق واسق لشربك مليح مليح

من سبق

صباح انيس كل شي فيه عجب

ماء مفضض وشموس من ذهب

والطير يغني والغصون تنطرب

والريح يصفق والنوار تعشق

واسمع كلام ام الحسن في الغصون

تهز قلبك للهوى والمجون

مليح هي تيه تخاف العيون من ذا تغني في ستور من ورق

واعشق كما تعشق صبي بالجفون

محدود تكيي في غشا من نبات الحدق

اذا خطرت القمر والغزال والموت الاحمر من سواد

تحت مليح النظر عنه لس تحمل

يفتل قلوب الخلق اذ يتفتل

فمن راي صدغه في ذاك الجبل راى بياض الشمس

تحت الشفق

يا من هو حافظ للعهود والذمام

بالله عليك ان رايت بدر التمام

فقلو لغزيك يا مليح السلام

متى تخلى فيه جفونك دمق

مرزجل

لمحه لعمر شارك ...

فمن ابن للغصن يتثنى الدلال ومن ابن للورد

توريد الخجل

سراج الدين عمر بن مسعود الكتاني

الملام يا لس يفيد والسلو لس يتفق

وانا في حرب العشق بين ملام وبين قلق

ذا الهوى بالي شغل عن سلو وعن ملام





زجل
لأبي محمد بن حسون





هذا زجال لم يذكره ابن خلدون فيمن ذكر من زجالين اشتهروا بالأندلس والمغرب في عصره وقبله، وإنما ذكره صفي الدين الحلي واستشهد بمطالع ومقاطع من أزجاله وذكره كذلك ابن مبارك شاه في السفينة وأورد له زجلا سننقله بعد قليل، وقد رأينا فيما سبق أن زجالنا الكفيف الزرهوني ختم ملعبته بقوله :

واستغفر يا كفيف لابن حسون　　وتفكر ما ذكر في عام ستاً :
فجعني صيحة النجيب بكرا　　حين رحلوا ركائب الغزلان
وأمست من بعدم الديار قفرا　　ما فيهم لا إنس ولا عمران

ونظن أن ابن حسون هذا هو أبو عبد الله محمد بن حسون الحلا الذي ذكره صفي الدين الحلّي وابن مبارك شاه، ويبدو أنه كان قدوة الكفيف ولذلك دعا له وقد تكون الخرجة التي ختم بها هي مطلع زجل لابن حسون أما عام ستة فلعله يقصد به عام 706هـ الذي وقعت فيه أحداث اهتز لها المغرب مثلما اهتز لما وقع لأبي الحسن المريني في إفريقية وبعدها، ففي السنة المذكورة اغتيل السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق وهو محاصر تلمسان ذلك الحصار الذي دام مائة شهر، وكان اغتياله نتيجة مؤامرة بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من دخول تلمسان، وقد ظهر صراع على الملك بين بني مرين، ورفع الحصار عن تلمسان وتم الأمر لأبي ثابت حفيد السلطان يوسف فقتل عمه وعم أبيه وآخرين من قرابته الطامعين في الملك[1] ، ومن الواضح أن هذه الأحداث تشبه تقريبا الأحداث التي انتهت بها حركة أبي الحسن إلى إفريقية، وقد يكون ابن حسون تحدث عما وقع بعد اغتيال يوسف بن عبد الحق في زجل له وربما كان مطلعه هو الذي ختم به الكفيف زجله.

1ـ راجع في هذه الأحداث العبر لابن خلدون 7 : 484 وما بعدها.





ومهما يكن فإنه لا يوجد الآن من أزجال ابن حسون إلا الزجل الذي سنثبته ومطالع أزجال ذكرها صفي الدين الحلى ومنها قوله :

كَمْ نَبِتْ منكَّدْ من هواك وهجرانك يا مليح القد
يا مَليح بمَن سمّاكْ اِش هذا التّجنّي
طُولْ ما نَشْتَهي قربَكْ تبعَدْ انْتَ مَنّي
إنْ كان الرقيب لَكْ بَلّغ قَضِيه عَنّي
لِسْ أنا في ذا الْحَد عُودْ باللّه ياحيّ الاخيرْ هُو أجْوَدْ[1]

وقوله :

صَحْبَة الْعينين السُودْ طُولْ صُدودَكْ أبلاني
أنَا في هَواكْ هايمْ وانْتَ تَرْضَى هجْراني[2]

وقوله :

قَدْ ضَحك ضَوُّ الصَّباحْ وافْتَضَحْ سر النّوارَ
وانْهَزَمْ جَيْش الظَّلام فاسْقِني[في ذا] النّهارْ
أيُّ شَرابْ هو ذا الشَّرابّ وأيُّ نَهارْ بلا رَقيبْ
قَدْ بكى فيه السَّحابْ وانْثَنَى فيه الْقَضيبْ
فالرّياضْ سَكر وطابْ وابْتَهَجْ بكُلّ طيبّ
فَتَرى مَعو الرّياحْ في وِصالْ وفِي نِفارْ
وبُكَا وابْتِسامْ وعناق وانتشارْ[3]

1- العاطل الحالي : 29.
2- نفسه : 36.
3- نفسه : 39.





ومن هذا الزجل قوله :

لا زمانْ غير ذا الزّمانْ الصّلاهْ على الرّسولْ
خُتَّرَى ذَا الْمهْرجانْ ختّرى جَرّ الذّيولْ
ومكانْ أبْدعْ مكَانْ تَفْتَتن فيه الْعُقولْ
ولقاحْ أمْلح لقاحْ وثِمارْ أمْلَحْ ثِمارْ
والطُيورْ قَامتْ وقامْ الْوتَرْ مع الْجَوَارْ[1]

ومنه قوله :

لا تَقُلْ شَرابْ وَراحْ في الزُّجاجْ وَلا عَقارْ
خُتَّرَى ماءَ الْغمَامْ قَدْ رجَع مِن نور ونارْ[2]

ومن مطالع أزجال ابن حسون التي ذكرها صفي الدين الحلي. المطلع التالي :

ناكلْ ونَشرب طيّب هَنِي لارَحِم [اللّه] أُمْ مَنْ لامْني[3]

ويبدو أن هذا الزجال ـ مثل ابن قزمان ومدغليس ـ كان له ديوان ومنه نقل الحلي المطالع والنماذج التي ذكرها وقد عدّه من كبار الزجالين قال : «وللأستاذ أبي عبد الله محمد بن حسون الحلا وهو من أكابرهم في زجل :

ما نَخْفي في صَدْري ونكتمو دمْوعي علَى خَدّي تترجموْ
مع ذا الذي قطع قَلْبي هَوَاهْ فما صغير يفتَن لمَن رآهْ
لوْ كانْ معُو خاتَم يحاكي فاه من صغرو لَمْ يقدر يتْختّمُو[4]

1ـ نفسه : 42.
2ـ نفسه : 42.
3ـ نفسه : 51.
4ـ نفسه : 68 ولم يورد ابن خلدون شيئا من هذه الشواهد مع أنه اطلع على كتاب الصفي الحلي واقتبس منه في المقدمة.





وإذا كان الحلي الذي كان مشغولا بالتقعيد لم يذكر من أزجال ابن حسون إلا ما استشهد به فإن ابن مباركشاه قد حفظ لنا زجلا تاما له سنورده بعد قليل،

وذكرالحلي أيضا له هذا البيت من مطلع زجل له :

اهجـرْ يـا لغـزالْ واتـدلّلْ   واعْمَلْ ما تريدْ فمن بُلِي يَحْتَمَلْ[1]

وذكر له أيضا المطلع التالي :

في مليحْ وتيّاهْ بارَتْ حيَلي   لِسْ يَرى ما تَحْمَلْ إلاَّ مَنْ بُلِي

* * *

فغَضِبْ حَبِيبي في الْحِينْ وخرَجْ   وانْحَرفْ مِزاجُو ورادْ يَنْفَلَجْ

ثم قالْ لي تقْصد معي ذا اللّجَجْ   سآ تَرى ايشْ تلاقى بلجْتَكْ لي[2]

وهذا مطلع زجل آخر :

ارفع قطيعك وطيبْ واتملاّ   والـغَ عـمّـنْ ولّـى

وفيه يقول :

انْظُرْ لِلَعب الرِّياحْ بالاغْصانْ   والْوادْ مُدَرّعْ ولس هُو إنْسانْ

واخْرَجْ ذِراعْ مثْلْ سيْفاً عُرْيانْ   كَـأنّما فـيـهْ دِمـاء الـقَـتْلَى[3]

وقد استشهد الحلّي كذلك ببيت من زجل قال إن ابن حسون مدح به الوزير ابن الفخار، وابن حسون يصف هذا الوزير بالطبيب الماهر والفيلسوف والجليل المقدار[4]، وكنت ذهبت إلى أنه اليهودي المترجم في

1ـ نفسه : 42.

2ـ نفسه : 44.

3ـ نفسه : 73.

4ـ نفسه : 50.





المغرب لابن سعيد والمذكور في البيان المعرب[1] والروض المعطار[2] ونفح الطيب[3]. وهذه المصادر تذكر أن ملك قشتالة وجهه سفيراً إلى الموحدين في مراكش عام 618هـ والصفات المذكورة تنطبق عليه ولكن التاريخ لا يستقيم مع ابن حسون شيخ الكفيف الذي قال زجلا عام 706هـ فالمسافة بين التاريخين كبيرة ولهذا لا نستطيع الجزم بشيء في هذا الموضوع ونورد نص الزجل الذي ذكره ابن مباركشاه في السفينة لابن حسون فيما يلي :

مَـــا أحـمـمـــقْ عـنْ قطيع من رمَقْ

* * *

الـصّبـح قـدْ أقبَـلْ والـظّلامْ قـدْ ولّـى
والـنُّجوم قَدْ غابَتْ في حجاب عِلْم اللّـه
ونـجُـوم الاعـقـبـان قَدْ بَدتْ أنْ تُجْلى
عنْدما غـابَـتْ ذيكْ ابْتَـدَتْ ذي تشْرَقْ

* * *

والنّواعِـيـرْ تَبْكـي والْبَساتيـن تـفْرح
والطُّـيـورْ تطـارَحْ في غِـنَا مـن أمْلَح
والـثّـمـارْ تَتْهـادَى في شَذا مَـنْ أفْـوح
يـا خَـلـيـعْ اتْـنَـزّه واسْتَمَـعْ واسْتَنْشَق

* * *

وأسَـدْ مـن إبْـريـز يِرْمـي ثعْبـانْ بُـلارّ
فـي غَـديرْ مثل الْجَوّ والْحيتـانْ فيـه أطْيار
وفـي قـاعو أصْنَـافْ مِن بـديـع الأحـجار
والطُّيُـورْ لا تَـبْـرَحْ تحْـرُزُ ولا يـسْبَـرَق

* * *

1ـ المعرب 12 : 23
2ـ البيان المعرب قسم الموحدين : 266
3ـ نفح الطيب 3 : 527.





ومِـــلاحْ كـــالأقْـــمَـــارْ　　وشَـــراب مـــوْجـــودْ
الـــرَّبـــاب والـــرُّوطَـــة　　والـــزُّلاَمِـــي والـــعـــودْ
انـــتـــبـــه يـــاراقـــدْ　　قُـــمْ وارجـــع قـــعْـــدُودْ
ببُـــيـــوت الأمْـــــوال　　ذا الـــنَّـــهـــار لـــسْ يـــلـــحَـــق

* * *

والـــلَّـــه إنِّـــي مَـــطْـــبـــوعْ　　نـــغْـــمَـــة فـــي ذا الاحْـــبـــارْ
خُـــذْ تَـــرى كـــيـــف نَـــنْـــظَـــمْ　　الـــسِّـــحْـــر فـــي الأسْـــحـــارْ
لَـــوْلا مَـــا تَـــم أقـــوامْ　　يـــنْـــكـــرو ذا الـــمـــقْـــدار
ويُـــقـــالْ زيـــدْ اقـــدَم　　وأنَـــا أطْـــبَـــعْ وأرشَـــقْ

* * *







صورة زجل لابن حسون في مخطوط
السفينة لابن مبارك شاه





لمحمد بن حشوت الحلا[illegible]

احمق   عن قطيع من دمشق

الصبح قد اقبل والظلام قد ولى

والنجوم قد غابت في حجاب علم الله

ونجوم الاغصان قد بدت ان تجلى

[illegible]ماعايت ذيك   ابدت دي تشرين

والنواعير تبكي   والبساتين تفرح

والطيور تطارح   في غناها الملح

والانهار تتهادى   في [illegible]

[illegible]طيع انتنزه   واستمع واستنشق

واشذ من ابريز   يرمي لمعان بلار

في غدير مثل الجو   والحيتان فيه اطيار

[illegible]

وفي قاعوا اصناف   من بديع الاحجار

والطيور لا تهيم   تحرز ولا يسرق

وملاح كالاقمار   وشراب موجو[illegible]

[illegible]ب والروطه   والزلال والع[illegible]

انتبه واقعد   ثم ارجع فعد[illegible]

ببيوت الاموال   في ذا النهار لعشر[illegible]

والله اني مطبوع   نغمه في ذا الاخبار

خذ مني كيف نظم   السجع [illegible]

لولاها ثم اقوام   يذكروا ذا المعد[illegible]

[illegible] زيد اقدم   وان اطبع وار[illegible]

وله في زجل

لو تبتني حين نلتقيه   ربما تجد من شوق

تتقطع وتتعد من يديه





زجل افرحوا وطيبوا
لابن الخطيب



رأينا كيف كانت عناية ابن خلدون بالزجل وحفظه وروايته وتدوينه ومثله في هذا معاصره وصديقه ابن الخطيب، فقد ظهر اهتمامه بالزجل وتكرر تنبيهه على من نظم فيه في عدد من تراجم الإحاطة والكتيبة الكامنة وترجم في الإحاطة لابن قزمان وقال فيه : «نسيج وحده أدباً وظرفاً ولو ذعية وشهرة» ونقل كلاما لابن عبد الملك المراكشي جاء فيه أن ابن قزمان «كان مليح التندير مبرزا في نظم الطريقة الهزلية بلسان عوام الأندلس الملقب بالزجل» ثم عقب ابن الخطيب على هذا بمايلي ؛ «قلت : وهذه الطريقة بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع، وتنفسح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر وبلغ فيها أبو بكر مبلغا حجره الله عمن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المُعْلِم والمبتدئ فيها والمتمم رحمه الله».

ولم يكن ابن الخطيب معجبا بالزجل والموشحات فحسب وإنما كان من المجلّين في هذين الفَنَّيْن الأندلسيين، ولهذا سلكه ابن خلدون في عداد الزجالين بعد أن ذكره مع الوشاحين فقال «ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية من غير مدافع، فمن محاسنه في هذه الطريقة :

أمْــزِجِ الأكْــوَاسْ
وامْــلا لِــي نجدّدْ
مــاخلُــق الـمــالْ
إلاّ أن يـبـــدّدْ

ومن قوله على طريقة الصوفية، ينحو منحى الشُشتري منهم :

بيْنَ طُـلوع ونُزولْ
اخْتَلَطَت الغُـزُولْ
وفَنَى مَنْ لم يَكُنْ
وبَقَى مَنْ لَمْ يَزُولْ





ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى :

البُعد عنَك يابني
أكْبر مصايبي
وحين حصَلْ لي قُرْبك
نَسيتْ قَرايبي[1]

والمثال الأول ما يزال يتغنى به في موسيقى الآلة :

امزُج الأكْواسْ إملالي نْجَدّدْ   ما خُلِق الْمالْ إلاّ ليُبَدَّدْ
قم ترى الأوْراقْ تَرقُصْ في حُلَيْها
والطُيورْ تَنْطَقْ تولَوْلْ عَلَيْها
والنسيم يعبَقْ يقَبّلْ يَدَيْها
وتَرى الْجوهَرْ مَنْظومْ في زَبَرْجَدْ   ما خُلِق الْمالْ إلاّ ليُبَدّدْ[2]

وقد أثبت ابن الخطيب بعض أزجاله في الجزء الثالث من كتاب نفاضة الجراب ونقتطف منها زجلا نظمه بمناسبة رجوع السلطان محمد الخامس النصرى الملقب بالغنى بالله إلى ملكه بعد ثلاث سنوات[3] قضاها لاجئا إلى البلاط المريني وعاشت غرناطة خلالها فترة مضطربة، وكان ابن الخطيب ممن امتحنوا فيها إذ سجن وصودرت أمواله ولجأ كذلك إلى المغرب[4] ولما عاد السلطان المذكور ونزل برُنْدة وظهرت بوادر عودته إلى الملك وجه إليه ابن الخطيب قصيدة طويلة سماها «المنح الغريب»[5] ولما تحقق النصر ودخل السلطان إلى غرناطة خف ابن

---

1. المقدمة : 1463.
2. الحايك : 57 ومن وحي الرباب : 215.
3. أشير بهذه المناسبة إلى التشابه الواضح بين ما حدث للسلطان محمد الخامس النصري وما حدث للملك المرحوم محمد الخامس في اتفاق الاسم والخلع والنفي ومدته والعودة وفرح الشعب بها.
4. أنظر نفاضة الجراب.
5. نفس المصدر.



الخطيب إلى الالتحاق به وقال في الطريق الزجل الذي نثبته فيما يأتي، ومن المعروف أن شعر المناسبات هو شعر إعلامي حماسي، ويبدو أن ابن الخطيب توجه بالقصيدة إلى الخاصة وخاطب العامة بالزجل، والنصان يشتركان في عدد من المضامين جاء في القصيدة عند ذكر تلك الحادثة التي دبرت بليل :

يافتكةً أخفتْ مواطئَ غدْرها حِيَلُ الخَديعةِ والظَّلامُ المُسْبِلُ
عثَرَ الزَّمانُ بها وكانتْ فلتةً شنْعاء والدُّنْيا تَجِدّ وتهزِل

وجاء المعنى نفسه في الزجل :

عَثْـرَ هـذا الْحـادِث فِـي الفلَـكْ وغلطـا
سقطـت بِـه الـدنْيـا فـرْدام سَـقْـطَـا

وقال في القصيدة مصورا حال أهل غرناطة بعد خلع السلطان ورحيله إلى وادي آش :

فَرَحَلْتَ عَنْهُمْ والقُلوبُ بوالغٌ ثغر الْحَناجِرِ والمَدامعُ تَهْمِلُ
فلَقدْ شَهِدتُ وَما شَهِدْتُ كَمَوْقفٍ والنَّاسُ قَد وصَلوا الصُّراخَ وأَعْوَلوا
وبكلِّ نادٍ منْكَ أنَّةٌ نَادِبٍ وبكُلِّ دارٍ منْكَ حزْنٌ مُثْكِلُ

وقال في الزجل :

والأُمَـمْ مِـن الْحَسْـرَا دونَ شَـرابْ سُكَـارا
والعُيـونْ عُيُـون تَجْـري والقُلـوبْ حَـيَـارا
والّـذي ظَفَـر منْهُـمْ بحَـرْف أوْ دُبَـاراً





يَجْعَلُوا في جيبُوا   عَسَى يَنْطَفِي وَجْدُو   ويسْكُنْ وَجيبو

وقال في القصيدة مشيرا إلى مقتل السلطان الغاصب الملقب بالبرميخو :

وأَرَى عدُوَّ اللّهِ عُقْبَى غَدْرِه   وَالخزْيُ مِنْهُ مُعَجَّلٌ ومُؤَجَلُ

وقال في مطلع الزجل مخاطبا أهل غرناطة :

آفْرَحُوا وَطِيبُوا   قَدْ مَضَى عَدُوّ اللّهْ   وَانْجَبَرْ حَبِيبُو

وإذا كانت القصيدة تتميز بجلجلة بحرها وجرس ألفاظها وسمو معانيها فإن الزجل يتميز بسلاسة الألفاظ وسذاجة المعاني وقابلية التغني ، ولعل الناس تغنوا بِهِ فعلا في تلك الأيام ونورده بتمامه فيما يلي.





افْرَحُوا وَطِيبُوا[1] قَدْ مَضَى عَدُو اللَّهْ[2] وَانْجَبَرْ حَبِيبُو[3]

كَانَتْ الْبِلاَدْ وَأَهْلُو نَعَمْ فِيهْ رَغِيبَا
لَمْ تَرْ نْهَارْ فِيهْ ضَوْ وَلاَ بَعْدُ طِيبَا
كِيفْ وَقَدْ صَارَتْ[لُو] أَرْمُلاَ[4] غَرِيبَا

بِاللَّهْ وَيْ[4م] نَصِيبْ قَدْ رَفَعْتُ مِنْ شَوْقُو لَمْ غَابْ نَصِيبُوا[5]

وَالأُمَمُ مِنَ الْحَسْرَا دُونْ شْرَابْ سُكَارَا
وَالْعُيُونْ عُيُونْ تُجْرِ وَالْقُلُوبْ حَيَارَا
وَالَّذِي ظَفَرْ مَنْهُمْ[مَرَّا] بْحَرْفِ أَوْ دُبَارَا[6]

يَجْعَلُوا فِيجِيبُو[7] عَسَى يَنْطَفَا وَجْدُو وَيَسْكُنْ وَجِيبُو

عَثْرَ كَنْ هَذَا الْحَادِثْ فِي الْفَلَكِ وَغَلْطَا
سَقَطَتْ بِهِ الدُّنْيَا فَرْدَامْ[8] سَقْطَا
يَسْتَغِيثُ ذَاكَ الْمَوْلَى مِنْ سُهَيْلْ لِبَسْطَا[9]

1- وطيبوا : انبسطوا واسعدوا.
2- يقصد السلطان المغتصب الملقب البرميخو.
3- يقصد السلطان الشرعي محمد الخامس الملقب بالغني بالله.
4- أرملا : أرملة.
4م- وي نصيب : أين أجده
5- رفعت : خزنت وادخرت
6- دبارا : خيط
7- أي في جيبه
8- فردام : في ردم ويقصد هوة أو حفرة أو أنها فرد أم سقط أي سقطة واحدة.
9- سهيل بلد قريب من مدينة مالقة وبسطة بلدة قريبة من وادي آش.





وَلاَ مَنْ يُجِيبُو   اسْتوى الوطَن كلُّو   خلفُ مَعَ نَجِيبُو

وَمَرَض دِين الإِسْلاَمْ حَتَّى كَادَ يغَمَّضْ
وَلاَ مَن يدوقْ النَّوم وَلاَ مَنْ يَغَمَّضْ[1]
كُلَّ أَحدِ سلَّم فيهِ لِلْقَضَا وفوَّضْ

حَتَّى جَا طَبِيبُوا   فزَالَ الأَلَمَ والبُوسْ   آلّي كَنْ يُصِيبُوا

بِمُحَمد المَوْلَى[2] عَزَّ دِينْ محمَّد
وَرَجَعْ بهِ الإِسْلاَمْ كَمَا كَانَ مُمَهَّد
وَرَأتْ بِهِ الدُنْيَا مِثْلمَا تَعوَّدْ

وَصَلْ وغَابْ رقِيبُو[3]   وسعادة انْ تبْقَى   في عقِب عقِيبُو[4]

يَنْزِلْ الفرج لَمَّا تَنْتَهي الشَّدايدْ
وَلِلَّه فهَولْ[5] النَّاسْ بالجَميلْ عوايدْ
أيْ وَطَن رأى قَصْدُ ومنَاهُ بزايدْ

انْجَبَرْ غرِيبُ   والتحفْ بِسِتْرِ اللَّه   برِيهْ مَعَ مُرِيبُو

لَولا شفقَة السلطانْ الإِلَهْ يُعينُ
ما اجْتَمَعْ شمِلْ[6] إِنْسَانْ فِيهَا مَعَ يَمِينْ
وَمِن يعجبَكْ دنياه أَوْ يَعْجَبكْ دِين

1ـ لعل معنى يغمض الأولى : يموت، ومعنى الثانية ينام.
2ـ يعنى محمد الخامس النصري الملقب بالغني بالله.
3ـ يشير إلى قول بعضهم : غاب الرقيب لارده آلله، والذي غاب هو البرميخو.
4ـ أي في عقب عقبه.
5ـ فهول : في هؤلاء
6ـ شمل : شمال.





فَقيهْ مَعَ خَطيبُ   قالَ للفُنْشْ نُومتَارْ   يَاشِنْيُورْ قَطِيبُو[1]

قَلْ للأندَلَسْ عنّي كُنْ نزيدْ بِعَدَدْ
ومنْ بَعْدِ ذَا نَرْجعْ للْوَصَلْ نَجَدَّدْ
كيف نَسَيْتَنـي بِالحَقّ وقَدَرْتَ تَرْقَدْ

الالَه حَسيبُوا   كُلُّ مَنْ يَخُونْ اِلْفُو   أَوْ يَهْجُرْ حَبِيبُو

مَنْ لاَيَعَرْفْ النِّعْمَا فَزَوَلْهَا يَرْقُبْ[2]
وَفَلالِسْ الكَشْفَا بِيض ولْد تَنْقُبْ[3]
ويُنْدَمْ لأَمْرانْ فَاتْ وَهُ ردُّ يَصْعُبْ

وَيَريبْ حَلِيبُو   وَيَرى مَابي[3] ولَدُ   ومابَيْ رَبِيبُو

قَدْ رجَعْ بِفَضْلِ اللَّه المغصوبِ لمِولاَهْ
اللَّهُ يُلْهِمُو شُكُورْ في الذي قَدْ وَلاَّهُ
أيْ هنِيَّ أيْ فرْحا ياحَبايِب اللّهْ

افرَحُو وَطِيبُو   قَدْ مَضَى عدوُّ اللَّهْ   وَانْجَبَرْ حَبِيبُو

1ـ الفنش : Alfonso، نومتار: No matar أي لا تقتل، شينيور، Senor قطيبو cautivo أي الأسير.
2ـ يشير إلى الحكمة العطائية : من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها.
3ـ شبه مثل، والفلاليس جمع فلوس وهي صغار الدجاج.
4ـ مابي : مابين.





زجل صبوحي
للفقيه عمر المالقي





ـ لعل أشهر زجال أندلسي في القرن التاسع الهجري هو الفقيه عمر، واسمه الكامل أبو علي عمر بن علي بن عمر الحاج السعيدي المالقي ميلادا ومنشئا الغرناطي سكنا. عرف به معاصره أبو يحيى ابن عاصم في الروض الأريض، قال «صاحبنا الكاتب البارع الخصل، المرهوب النصل، المليء بفنون الأدب نظما ونثرا، وكَتْباً وشعرا، ومصنوعا ومطبوعاً، ومرسلا ومسجوعا، وجدا وهزلا، وتولية وعزلا، لا أعلم أني لقيت بعد الرئيس أبي عبد الله الشرَّان[1] رحمه الله أبرع منه في الكَتْب والشعر، ولا أقدر منه على النظم والنثر[2]» وبعد أن وازن ابن عاصم بين الفقيه عمر والشران وفضل الفقيه قال إنه «أفرغ جهده في أن يتقدمه في المرتبة وأن يظهر عليه في الخصوصية بهذه المنقبة (يعني الزجل) فحبر الرسائل، وأنشأ إلى الروضة النبوية الوسائل وكتب مغربا في الأساليب الظهائر، واخترع في الكَتْب السلطاني فنونا خالف فيها الطرق الشهائر، واختلق في التهاني القصائد، وابتدع في سني الأغراض المذهبات القلائد، وعطف بالقطع الفاذة، والمعاني المعهودة والشاذة[3]» ومما قاله أبو يحيى ابن عاصم في فصل من ظهير كتبه في حقه «لو تعلقت المعاني بالعنان لاستنزلتها بلاغته من صياصيها، ولو استصعبَتْ شوارد القوافي لأمكنته جزالته واقتداره من نواصيها، فكأين له من مذهبة سائرة في الآفاق، متلقاة من البلاد الشاسعة على ألسنة الرفاق، ولانوع من أنواع الأدب إلا وقِدْحُهُ فيه المعلى، وتاجه من أصناف يواقيته المحلَّى»[4].

1ـ انظر ترجمته في نيل الابتهاج : 311 وأزهار الرياض 1: 116، 133، 145، ورحلة القلصادي : 43 وجنة الرضى 3 : 70 وروضة الاعلام 172 مخطوط الخزانة الحسنية وشجرة النور الزكية : 248.

2ـ روضة الأعلام لابن الأزرق 2 592 ـ 594 تحقيق سعيدة العلمي.

3ـ نفسه.

4ـ نفسه.





وقد كان اسم الفقيه عمرفي زمنه كافيا لمعرفة من المقصود، وبقي الأمر كذلك إلى عهود متأخرة ففي القرن الحادي عشر الهجري، كانت شهرة الفقيه عمر وأخباره ماتزال من مواضيع الأسمار الأدبية كما يقول المقري الذي وصف الفقيه عمر بالأديب الشهير وقال فيه أيضا «فهو أشهر من نار على علم»[1] وقد حُلِّي في مقدمة قصيدته المسماة بفراجة الكرب، في مدح سيد العجم والعرب بما يلي «قال الشيخ الفقيه الرئيس البليغ المنشئ المبدع المخترع الشاعر المفلق الناظم الناثر الكاتب البارع المجيد»[2] ولعل المقرى الذي وقف على عدد من آثارهذا الأديب يزكي النعوت المذكورة إذ يقول« وكلام المذكور كثير، ومحله من عذوبة المنطق أثير.. وله عدة تآليف أكثرها هزلية ويقول أيضا «وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند العامة محفوظة»[3] ولم يصل إلينا من هذا كله إلا القليل كمقامته التي سماها بتسريح النصال، إلى مقاتل الفصال[4] وهي تشتمل على نثر وشعر في السخرية والاستهزاء بأحد أدعياء التصوف بغرناطة في وقته.

وقد أوردها المقري في نفح الطيب وفي أزهارالرياض وقال : «وأثبتها لأنها أخف مارأيت من هزليات الفقيه عمر المالقي[5]» وأثبت له كذلك مقامة في أمر الوباء[6] وهي شبه مفاخرة بين مالقة وغرناطة وقد أشرت قبل قليل إلى قصيدته المسماة بفراجة الكرب في مدح سيد العجم والعرب، وهي مخطوطة تقع في مائتين وثلاثين بيتا مطلعها :

---

1. أزهار الرياض 1 : 116.
2. من مخطوط خاص.
3. أزهار الرياض 1 : 132.
4. انظرها في أزهار الرياض 1 : 116. 124.
5. أزهار الرياض 1 : 116.
6. أنظرها في أزهارالرياض أيضا من ص 125 إلى ص 132 وفي آخرها أن الفقيه عمر كتبها بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مائة.





قُـلْ للولهان تُصبّره   للّهِ الأمرُ يـدبّـرُهُ

وقد سار فيها على نهج المنفرجة لابن النحوي ونظمها على غرار بحره[1].

وهي تذكرنا كذلك بخببِيَة الحصري التي عارضها كثيرون :

ياليل الصبّ متى غده   أقيام الساعة موعده

وأما الأزجال التي اشتهر بها الفقيه فقد كانت كما يقول المقرى - عند العامة - محفوظة وعند الخاصة مرفوضة[2] ولسنا ندري هل دونت أم تركت للرواية الشفوية حتى ضاعت، ونعرف أن بعضها كان يتغنى به في النَّوْبات الأندلسية يقول الغساني في معرض حديثه عن الشجر المسمى في الأندلس والمغرب بديدي «وقد ذكره الفقيه عمر كثيرا في أزجاله وغنى عليه وتغزل فيه بأشعار لجمال منظره وغرابة شكله وملاحة نوره. فمن ذلك قوله في زجل من رمل الماية بديع الصنعة والحلية :

غَرْناطَا فِتْنَا للْبَشَرْ   آخِرِ النَّهارْ   وزَهْرها يُبْدِي

قُـرْب وصْل وَعْـدي

والحَمْرا واجِبْ تَتْذَكَرْ   مَعَ الدِّشارْ   مَغانِيها تبدي

زيِّنَتْ بخُلْدي

وأطْـراف   الثمـار   قَـد زُخْـرف بالجلّنـار

أصْفَـر وآخَـر ديـدي   خلفـونـي   وعـدي

البَنَفْسَج   حيـن   يبْـدي   مـا أعـزّ علـى كبـدي

ما أَنِي وَحْدي[3]

---

1. عندي منها مخطوطتان.
2. أزهار الرياض 1: 116.
3. حديقة الأزهار للغساني 84.





ومما نحسبه من أزجاله ما يتغنى به في ميزان قدام العشاق :

يَعْجَبْني المدامْ في الكاسْ لونُه قد رجعْ ورْدي
وفاح الزهْر والآسْ والخيْلي مَع الديدي
وصبْيان صِغار جُلاَّسْ بهم يَنْكمَلْ سَعْدي
راعِ يا ملِيحْ راعِي راعِ صُحْبتَكْ ماعِي
واعْمَلْ لايجُوع الديبْ ولاَ يقْبَض الراْعِي[1]

ومما نقدر أنه من أزجاله ما يتغنى به في ميزان قائم ونصف الاستهلال :

وحُسْنَكْ اشْتَهَرْ في غَرْناطَه وَحْدَكْ يازين الصغار
فَقُمْ في السَّحَرْ تَسْقِي الْمِلاح بِيدَكْ كؤوس العقار
وحِينْ تَقومْ في السَّحَرْ يشْرَقْ ضيا خَدّكْ كدارة القمر
يَخْدَمْني نَصيبْ بوَصْل الْحَبيبْ وعيشي يطيب
ودَع الرّقيبْ في قَصْده يَخيبْ عَنْ بَصري يغَيب[2]

وله زجل مخطوط تصريح فيه باسمه وكتب ناسخه في أوله : «صبوحي للفقيه عمر رحمه الله» وسنثبته هنا، وهو في موضوع الصبوحيات المعروفة في الموشحات والأزجال[3] وفيها يمتزج وصف الطبيعة في الصباح بالتغزل وشراب الصبوح، ولا يختلف هذا الزجل الصبوحي عن الموشحات الصبوحية التي نجدها مثلا في ديوان ابن زمرك[4] إلا في الإعراب وبعض الألفاظ وهو على كل حال مثال للزجل الأندلسي في القرن

1ـ كناش الحايك : 94 من وحي الرباب : 141.
2ـ نفسه 121 ومن وحي الرباب : 154.
3ـ مثل صبوحيات ابن زمرك والمدغري وصبوحي ابن علي.
4ـ ديوان ابن زمرك 538.



التاسع الهجري الذي لم يتحدث عنه المؤرخون[1]. كما أنه وصَبوحه شابهما بعض الغموض لدى المعنيين بهذا الموضوع فالدكتور عباس الجراري في كتابه القصيدة أورد طرفا من هذا الزجل ونسبه إلى الزجال المغربي محمد بن علي بوعمر[2] والأستاذ محمد الفاسي ترجم في الملعبة لمن اسمه الفقيه عمرو وقال : «لا أدري شيئا عن هذا الشاعر سوى أنه تنسب له قصيدة يلحنها مطربو الآلة وتسمى صبوحي الفقيه عمرو وقفت عليها في كناش قديم ولا يعرف إلا بالفقيه عمرو[3] ولعل هذا الذي كتبناه حول الفقيه عمر وزجله يجلو ما كان حوله من غموض وإبهام.



1ـ أنظر كتاب الزجل في الأندلس للدكتور عبد العزيز الأهواني ص120.
2ـ القصيدة : 379.
3ـ الملعمة ج 2 ق 2 ص 311.



لا غالب إلا الله

صَبُوحي

لِلْفقيه عُمر رَحِمَه الله*

فَاحَ الوَرْدْ وَالسُّوسَانْ مَابَيْنَ الغُصْـانْ وَرَشَّ النَّدى الرِّيحَانْ
فَقم يانديم عجْلانْ تَـرى الصُّبْح بَـانْ وامْلاَ البَاجْ[1] وَالقُطْعَانْ[2]

وَقُلْ للصَّبَاح أهْلاَ وَوَجَّدْ مُنْقَـلاَ[3] مُسَدَّسَ سُمْرَةَ الدُّبْلاَ[4]
وَأنْظُرِ الفَجْر يُجَلِّى كَـسَـاتْ حُـلاَّ حِكْـمَـة المَـولَـى
دَابْ هُوَ المُدَام يَحْلَى امْـلاَ الكَـاسْ مَـلاَ نُدَاوِمْ مِن الثَّمْلاَ[5]

يـقَّـظْ غْيُـودْ[6] الْحَـالْ وَالنَّـائِمِيـنْ جُـمْـلاَ
لِلْبَـاج وَالقُمْصَـالْ[7] وَالأَبْرقِـيـنِ أَمْـلاَ
جُنْـد الظَّـلاَم قَدْمَـالْ مِهْزُوم مِـنَ القَبْـلاَ

جَيْشَ الصُّبْح جَاعَجْلاَنْ جَـرَّدْ بِـالْبَيَـانْ وَجْبَدْ سَيْفُ لِلْمِيدَانْ
وَاللَّيْل انْهَزَمْ دَهْشَانْ وَتْرَحَّـلْ وَبَـانْ دَابْ طَابَ لِي السَّلْوَانْ

كَاسْ الزفرَّ[8] أيَا مزَّاجْ امْـزُجُ فِي الزُّجَاجْ لَنِّي بِهِ كَثِيرْ مُحْتَاجْ

---

* اعتمدت في نشر هذا الزجل على ما ورد في مخطوط مصوّر بالخزانة العامة وأمدني الأخ الدكتور عبد الملك الشامي مشكوراً بصورة نسخة أخرى منه توجد في المعهد الموسيقى بفاس وذكر الأخ الدكتور عباس الجراري أن عنده نسخة من هذا الزجل.

1. الباج : الكاس الكبير.

2. القطعان : جمع قطيع وهي زجاجة يوضع فيها الشراب.

3. منقلا : منقلة : وردت في VOC مع المرادفات التالية : مائده، ميدة سفره، طبلة، تيفور وهي التي يوضع فيها النقل وقد وصفها ابن جبير فقال :

أنا للندامى نـزهـة المستمتع تبدو نجوم سعودهم في مطلعي
ما في موضع لحظة إلا احتوى نقلا فلي في النفس أكرم موضع
أنا مستطيل الشكل إلا أنني قسمت بين مسدس و مربع
فمتى أكن أنا والخوان بمجلس لم يؤثر الندماء إلا موضعي
الفضل لي وإن اشتبهنا منصبا وكفى بأني من ذوات الأربع

4. يبدو أن هذا نعت للمنقلة أي أنها مسدسة والدُبلا – بضم الدال – الدبلة ومعناها الزجاجة والقنينة، وهي كلمة إسبانية dubla ومن الواضح أنه يدعو نديمه إلى إعداد آنية الشراب.

5. وداب : الآن.

6. غيود : جمع غيداء. وجملا : جملة أي جميعا.

7. القمصال : الإبريق الكبير. والباج : الكاس الكبير، وقد تقدم والأبرقين : الأباريق، والقبلا : القبلة وهي جهة الجنوب.

8. الزفر : الشراب الثخين. لني : لأني.



لا غالب إلا الله

نبه جُمْلة الأَغْنَاجْ[1] ذَوات الـدبَّـاجْ يَرَوْا انْهزَام الدَّاجْ[2]
والْعودْ تَتْبعُ الأزْنَاجْ[3] فيمـا بينَهُـمْ لَجَاجْ وعَلَيهم ربَاب بهْرَاجْ

نَبَّـهْ غُيُـود التَّـاجْ لِلْـفَـرَحْ وَالـفُـرْجْ
بِثِيَـابْ مِـن الـدبَّـاجْ سَبْـلُـو عَلَـيْـهِ دَهْـجْ
هَيْفَاتْ[4] خُشُوفْ أَحْرَاجْ[5] يَسْبُـو لِـي المُـهْـجْ

إِذَا يَنْطَقُوا بِبِيَانْ خَشْفَانْ بِالمَكَانْ يَتَلْقَوا بفَرْدْ إِنْسَانْ[6]
نَسْتَغْفرْ عَظِيم الشَّان نَقُولْ لَكَ عِيَانْ حُورِيَاتْ مِن الرِّضْوَانْ

* * *

هَيْفَاتَ طبعهم مطْبُوعْ يُنْشِدُوا للطُّبوعْ يَجَلو العَطَشْ والجوعْ
إِنْ كَانَ شَمْلَهُم مجْمُوعْ يَزِيـدُكْ بـدُوعْ[7] فَصْنَاف الغِنَا وادْفُوعْ
إِذَا نَادمُوا المُلُوعْ[8] يَزِيـدُوهْ خُشُـوعْ وَيَلاَزَمْ بكَا ودْمُوعْ[9]

وحْـدَ تديـرْ اقْطيـعْ[10] وتشـمَّـر القَنَّـعْ[11]
وَتَدُورْ بِـالتَّربِيـعْ وتجـاوب الجَـدْعْ[12]
تَنْطَـقْ بلَفْـظ سْريعْ لَـهَـا القـلوبْ تُـدَعْ

---

1. الأغناج : ذوات الغنج والدلال؛ والدباج = الديباج.
2. الداج :الليل والظلام.
3. الازناج : الاصناج جمع صنج آلة موسيقية. ويهراج : يحدث الهرج.
4. هيفات : جميلات، جمع هيفاء
5. خشوف: جمع خشف أي الظبية الصغيرة والأحراج : الأشجار الملتفة.
6. فرد إنسان : إنسان واحد
7. الطبوع : الانغام والطبوع الموسيقية معروفة
8. وبدوع : إبداع، فصناف : في أصناف. وادفوع : ودفوع ويبدو أنه اصطلاح موسيقي.
9. الملوع : أي المولع.
10. اقطيع : القطيع : آنية الشراب.
11. القنع : القناع.
12. التربيع لعله الدف المربع، والجدع = الجدعة أي الفتاة القوية.

طوفان الأقصى

تَسبي الْعَاشِق الهيْمَانْ بصْوَاتَا حِسَانْ مهْمَا رنّوا الْعِدانْ
وخَمْرَ مُخْتلَف الألْوَانْ لَونْ الزّعْفرَانْ صَبْهَا كَأنّهَا عِقْيَانْ

* * *

خمْرَ تَشْتَعِل فالْكاسْ تُذْهِب كُلْ بَاسْ تَشْعَلْ كَأنّهَا نبْرَاسْ
تَتْنَوَّع عَلَى الأَجْنَاسْ مَافِيهَا دلاَس[1] بهَا طَابَتْ الأنْفَاسْ
دوَاهَا فَلاَ يُقَاسْ مَالْهَا قيَاسْ هِي تَشْرَحْ الجلاَّسْ

* * *

أتْطَرّدْ التّكْبِيس[2] وتْزَول الوَسْوَاسْ
مِمّا صَنَع يبْلِيس[3] الْمَارد الْخَنّاسْ
للدّالِيا تَاسِيس[4] أجَلّ مايُغْرَاسْ

* * *

أنْظُر شَجَرَة الرِّيحَانْ مَعَ الْخَيْزرَانْ وَالتُّفَاحْ مَعَ الرُّمَانْ
إذَا همّتْ فِي الْبُسْتَانْ العِنَبْ يُصَانْ غُصْن عَلَى الشّجَرْ سُلْطَانْ

خَمْرَ تَشْرَح الأَخْيَارْ أتْطَرد الْأغْيَارْ تَجْلي النّكَدْ والأكْدَارْ
مِنْ عَهْدِ السّلَفْ تُذْكَر بالوّاجِبْ تُدَارْ عَلَى جمْلَة الْحُضّارْ
هِي غَايَة الاسْرَارْ وَفِيهَا شْرَارْ تَشْعَلْ كجمار النّارْ

تَارَ تَكُونْ صَفْرَا فَالكَاس حِين تُبْصَرْ
وَعَلَى الْخُدُودْ تَنْرَا نوْعًا مِن الْعَكَرْ
بهَا العَلِيلْ يَبْرَا إنْ كَانَ سَقِيمْ مضْرر

1. دلاس : دلس وتدليس.
2. التكبيس : الهم والضيق.
3. يبليس : إبليس.
4. الدالية : شجرة العنب.



هي صَنْعَة الشَّيْطَان أَبْدَعَهَا وَخَان فِيهَا مَنْفَع للإنْسَان
إلاَّ أَنَّهَا عِصْيَان وكِفْ قَال في القرآن مَوْلاَنَا غَفُور رَحْمَان

* * *

يَامَنْ هُوَ لَبِيب يَدْري بَالَكْ تَزْدَري افْهَم من لغات شِعْرِي
اجْنِ الوَرْد وَالنَّسْري مِنْ رَوْض اليُسْر وَاليَاقُوت مَعَ الدرِّ
وَاجْلِس لِلْمُدَام بَكْري وانفق واشْتَري قَالَ الطَّالِب العُمْري[1]

نُوصِيكَ أَيَا خَمَّار لاتَبْخَل عَلَى الْحَضْرَا
افْهَم لُغَا الأَوْتَار واعطْف عَلَى النَّقْرَا
قَالَ الأَدِيب أعْمَار[2] آلٌ عَلَى الشُّعْرَا

سَمِعْنَا عَلَى الأَعْيَان فِي قَدِيم الزَّمَان كَانُوا يمْدَحُو الإِحْسَان[3]
وَالْيَوْم نَمْدح الإِنْسَان وَنَقُول ذَا فُلاَن سَاعَ يُوجد عَجْزَان

* * *

اصْغَ غَايَة التَّرْتِيب يَامَنْ هُوَ لَبِيب لَكْ فِي النَّاس عَدُو وحَبِيب
تَمْدَح مَنْ تَظُنُّ نَجِيب وَتَقُول ذا حَبِيب تَرَى السَّعْد فيه يَخِيب
وَمَنْ هُوَ لَبِيب حَسِيب فِي ذَا الْجِيل غَرِيب هَذَا حَق بِلاَ تَكْذِيب

1ـ العَمْري : العُمَري : هو صاحب الزجل والنسبة إلى عمر جده وقد سمي به وحرفت إلى العشري في بعض النسخ.
2ـ اعمار : عمر وهواسم الزجال.
3ـ لعله يشير إلى قول الشاعر :
النَّاس أكيس من أن يمدحوا رجلاً مالَمْ يَرَوْا عنده آثار إحْسَان.



نَجْم الثَّنَا قَدْ غَابْ عَنَّا صَحِيحْ وَخْبَا
وتْبَدَّلُوا الأَسْبَابْ صَارُوا الكْرَامْ تُرْبَا[1]
وكَذلِكَ الأَصْحَابْ لاتَامَنْ الصُّحْبَا

نَحلَفْ لَكَ عظيم إيمَانْ حقِيق بِالبيَانْ ما نَمْدَحْ ولاَ إنْسَانْ
سوَى سَيِّدَ الثقَّلانْ[2] عَلَى طول الزمَانْ وما نَغْفَل علَى السُّلْطَانْ[3]

* * *



1ـ أي أنهم ماتوا.
2ـ هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وللفقيه عمر فيه مدائح ورسائل وجهها إلى روضته، ولدينا قصيدة سماها فراجة الكرب، في مدح سيد العجم والعرب تشتمل على 226 بيتا وقد قالها الفقيه عمر لما حوصرت غرناطة ذات مرة. والثقلان : الإنس والجن، وفي الأصل : الثقلين.
3ـ في نسختنا : السلمان وفي نسخ أخرى السلطان وبعد هذا الزجل في المخطوطة المصورة بالخزانة العامة زجل على وزنه للفقيه عبد القادر المنون في مدح الرسول عليه السلام.





صورة من نسخة خطية من صبوحي
الفقيه عمر الزجّال





مدوح للفقيه [illegible] رحمه الله

جاء الورد والسوسان • ما بين الأغصان • ورش الندى [illegible]

جمع [illegible] بعد [illegible] • ترى الشيخ بان [illegible] أملأ البلاد والعمران

مقبل للفلاح أهلا • ووجد منهلا • [illegible] أرض جلا

أنظر للحي [illegible] • كست حللا • حكمة الأمثلا

لما [illegible] دهر [illegible] مجلا • املأ الكاس ملا • [illegible] من [illegible]

بفضل غيوث الخلال • والذي يبين جملا •

للبلاد والخصال • والذي في أملا •

جند الطلاق [illegible] مع [illegible] من الفشلا •

جيش الصبح بما علان • جرد بالبيان • وجبت سيف للميدان

والبدر انهزم • [illegible] • تترجل و[illegible] • لما كان لي السلوان

كاس الزجر أبا مزج • امزجه الزجاج • [illegible] ممتلج

نبه جملة الأعلاج • [illegible] • يبرزوا انهزم الأزواج

والعود تتبع الأزناج • ما بينهم [illegible] • وغلبهم ربابه بحراج

نبه غيوث التاج • للعرج والعراج

[illegible] من الأزواج • [illegible]

هيبتك خشوع أزواج [illegible] إلى الشجو

إذا [illegible]



زجل الحربي
لابن عبود الفاسي





ـ كنت متشوقًا للوقوف على قصيدة الحربي لإثباتها ضمن هذه المختارات من الأزجال التي قيلت في أحداث تاريخية، وقد قويت رغبتي في الحصول عليها عندما وجدت المرحوم الأستاذ الفاسي يقول في الجزء الثاني من معلمة الملحون : «وقد نشرت قصيدة الحربي هذه في روائع الملحون في الجزء الثاني من معلمة الملحون»[1] ولما رجعت إلى هذا الجزء وجدته يشتمل على سبع وستين قصيدة كما ورد في تقديمه ولكن لا توجد بينها قصيدة الحربي، وقد كان الأستاذ الفاسي أشار قديما في محاضرة له منشورة إلى هذه القصيدة وقال : «لذلك كانت أقدم قصيدة بلغتنا عن طريق الحفظ والكنانيش القديمة هي قصيدة الحربي للشاعر ابن عبود وهو من أهل فاس كانَ أيام الوطاسيين وكان مع سيدي عمرو الوطاسي قائد الجيوش الوطاسية في وقعة تادلة بين أحمد الأعرج السعدي وأحمد الوطاسي وهي التي أسفرت عن اعتراف الوطاسيين بسيادة السعديين على الجنوب، وهذه القصيدة في وصف هذه المعارك وتاريخها سنة 953هـ (1536م) وقد ظهر فيها هذا التطور الذي أشرت إليه آنفا فهي تحتوي على عروبيات ونواعير ولكل قسم قوافيه الخاصة، وقد أشار صاحب الاستقصا لهذه الوقعة قال «قد أنشدت فيها قصائد الملحون»[2] أما نص كلام الناصري فهو كما يلي : «هذه الوقعة من أعظم الوقعات التي كانت بين الوطاسيين والسعديين، وما زالت العامة تتحدث بها في أنديتها إلى الآن ويبالغون في وصفها والإخبار عنها، وقد ذكرها شعراؤهم في أزجالهم الملحونة وهي محفوظة فيما بينهم»[3].

1ـ معلمة الملحون ج 2 ق 2 ص 49 (990).

2ـ مجلة البحث العلمي ع1.أس1.أومجلة تطوان ع.9 ص 12.

3ـ الاستقصا 4 : 372 (ط. 2001).





وقد ساق الدكتور عباس الجراري كلام الأستاذ الفاسي السابق وعقب عليه بقوله : «أما القصيدة ـ ولم يذكرها الأستاذ الفاسي ـ فهي التي يقول الشاعر في أولها :

مالْ الْخَيْلْ الَّذي اخْتَلَطْ فـميْدان   صكَّتْ هاذي لذي وهاذِكْ لْهاذي

والغْبَراعمدت اكْسات اعلْى التّيجان   حتّى عادَ النهار غالس فرصادي

وقال بعد هذا إنه لا يوافق الأستاذ الفاسي في اعتبار هذه القصيدة أقدم ما وصل إلينا وإن كانت تعتبر من النصوص الأولى للزجل في الشكل الذي بدأ يستقر عليه في القرن العاشر الذي يعتبر بداية مرحلة جديدة لهذا الزجل وليس بداية له لأنه عرف بالمغرب في زمن الموحدين وازدهر في عهد بني مرين، وبعد أن سرد أسماء الزجالين في هذين العهدين وقف وقفة مفيدة عند مولاي الشاد وعبد الله بن احساين وتلاميذه ومن هؤلاء من كان قبل ابن عبود[1].

ولعلي فهمت من عدم كلام الدكتور عباس على قصيدة ابن عبود ومن أجوبة من سألتهم عنها أنها لا توجد إلا عند الأستاذ الفاسي الذي يقول في المعلمة : «وهي عند مولاي المهدي[2]».

وبينما كنت أتصفح بعض مجاميع الملحون في الخزانة العامة إذا بي أجد قصيدة الحربي في المجموع رقم 594ج وهي مكتوبة بخط حسن ويبدو أنه قديم، ولم يعن ناسخ القصيدة بترتيب أبياتها وإنما اكتفى بوضع علامة في آخر كل شطر، وهي تتميز بتنويع قوافيها، وهذا التنويع هو الذي وضع له المتأخّرون مصطلحات القسم والعروبي والحربة والناعورة والكرسي أو الردمة وغير ذلك، وقد صاروا يكتبون القصائد

1ـ انظر القصيدة من ص 534 إلى 585.

2ـ ذُكر الأستاذ الفاسي هذا الرجل في المعلمة أكثر من مرة. انظر المعلمة 2/2 : 310





على هذا الأساس، ولكني سأثبت القصيدة كما كتبت في النسخة الخطية، وهي تفتتح بمطلع من بيتين يتكرّر مثل عددهما وقافيتهما في آخر كل قسم، وقد اشتملت على 9 أقسام وفي لغتها ألفاظ عديدة من عامية ذلك العصر سأشرح بعضها في آخر القصيدة. وفيها وصف حي لمشاهد المعركة التي كان الزجّال حاضرا فيها فهو يقول :

من دون أرواح ريت فالرحبا كسدات.

ويقول : هذا الحرب الكبير عمري ما ريت.

ويشهد وصفه لهذه الحرب أنها كانت حامية الوطيس وقد استمات فيها كل فريق من المتحاربين إذ كانا معا حريصين على النصر أو الموت، أقسماعلى ذلك بالأيمان المغلظة :

حلفت هذي لذيك بمهالك ليمان

ليس يوقع افذا المسلا ردادي

حتى يتخلّص المدين من المديانْ

ويْعود الدم بيناً مثل الوادي

وحلفت ذيك لاَ خْرى وقالت ما فيها

إلاّ ضَرْب الحسام فرغ اليوم الفيش

لمَّن هي اليوم يدنا لها

ما زدنا للخلود يكفي من ذا العيش

وترى لجواد يندهو لها لها

واختلط يا لطيف لطم الجيش الجيش





وهكذا قامت سوق الحرب، والشاعر يشبهها بسوق تقليدية فيها باعة ومشترون ودلاّل يتردّدُ بينهم بالسلعة التي هي الأرواح :

عَمَلْ فالْحرب سُوق راتَع فَا رواحَنْ تدخل ادْلالاَ
ما تسمَعْ غير طوفْ وارجَعْ لا مَن يشْورْ عْلَى الْمَسَالاَ
وَتَلاق مُشْتري وبايَعْ ماطَلْبتْ ذي لذي امْقالاَ

وقد أطنب في وصف مناظر جثث القتلى التي انتشرت في ساحة المعركة وشبهها بالمط والغمار (أي الأكوام) في الفدان زمن الحصاد :

لبطال فالارض كنّ المَطْ هذي لذيك جرت الخط

ويقول في موضع آخر :

وابْدان امْحَرجا تطير بلا يدّين والرُّوس امْحَرفا على حد الدركات
هذا مَجروحْ ذا مضيع ذاك ينين هذا مَزْوي وذا مودّع هذا مات

ويقول أيضا :

ذاك موهن وذاك طايح لَبْطال حروبها اصضعّا
الموتى باقيا احويزا اتقول غْمار فاتّويزا ما طلبت ذي لذي امريزا

ويقول كذلك :

هذا من ضَربتُ امكندَسْ لَخرْ من سرْجُ امكَرْدَسْ
هذا فامصارنْ معفَّسْ

كما وصف الخيل التي هلكت في المعركة على اختلاف ألوانها وقال :

وما بقا من امشهر أشهب ازيتي ولخضر العش بقا والحباري



واصفر وادناس والبجر   وبقى نحاسي وگمري   ولَدهم بقافا محاري

وبقى البلحي والعقيقي والنعمان   وبقى الفوطي مع لزرق حجر الوادي

وابْقى البرگي فاسمر للغربان   نوار الفول والحديد والرمادي

ومن الأبيات المؤثرة في هذه القصيدة تلك التي يُخاطب فيها محارب صاحبه وهو يقدم على الموت قائلا :

ينده في صاحب ويقول اواه افلان   هذا حد العمر ووفى ميعادي

بلغ لاهلي اسلام وحكي شايب كان   يعطو مهر المرا ويدوّ اولادي

وقد خصص الزجال القسمين الأخيرين من قصيدته لممدوحه الوطاسي مولاي عمرو بن زيان حفيد يحيى بن زيان بن عمرو فوصف شجاعته وفرسه وأهدى إليه قصيدته ثم سمى نفسه وختم بالصلاة على رسول الله. وهذه القصيدة في حاجة إلى تحليل واسع، وهي مليئة بالألفاظ الغريبة العامية المغربية وسنشرحها إن شاء الله في مسرد لغوي، وها هو نصها :

لا غالب إلا الله

طوفان الأقصى

مَالْ الخيلْ الْذي اختَلْطُ فَلْمِدانْ   صَگتْ[1] هذي لْذي وهاذيكْ لْهادي

والغَبْرا عَمْدت كْسَات عْلَى التيجانْ   حَتَّى عاد النْهارْ غالَس[2] فَرْصادي[3]

صَلُّوا وسَلّْموا عْلَى طَه الْعَدْنانْ   محـمّد شافـعْ امْتْ فالميعاد

* * *

مَالْ الخيلْ الْذي نْراها تتْزلَّفْ   بَعْگادْ[4] امْحرّْجا[5] للحروب الدنّاتْ

واشندگ[6] بالبنودْ فالجو اتْرفْرَفْ   وَغْوابَطْ[7] وانْفِيرْمن خلْف الصَّگاتْ[8]

وَعْواد الزَّانْ ذي عْلَى تَتْرَعّْفْ   واخْبَط الصّارم المهنّدْ بالضّرْگاتْ[9]

صالَتْ هَذي لْذيكْ بالعَگْد الصَّايَلْ   وَطْرَارْد[10] فاسمّا تحَوم واشْنايل[11]

اتْقول اجْراد دازْ رَاحَل فاگْوَافَلْ[12]

تَـنْضَرْ لَمْصَفْحاتْ تَـلْـمَعْ[13]   واقْـلَـمَـنْ[14] كِنْـهَـا نْـجـوم

واطْبُولْ اسواطها[15] اتْـفَرْگَعْ   واشْنـايَـلْ فـالسّْـما تـحـوم

وَيْنـادِ صاحِـبَ الشّْلَعْلَـعْ[16]   يَـنْـدَه لَجْوَادْ ويـنْـهُـوم[17]

يَـنْـدَه فالمَسْتحي عْلى العارْ   مَـنْ هُـو لـيتْ كـل صـبّـارْ

بالـنَّـدْها[18] يـرتْمَى عْلَى الـنَّـارْ   الـنَّـارْ صَاحَـتْ عْـلى الـنَّـارْ

نـار الـحَـرْب ايـلْـهـا نـارْ   تَـشْـعَـلْ ابدَگْ اصوارَم[19]

مـا يـلّْها[20] كُـلْ صَـبَّـارْ   والهَـنْـد[21] تَـرمِـي بـلَـشْـرَارْ

بـين الْـيُـوت ادْراغَـم[22]

لا غالب إلا الله

حَلْفَتْ هَذي لْذيكْ بَمْهَالَك لَيْمانْ   لِيسْ يوقَعْ افدَاْ المَسْلاَ رِدْادي[23]

حَتَّى يَتْخَلَّصْ المَدْينْ من المدْيانْ   وايْعود الدَّمْ بينَّا مثْل الوادي

* * *

حَلْفَت ديْكْ لُخْرا وقالَتْ ما فيها   إلاَّ ضَرب الحَسْامْ فرغ اليوم الْعيش[24]

لَمَّنْ هيا الْيُومْ يَدَّنا فِيها   ما زدْنا للخلود يكفي من ذا العيشْ

وتْرا لَجْوادْ يَنْدَ هو لِيها لِيها   واختَلْطُ يالطيفْ لطم الجيش الجيشْ

واختَلطُ يالطيف بَضْريب الشَّفْرَاتْ   اجْرا الدَّگ بالعدد والْحَرْبات[25]

وجْما جَمْ طَيْرَ عَلَى حَد الْكَسْدَات[26]

عَمَلُ فالْحَرْب سُوقْ رَاتَعْ   فَـارْواحَـنْ تَـدْخُـل ادْلالاَ

مَا تَسْمَعْ غير طوفْ وارجَعْ   لا من يشْوَارْ عـلـى المَسْالا

وتْلاَق مشـتـري وبـايَـعْ   ما طَـلَـبْـتْ ذي لْـذي امْقـالا

هَذي تـنـده وتْقـولْ لا لا   الْيُـومْ الـيُـومْ لاَ مْـحـالا

نُـورِّ الحـربْ للعـگال

لقْماط[27] حَلَّت بـالـقْمَـاطْ   حَسَّ الـبط اطْـراف لَلْـمـاطْ

مَـتْـرَادَفْ ذا عَـلَـى ذا

اطْجيج[28] واخْبِيط واعْـيـاط   واشْـتَـبْـكُ رُس لَمْـشَـاط[29]

اشْـتَـبْـكتْ هَذَا افْـهَذَا

هذي تنْدَهْ وذيكْ ماطلّبتْ قيْلان[30]   وتَّنْدق الزّان بينْهم حَاي[31] أغَادي

وسْيوف الهنْد تَكْرع[32] منها النِّيران   وعْزالِي[33] مرْهفا اتمزَّگ لَكْبادي



طوفان الأقصى

اخْتَلْطُ فَالْعَراكْ راتْ العين أُخْرا   صاكت هاذي لْليكْ وخْتَلْطت لعكاد
بخْبيط السّيف[34] ورْداني والشَّفْرا   لَحْسُكْ ارقاب الكرام علْى الاجْساد
وشْنا يلْهمْ بالدْما صارتْ حَمْرا   ما تسمَعْ بينهُمْ غيرْ أجادْ آجادْ
مَا تَسْمَعْ بينْهُم غير اثْبات   وخيول تموجْ قَانْما[35] بسْروج امْتين وخلاتْ

مَنْ دونْ ارْواحْ ريْت   فالرَّحْبا كَسْدات[36]

الغْبَرْ والطجاجْ طالعْ   طَنّبْ وانْشر على الوَغا[37]
وسْيوف الهند غير تلْمَع   وَجْراح بالدَّم نابْغا[38]
واجْواد تزيد بالگلايع[39]   ورقاب آلْها مزْلَعا[40]

منحدرْ كانْها حمَالي

لَبْطالْ فالأرْض كنّ المَطْ[41]   هَذي لنيكْ جرّت الخَطْ

شاخْ الحمل باطرادي

لَهْتيكْ والبْعجْ والخَبطْ   والزّانْ ابْرك علْى اللَّمْط[42]

ما كْفت ذي عْلى ذي

واشْتَد الحَرْب والقلوب ليس تْلْيانْ   بين العَظْمات والفراعَن لَطْراد[43]
والارْض تْسيل بادْما مثل الودانْ   واكْفُفْ مْقَلْها الطّير من ازْنادي[44]
هذا الحَرْب الكبيرْ عمري ما ريْتْ * *   ونْشوف الهنْد بينْهُمْ نارْ تَكْدي[45]
تَنْظَرْ هذا لذاكْ من سَرْج نكفْتْ   ضَرْبُ فامساطْ وجيبْ كيرْدي[46]
واحَد ينْدَه اوليْتو واخُرْ بنْتْ   مَوْلى يوم يا فْلانا يا كَبْدي[47]
هذا اليومْ الطِّرَادْ وطارت فيه اطيار   مَارَيْنا من انحر ونْهى عنْد العار[48]



إلاّ هَذي لْذيكْ تَطْلَبْ بَدى الطّارْ[49]

غَطْسُ عَامْ فبْحَرْ طَامَسْ بمّاجْ الدَّمْ دافْقا[50]
واعواد الزَّانْ كنّ مْقَايَسْ دَارْ فاللَّمط خَرْبه بْقا[51]
تَنْضَرْ لَسْنوها تبَصْبَسْ فا كفونْ الخيلْ رَاشْقا[52]
هذا من ضَرْبت امْكندَسْ لَخَرْ من سرجُ امْكَرْدَسْ[53]

هَذا فا مصارنْ امعفَّس[54]

وما بقى من امشهَرْ[55] بَشْهَبْ أُزيتي و لَخْضَرْ
ابْقَى والَحْباري واصفر وادناس والبْجر
وابْقى نحاسي وگُمْري ولدْهَمْ ابْقَا فا سْحَاري
وابقى البلحى والعقيقي والنعمان وابقى الفوطي مع الزْرَق حجْرَ الوَادي
وابقى البرگي فاسْعَدَ الْغربان نوّار الْفُول والحديد والرَّمادي[56]

* * *

ارتَع ضرب الَقْنا مع ضَرْب السكينْ والصّمْصام لَكْريهْ وطْعين الشَّفْراتْ
وابْدانْ امحر جمْا[57] تطيرْ بْلا يدّينْ والرُّوس امحرّفا على حد الدرگاتْ
هذا مجروحْ ذا مضيّع ذاك ينين[58] هذا مزْوي[59] وذا مودّعْ هذا ماتْ
وربْات الموتْ بعد ذا مَنْ شَدْ الحرْبْ واشْتَد الحَرْب بينْهم اشْتد العطْبْ

زَحْفَت هذي لذيكْ حين تْسال الطَّلْب



واشْتَـدْ الحَـرْبْ لِلْكفايَـحْ وضْيـاقَـتْ بيـنـهـا الـوسْعا
واشْتَدّتْ قلُوب مـن اجْرَايَـحْ وانْگَطْعَـتْ بيـنْـهـا الگطْعا
داكْ مـوهَّن وذاكْ طـايَـحْ لَبْطال حْرُوبْـهـا اصْضَعّا
المُـوتَـى بـاقْـيا احْـويـزاَ اتْـقـول غْـمـارْ فـاتْـويـزا[60]

ما طَلْبَـت ذي لْـذي احـويزا[61]

هَـذيـكْ لْـذيـكْ دنّـاتْ لَـخْـرا الْـهَـارَتْ عَـرأَتْ[62]

لَعْگادْ مَـنْ خَلْفْ تـالِـي[63]

منْ خلَق العـگـاد گـبـاتْ فيهم اغوازم امحَجّبات يَتْنَهْ فارْجالي[64]
نَسْمعْ وحْدا تقولْ يا ذاك الهَرْبان أيا مَحْروم واعتگبْ وايْن غادي[65]

* * *

وَحْدا تَنْدَهْ افهْو دجْ وخْرا مَنْ كُبا وَحْدَ فَتْحَت الْتَامْها بان السَّالَفْ
وَحْدا فاخطر فدگ مرگب من حَجْبا وخْرا فَهْدومْها او ما بين عطايَفْ
حتَّى رجَعْ ادليلْ ما يرْضا هَربا أوطار الخوفْ هاج مَنْ هُو خايَفْ
حتَّى حلفَتْ لَمْوال مع لَنْفَاس آو لا تسْمع بينهم غير گطيع الراس

والمَوْتَى رتّها اتخلّفْ بالمدْعاس[66]

النار املحلَحَا[67] علْيها تشْعَلْ لا سَرْخَا واردْا تْجيـهـا[68]
وانقطعت گـاع مـن اوراها واعـتـصرها فـكـل جيـهـا[69]
وَرْدات الأرْض مـن ادمْـاهـا وانفضحَتْ من يمينْ ويسار أُوطاحْ
حضرات لكبار والحمل عول اگرنْ واشتد الحرب بينهم سن ارمَاحْ[70]

والسّيف استل واختفى بعد اطحينْ

بالدگ خفات فوق لغداد الاسنان مهما گبل على نهايت لوردي [71]
واشنادگ رتها اتشعشع فالغيلان ووجوه القوم سابخا بالحد حادي

* * *

مهما همكه فالفتنا شلاف فبجرهم طعن النحار [72]
ندا بالفارس الذي راكب لشقر اكفتها من يمين ولات يسارا [73]
ينده ويقول مل هذا اليوم أغبر ما تبقى من اوجوه الصبارا
واشتد الحرب هز فيد عود الزان واطبخ هذا الجواد وصبغ كالمرجان

وادفع فيهم كل باز طرد كروان

امناين دواو وصاح لهم ينده ويقول فالخطاب [74]
اليوم يالها يوم اليوم ايشيب الغراب [75]
امناين عظم وطاح فييهم كطيحت صيد فالجلاب [76]
هود لهم بسيف ماضي يحسك لرقاب والضعاضي [77]

واتركهم مط فالاراضي

من لحق تم خبط رشم من تحت يبط حتى ارمى لو دراع
رفد من سرج ونفط ومصارن ثم هبط يتجرجر في تباع

ينده في صحب يقول أفلان هذا حد لعمر ووفى ميعادي
بلغ لهلي اسلام وحكي شايب كان يعط مهر المرا ويدو اولادي

* * *





ذا الفارس فالْحرب رَيت ايلُو سطْوا   رَاكبْ شَلْوي سْريع فالعَلْفا مَداد[78]
غليظ البادْر ارآسغ بفجْوا   إيلُ رُكْبا امْجَرْدا مثل العْرَاد[79]
ابيْض ليسْرا يشْرب فالْعَشْوا   وَدْنُ مثْل القلُومْ راسُ راس اجْراد[80]
إذا يجري تْقولْ فلي   يخْطف لسروعْ بالسبَق[81]
ايلُو رگبا اكْفَنْ عالي   اتْقول اعلْيهْ زيت دفَق[82]
واسْماط متَّسع المدالي   واحْزام ادْفَع المَرْفَق[83]
إيلُ حافَرُ تْقولْ دينَارْ   صافِي منْ عَيْب كُل بَيْطار[84]

من مَرْكوب الْمُلوك لَحْرارْ

مدّوب في كُل كَلْفا مَوْلاَه في كُلْ عَلفا   فالحَرْب يدّي اسْعارُ
نعنيه رايض بخَفّا انشرْ قلوعْ أُوصفّا   والبَحْر شَنْعت أَخْبارُ[85]
هذاك الفارس الذي راكَب شَيْهان   يدفع بالقوم كان دقت بسْعادي[86]
يعْني شَرْقي اعْصيفْ نفَخْ فالجُرْدانْ   بعد لا صوَصَرت قبطت لَسْنادي[87]

* * *

ذا الفْارسْ فالْحروبْ ريتْ يتَبْخْتَرْ   وعْليه انْسال جيت فالعگد نجْري
قلْت لْهُمْ يا ناسْ مَنْهُ ذا القَصْوَرْ   والّي نعت ايقول صفات البَحْرْ[88]
قالو المعلوم بالثنا مولاي اعْمَرْ   هذا هو الفضيل لمخير بنْ زكْري
هذا هو معشي الطيور الخَلْويا   امْدل الْقوم في نْهار المَشْليا[89]

مولاي اعْمَرْ غايْت الوطّاسيا





هذا هُو كامَل لَعْنايا   هذا هُو شامخ القَدْر
ابن المجد او زهو غْنايا   مَثْلُ يشْباه ينشْكَر
بن زيان حفيد يَحْيا   بن زيان بن اعْمَر
هذا هو اعمير لبطال   خليفة علقما أو عَلاَل[90]

مولاي اعْمَر سميح لفضال

عليه نختم ذا لشْعارْ   بالمسك يسطع أو لَنْوار

وعلى جميع المحاضَرْ

يبقى علْى طول لعْمار   فامْجالس لَفْضال يذْكَار   يفْجي اهموم الخواطَرْ

منظوم باللؤلؤ في سلوك الذهبان   والناظم بن اعبود في ذا العدّادي
واهدها للهمام لمير السلطان   مولاي اعمر اكمال قصدي ومرْادي
صلى الله على اخير بْن عدنان   اشفيع القوم في نهار الميعادي

وانسكنو بالجميع جنت لخلادي





شرح بعض الألفاظ

1ـ صَكَتْ : زكت أي صاحت صيحة الحرب.

2ـ غالس : من الغلس وهو ظلمة آخر الليل.

3ـ فرصادي : لعله لون التوت الأسود.

4ـ بعگاد : لعلها جمع عگدة أي عقدة وهي الفرقة من الجيش.

5ـ محرجا : لعلها مثل محرشا، من حرج أي غضب غضبا شديدا.

6ـ واشناذگ : جمع شندگ = شندق أي شوذانق وهو الصقر، والمقصود هنا صور الصقور التي ترسم على الأعلام, والرايات.

7ـ واغوابط : لعلها واغوايط جمع غيطه وعي النفير بدليل مابعدها من آلات النفخ والزمر.

8ـ الصگات : الساقات جمع ساقة وهي مؤخرة الجيش.

9ـ الضرگات : جمع ضرگة أي درقة أو ترس

10ـ وطرارد : أعلام كبيرة.

11ـ اشنايل : جمع شنيال أي الراية أو العلم ويقال أيضا: شنيار.

12ـ فاكوافل : في قوافل.

13ـ المصفحات : السيوف.

14ـ وأقلمن : وأقلا ما جمع قلم ومعناها هنا الرماح فيما يبدو.

15ـ أسواطها: أصواتها.

16ـ الشلعلع : يبدو أنه آلة نفخ كالبوق ونحوه ومن المسموع : بالشلعلع، والقاضي كيسمع.

17ـ ينده : ينادي، من نده.

18ـ باندها : بالنداء، وقوله : وينهوم : أين هم.

19ـ ابدگ اصوارم : بدقّ الصوارم أي السيوف

20ـ مايلّها : أي يميل لها ويقبل عليها

21ـ والهند : يعني السيوف الهندية.





22- ادراغم : الضراغم جمع ضرغام وهو الأسد.

23- ردادي : مرادّة ومراجعة وقوله بمهالك ليمان أي بالإيمان المغلطة.

24- الفيش : الفخر والمباهاة.

25- الحربات: جمع حربة أي سلاح حاد

26- طوف وارجع : من عبارات المزايدين في سوق الدلالة.

27- لقماط : جراب يضع فيه الفارس اغراضه.

28- اطجيج : ضجيج.

29- لمشاط : الامشاط التي يمشط بها الصوف بانطباق بعضها على بعض.

30- قيلان : إقالة.

31- حاي : صوت المتألم.

32- تنگرع : تنقرع أي يتطاير شررها.

33- واعوالى : سيوف.

34- ورداني : ورديني وهو الرمح.

35- قادما : في الدماء.

36- الكسدات : جمع كسدة أي جسد بدون رأس.

37- لوغا : الوغى أي الحرب.

38- نابغا : متفجرة

39- الگلايع : جمع كليعة : قليعة أي فرس غنيمة

40- مزلغا : يقال : راسو مزلغ أي فيه هموم كثيرة.

41- المط : أكوام من السنابل التي تحصد وتوضع في الحقل في انتظار جمعها والمطة الواحدة تتألف من عشر غمارات والمط يصفف في خطوط مستقيمة وقد شبه الزجال جثث القتلى وانتشارها في ساحة المعركة بهذه الصورة المعروفة في وقت الحصاد.

42- البعج : الفج والشق

43- العظمات: معناها كمعنى لفراعن ولطواد أي العظماء والفراعنة والأطواد.

44- مقلما : مقلمها، قلّمها وأكل الطير أي أكل لحمها.





45 ـ تكدي : تتقد وتلتهب

46ـ مساسط : جمع مساطة أي مقعدة المرء

47ـ أوليت : وليته أي امرأته ومولا يوم : الذي فيه النوبة من الأولياء.

48ـ الطراد : المطاردة والمحاربة

49ـ الطار : الثار

50ـ بماج : بأمواج.

51ـ الزان : شجر معروف، تتخذ منه العصي المتينة واللمط درق من الجلد.

وخربقا : تشتيت وتخليط.

52ـ فاكفون الخيل : في أكفال الخيل والأكفال جمع كفل وهو عجز الفرس وغيره.

53ـ امكندس : صار كالكدس أي الكومه وامكردس صار ملتويا.

54ـ امعفس : صار مضغوطا ومعجونا.

55ـ امشهر : مشاهير.

56ـ اشتمل هذا القسم على ألوان الخيل في العامية المغربية. وفي كتب الخيل تعداد لها.

57ـ امحرجما : مقطوعة الأوصال.

58ـ اينين : يئن.

59ـ مزوي : مضروب في بطنه.

60ـ اتويزا : أسلوب مغربي في العمل الجماعي بالحقل طوعا أوكرها.

61ـ احويزا : لعل معناها انحياز واستسلام.

62ـ دنات : قصدت وقربت، لخرا : الاخرى، إلها : لها، رت : رأت. عرات : شمرت.

63ـ لعكاد : لعقاد جمع عقدة أي فرقة من الجيش.

64ـ كبات : قبّات أي قباب وهوادج يحملن النساء اللائي يحمسن الرجال.

65ـ اعتكب : ارجع.





66. المدعاس : الرمح.

67. املَحْلحَا : ملتهبة.

68. لا سرخا : لا صرخة أي إغاثة.

69. كاع : جميع.

70. اكرن : قرينه

71. لغداد : جمع غدة

72. همكه : انهمكوا.

73. اكفتها : ردها وانحرف بها، تدا : إذا.

74. امناين : حين، لمّا.

75. هذا من المثل : حتى يشيب الغراب.

76. وطاح فيهم : وأثخن فيهم

77. هود لهم : انحدر نحوهم، والضغاضى : الخدود.

78. شلوي : فرس جميل يطارد به في الحروب.

79. العراد : (أو العراض) الغزال.

80. القلوم : جمع قلم، يقول إن أذن الفرس تشبه أذن القلم ورأسه تشبه رأس الجراد.

81. فللي : لعلها نسبة إلى الفلاة.

82. كفن : كفل.

83. اسماط : خرج يكون مع الفارس فيه بعض الحوائج.

85. يشير إلى عبارة حدث عن البحر ولا حرج.

86. شبيهان : جواد أصيل.

87. قبطت لسنادى : يعني هربوا وتفرقوا في شِعاف الجبال..

88. القصور : القسور أي الأسد.

89. المشليا : القتال والحرب.

90. علال : صيغة مغربية لاسم علي، والمقصود هنا سيدنا علي كرم الله وجهه.





صورة أول قصيدة الحربي (مخطوط خ.ع.
رقم 594ج)





صلى الله عليه أبدا بها أبيات أعجاز حسنة ومولدها

المصطفى والمسك وطيب عنته لنسمة باعطار دبياه

وعساكر قبرا زورتنا تسجد في حبها أو خيمنا محمد

ومدار نشر علينا النصائح فنشهر بها الصغر منه أوضح فاضح

في كل واحد وعدا ابن الحجبر رسنة المحمود باذن محمد

صلى الله عليه أنواه من الغضنفر لحمو الليقيا

قصيدة أخرى من كلام أبي أحمد رحمه الله

قال الجبل الذي أمسك فإيدانه صحت هي الحي وحقه بلاه

الهامي والغم عمدن الكسان على الشمان فمن عاة انهيلي

غالسر فرحاني حلوا وسلموا أعلى صبا الحدثان

محمود بنناقه أمثل قال المجعاني قال الجبل الذي تراها نتزلف

بعنطاد انجرجها الحجر بالذبان واشتدنا بالمنرة فاعجز

انزفرف و غرائبك واتيتم من خلف الصكان وعواد الزمان

من أعلى نشرف وأمسك الخارم المهند بالضركان

صالت هي الدنيا بالعقد الطائر وكرارد فانتما تعتز



صورة آخر قصيدة الحربي.





زجل الغزو
لعبد العزيز المغراوي





اخترنا هذا الزجل من أزجال عبد العزيز المغراوي العديدة لأنه يناسب المحور العام لهذه المختارات فهو يسجل حدثا تاريخيا بارزا ألا وهو موت المنصور، ويعتبر المغراوي إماما في فن الملحون ومجددا له، إذ أنّه اختط طريقة الملحون على الشكل المسمى داني وهو على هذا القياس :

يا دند دندني دنـدان ادنـدان داني ربي مولاي[1]

وقد قيل في المغراوي إنه «شجرة الكلام»[2] وكان طوالا فقيل فيه : كل طويل خاوي، سوى النخلة والمغراوي[3]، ونسبته هذه إلى أمغرا[4] أو مغراوة[5] من تافيلالت التي أنجبت عددا من شعراء الملحون.

عاش المغراوي في زمن أحمد المنصور السعدي وقد يفهم من شطر في هذا الزجل أنه كان من أترابه، وهو قوله :

عام شيب مات الذهبي اخير لتراب.

ويعتبر المغراوي من الزجالين المكثرين فقد نظم في مختلف أغراض الزجل، و أحصى له الأستاذ محمد الفاسي أربعا وستين قصيدة[6]، وقصيدته التي اخترتها هي في غرض العزو كما يسميه أهل الملحون، ويقال فيه كذلك العزا[7]. ومعناه الرثاء، وقد قالها لما مات السلطان أحمد المنصور السعدي الملقب بالذهبي أحد ملوك

1ـ معلمة الملحون ج 2 ق 2 ص 258 والقصيدة : 134.
2ـ القصيدة : 587.
3ـ نفسه : 91 ومعلمة الملحون ج2 ق2 ص 259.
4ـ القصيدة : 587.
5ـ معلمة الملحون ج2 ق 2 ص 295.
6ـ نفسه : 265.
7ـ نفسه ق1 ج 1 ص 114 والقصيدة : 389.





المغرب العظام الذي ولد سنة 956هـ (1549م) وبويع إثر الانتصار في معركة وادي المخازن سنة 986هـ (1578م) وتوفي سنة 1012هـ (1603م) وكانت أيامه حافلة بالأحداث الكبيرة[1] ومما يلفت الانتباه أن هذا الملك الذي قيل فيه ما شاء الله من المدائح لا توجد ولو قصيدة من الشعر المعرب في رثائه، ومن هنا تعد قصيدة المغراوي دليلا على خصلة الوفاء لديه وقد جاءت تعبيرا عن شعوره بالفجيعة في فقده واستشعارا لخسارة المغرب برحيله وتوديعا للأيام السعيدة التي عمت المغرب في وقته وتوقعا لما سيحدث بعده.

وقد تحدث الدكتور عباس الجراري في القصيدة عن هذه المرثية ونثر معظم نظمها وساق جل أبياتها وقال :"وهي كلها حديث عن فراق الأحبة والبكاء عليهم، لم يتعرض فيها لذكر شيء عن الرجل بل ليس فيها ما يوحي بالموت غير حربتها التي أخبر فيها بأن عام موته عام حزن وأنه لم يعد للسعديين ما يرجحون به كفتهم»[2].

وصحيح أن هذه المرثية ليست كمَراثي الشعر المعرب التي تشيد بذكر الميت وتعدّد مآثره ولكنها في نظري تصوّر ألم الفراق فراق الأحباب، وتذكر سلطان الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات، وفيها شكوى البين وهو من المعاني المعروفة في الشعر العربي.

ولكن المغراوي يشخص البين في صورة أمير له جيش وأعلام يرمي بسهمه فيصمي ويضرب بسيفه فلا يخطئ، وهكذا يُهدّ العمران ويُهزم الديوان وقد ألحّ على معنى الفراق في جل القصيدة أو في جملتها، ونظن أنه رمز به إلى نهاية عهد سعيد لا يسترجع وذهاب أيام جميلة لا تستعاد :

1ـ انظر على سبيل المثال كتاب مناهل الصفا وكتاب المنتقى المقصور وكتاب الاستقصا..
2ـ القصيدة : 390.





بعدما كنا عـز وزمـان باهج   بنعمته ساعدنا ورخى لنا عنانو
كل يوم بعز وتنزيه والفرايج   ولا نويت الدهر يعقب لنا محانو

وعندما أراد تصوير صدمة تقلب الأيام وتغير الأحوال استعمل هذا الأسلوب الشعبي :

بعدما كنا في جوره، الباب للباب   أولاد حومه يمساو معي ويصبحو
بعدهاغابوا عني في جبال وهضاب   لا هلال أطل منهم نلمحو

ومن أهم الإشارات في هذه القصيدة إشارته أو توقعه لما حدث بعد وفاة المنصور من فتن وحروب بين أولاده كمثل ما سبق ذكره في ملعبة الكفيف عند الحديث على أبي الحسن المريني؛ وقد عاش المغراوي عامين بعد موت المنصور فرأى أو سمع شيئا عن تلك الأحداث وأشار إليها بقوله :

أواه إلى نْهي تقاضات أعوامْ   ما اقصرْها بسرور كساعات الايام
واليوم زمان سو غَتّمنا بايّامْ   ما اطولْها بالاكدار كدارات أعوام

ليتني مت قبلهم سالم وبسلام

وهو يرى أن المغرب أصابته العين فكان الطاعون ومات به المنصور كما وقعت الفتن والحروب بعده.

عين سو صادتنا جمله بهم زاعج   من عدو ظالم قواه لَقْضَا واعانُو

وقد أجمل هذه الإشارات في الخاتمة المتشائمة التي يقول فيها :





عام شيب مات الذهبي خيار لتراب   ما بقى للسعدية باش ينجحو

وكلمة شيب فيها تورية وتاريخ لوفاة المنصور فالشين ألف والياء عشرة والباء اثنان، ومجموعها 1012. وأما التورية فلأنه يقال نهار شيب وعام شيب أي ملعون.

وأما القصيدة من حيث الشكل فإن متنها كما نقلته من بعض المجامع ومن معلمة الملحون يتألف من ثمانية أقسام تشتمل على عروبيات وهي من البحر المسمى عند أهل الملحون بالمبيت، وقد وجدت الأستاذ الفاسي يقول مرّة إنها في قياس 15 من المبيت ومرة يقول إنها في قياس 15 ب ومرة ثالثة يقول إنها في قياس 15ج، ثم أكد في موضع آخر أنها من قياس 15ب ولغة القصيدة سهلة وعبارتها سلسة وألفاظها مأنوسة وفيها ما يلمح إلى بعض القصص والأمثال أو العبارات المثلية كاستعمال يفور ويغور والبكاء راحة المقروح وتشبيه الدنيا بدولاب الماء وذكر قصة يعقوب وولده يوسف وقميصه وها هو نص القصيدة :





لَفْرَاقْ رْماني قَوْسُ بِسَهْم غَصَّابْ ما خْطَاني مكَّن قَلْبي أو لوحُو
بَعْد ما مكّنني جَاني بسَيْف غَلاَّبْ هدَّني وهْزَم ديواني أو جيحو
لا شْ ساكَتْ يا مَن فارَقْ وُجُوه الاحْبابْ هات راسَك لَهْنا واج ننُوحُو

* * *

جَاني ميرْ لَفْرَاق صَايَل مَتْحَزَمْ وقَصَدْني للفَنا بجَيْشْ وعْلاَمُو
بوُصولُه لاحْني بشَلْياطْ مسهَّمْ قَتَّالْ شَديدْ ما خْطَاني بسهامُو
وضربْني ضَرْبَت المقاتل بحْسامُه

ايحَق لِي نَبْكي للْفراقْ نْهارْ وليلْ نقاطعه ساهرْ أو تجدَّدْ على صْبَاحي
ها دْموعي يهطْلوا فاقوا المزانْ والسيِّلْ تَعْجَبْ وتشيب الغُرْبَانْ من نُواحي
علّى فْراق احْبابي ما صبْت منهُم قيلْ من حَسام البينْ وسفك دما جْراحي
بعْدما كُنَّا في جُورة الْبَاب للْبَاب أولاد حومة يمساوا مَعي ويصْبحو
بَعْدهاغابو عنِّي في جبْالْ وهْضابْ لا هْلالْ اطَل منْهُمْ نَلْمَحُو

* * *

دعْني يا لايْم علَى الفُرْقَة نبْكي غابُوا عَنِّي احْبابْ قَلْبي مابَانُو
رَني في وحْشهُمْ في حالَة تحكي طَيْر مقَصَّصْ فارَق اهلُه ووْطَانُو
في قَفَص أوثيقْ طالْ سجْنُه ومحْنُو

ما درى كَانْ نَعيشْ حتَّى نرى نْجومي في بلاد سْماهُم يضْويو كيفْ كانُو
بْدرهُمْ ما ادرى يضْوي علَى رْسُومي في نْهَايَةْ بُرْج السعود في مْكَانُو
إن سقل سيْف زْماني من صداه حمي وينْتَشَرْ بالفَرْحة علْمي على اركانُو
إن بلج قلْبي الصَّادي من جْميع الاكْراب تْنَكَّد الْعادي من فَرْحي نقرَحْو
اتجي معي احبابي وجماعتي والاصْحاب ما مضَى مَعْهُم من الايَّامْ نربَحْو

* * *

وين أنا وينهم احبابي يا هيهات   غابوا عني وسرت هايم في هواهم
بعد العشرة الطايلة بعهود مضت   شوق بصري زمان ننظر في بهاهم

كايني في المنام شاهدت سناهم

من نهار أن بعدوني بالفراق يواه   خالفوني ماصبت بمقولة نراهم
لا كتاب يجين من حيهم نقراه   باسلام الفايح كالمسك من شذاهم
نلمس بعدما نقرا حروفه معناه   على عيوني طابوا بدمعي من بكاهم
كفعل سيدنا يعقوب خير الانجاب   حين جاه قميص الصديق امتسحو
على عيونه ورجع بهم سريع طلاب   جاه ولده من بعد الفقد لا محو
ما اعظم يوم أن سطا على العيس الحاد*   ولغى طير الافراح من غيث الادواح
خلى العشاق كل هايم حد حاد   قد كادت من شباحهم تزهق الارواح

مثيل يعقوب بالفراق اضحى نواح

البكا راحه للمقروح من لهيبو   عندما يبكي تخمد بموعه نارو
شواهقه لو بانوا بنهيرهم يريبو   والرياض الناعم يتحطموا اشجارو
مهاجتي وضلوعي لولا البكا يدوبو   على اللهيب شعلت في القلب من جارو
صارت بين الجمر وفرقة ودمعي صباب   كنا مثيل الغارق والنار تلفحو
أو شمعة حين تولول بنور لهاب   جادها بسيول الدمعة تسيحو
قلب الاذاق غصة الفرقة* مشروح*   كحوت* في غوامق البحر المالي
ما يعذر من قرحته غير المفروح   مفروق بلى وداع الاحباب بحالي

عمدا له بالفراق وأناعمدا لي





* * *

بَعْدَما كُنَّا عزَ وزْمانْ باهَجْ بنَعمْتُه ساعَدْنا ورْخَى لِناعْنَانُو

كُلْ يوم بْعَزْ وتَنْزيه أو الفَرْايَجْ ولَا نْويت الدّهرْ يعقب لِنا مْحانُو

عَينْ سُو صادتَنْا جُمْلة بهَم زَاعَجْ مَنْ عَدْو ظالمْ قوّاه القْضا وأعانُو

لَقْضا فرقنا والبيَنْ نَفْسنا صَابْ رَوْضنا متْنَعمَّ حَرقْه أو كَلْحُو

نطالبْ مَنْ هو كل الامر حق غَلاَّبْ رَبْنا يَجْمَعْنا في قرْيب نفرْحُو

ما اعظَمْ ساعة الفْراقْ معْ الاحْبابْ * جَاروا * يا لايْمِي علْيّ ضَلْموني

تَركوا قَلْبي حزينْ في محْنَة وعذابْ ما ذاقُوا ما جَربوا ما عَذْروني

ورْماوْ جمارْهُمْ عْني احرْقَوني

كيفْ يهْنا الخاطَرْ مَن الْظَا ولْوعي كيفْ نَصْبرْ وبْدوري عَنْ سمْاي غَابُو

أو كيفْ تخمَدْ نيران البَينْ بضْلوعي أو الهوى في اسياري بصواعق التْهابو

وكيفْ لا يهْطَلْ دمْع الدَّم مَنْ دْمُوعي أو لا بْحالي مفْقودْ غرْيبْ عَنْ احبْابُو

بْعَد غابو عَنْ عيْني جمْعهُم ما غابْ عن اسياري واغْصان الوَحْش يلْقَحُو

هاكْذا قلبي شعل كوى بالمشهاب أوهم اسباب الفرقة البدود جرحوا

أواه الاَ انْهي تْقَاضاتْ اعْوَمْ * * * ما أقْصَرْها بسْرورْ كسَاعَات الأيَامْ

واليَومْ زمانْ سُوأ غْتَمّنا بأيَّامْ ما اطْولْها بالأكْدارْ كدارت أعْوامْ

لَيْتَني مُت قبْلهُم سَالَمْ وسلامْ





هاكْذا الدنْيا كالدّولَبْ تحولْ وتْدُورْ دوْرها يمْلي ويفْرغ في كُلْ حالَ
تَاراة بالْفَرْحة وتَـرَة بحُزْن وسْرُورْ وجاتْ مع فُرْقا وشُغْل أو الْبِطالَ
رْزَاقْها مَضْمونة بوقْته يفُورْ ويغُورْ كيفْ قَدَّر بحكْامُه رَبْنا تَعالَى
نطَالْبه بفَضْلُه يَجْمَعْ جَميع الأحْبابْ لطاعْته يَهْدينا ورْضاه نصَلْحُو
وَيَرْحَمْ مَغْراوي الناظمْ فَصيح لاعْرابْ بلا بَلاغة غير الجَحْادْ يلَفْحُو
كُلْ ما قالُو زورْأو قولهم كذّابْ كانْ أو شاق على الديعة ينبْحُو
عامْ شَايب مات النَّهبي خيار لاتْرابْ ما بْقَى للسَعْدية باشْ ينَجْحُو

* * *







زجل مزغران
للأخضر بن مخلوف
المستغانمي



ـ كان بين شعراء الملحون في الجزائر وبين نظرائهم في المغرب تواصل كبير، وقد عاش بعضهم زمنا بالمغرب مثل ابن مسايب وسيدي سعيد المنداسي[1]. وصاحب القصيدة التي ننشرها ضمن محورنا هو سيدي الأخضر بن مخلوف المستغانمي من أهل القرن العاشر الهجري[2] وله ديوان في الشعر الملحون طبع بمدينة الرباط سنة 1951م وهو يشتمل على 31 قصيدة وكل قصائد هذا الديوان في المديح النبوي الذي ما يزال المنشدون يردّدونه في المناسبات.

أما قصيدة مزغران التي وردت في هذا الديوان فقد قالها الشاعر في وصف معركة مزغران التي وقعت سنة 965هـ (1558م) بين الجزائريين والإسبان الذين كانوا قد اتجهوا إلى السواحل الجزائرية مثلما اتجه البرتغاليون إلى السواحل المغربية وكان احتلال الإسبان لمدينة وهران سنة 911 هـ (1509م) واحتلوا كذلك ما حولها مثل مزغران، وقد ذكر المؤرخ الجزائري المعاصر عبد الرحمن بن محمد الجيلالي هذه المعركة فقال : «وفي سنة 964هـ (1557م) قضى حسن بن خير الدين على الجيوش الإسبانية المقيمة بمازغران ـ قرب مستغانم ـ فأسر منه اثني عشر ألف نسمة وانضم إليه يومئذ الجند التلمساني فأحاط الجميع بالإسبان، وأوقدت النيران في مخازن البارود فانفجرت وكان من أثر انفجارها سقوط أسوار المدينة وموت الأكثرية من جيش الإسبان وفيهم الجنرال الكونت الكوديت، وعند غروب الشمس من يوم الجمعة 12 ذو القعدة 965هـ (36 اوت 1558م) احتل الأتراك نواحي مازغران»[3].

1ـ انظر فيهما معلمة الملحون 2/2 : 38، 252.
2ـ انظر ترجمته في معلمة الملحون 2/2 :107.
3ـ تاريخ الجزائر العام 2 : 338.





أما الزجال صاحب القصيدة فإنه يصف المعركة وصف من حضرها وهو في هذا مثل ابن عبود ولعله تأثر به وحذا حذوه، والقصيدة تتألف من مدخل وتسعة عشر قسما ولغتها سهلة واضحة وأسلوبها سردي قصصي وملخصها أن الإسبان جمعوا جيشا كبيرا حملته السفن وأصبحوا في الموانئ الجزائرية ولما ظهرت سفن الإسبان على البحر أسرع فارس جزائري إلى العاصمة وأبلغ السلطان الذي استعد في الحين للحركة وخرج بعساكره مارا ببلاد متيجه واستجابت إلى ندائه العرب وفي طليعتهم شيوخ سويد وبني راشد وفرسان بني عبد الواد ومغراوة فسار بالجميع إلى أن وصل إلى حيث العدو فنصبت الأخبية والخيام ولما شاهده الأعداء فت في عضدهم ثم وقعت الواقعة فجر يوم الجمعة فكان النصر للمسلمين وحلت الهزيمة بالكفار، وغطت جثتهم البطاح وصاروا لها فراشا وعادت الخيل تمشي على "سبيب" الخيل أي شعرَهم وهنا سنجد تشابها بين الشيخ لخضر وابن عبود في وصف الخيل وألوانها :

وَلَّى الميّت في البطاحْ افراشْ   تمشي الخيل على سبْيب الخيل
بيضا وابيض لونُ صنف الشاّش   زرقا وازرق لــونُ شبه النيل
دهما وادهم لون أسود احباشْ   خضرا واخضر لونُ شبه قسيل
واصفـر مايل تنسى منظومْ   في قـيطان احريـر مبرومه
حمرا واحمر في الخصيب تعومْ   وابــقـع بارق عــازيـه الشومه

وقد تفنّن الشاعر كابن عبود في تصوير فظاعة الحرب كصورة القائد الذي طار رأسه وقطعت رقبته وقسم شاربه وفرمت سنه وكذلك في حكاية الحديث أو الحوار الذي يدور بين المتقاتلين كهذا الحوار :





يا جاري بلرنك فيا	أمـر ينا زارني كريـر
قال البنس ما در ميا	اليوم طار البنس بريـر

وفي الزجل كلمات إسبانية منها : شنظاضوس Soldados أي جنود مرينا Morena أي سمراء، مادر ميا : Madre mia أي أمي، مرير Morir أي مات، كبلراس : Caballeros أي الأشراف.

وفي الزجل أيضا أسماء إسبانية معروفة مثل جوان Juan وبعضها محرَف مثل سيماويل وفرنغسا وكبلرناف ودامرتيل : وفيه أسماء أعلام وأماكن مثل الثعلبي وهو سيدي عبد الرحمن الثعالبي صاحب الضريح المعروف في الجزائر العاصمة والأمير حسن ولد خير الدين. وفيه كلمات عامية قديمة مثل كلمة فرطاس ومعناها الأقرع والأصلع والحيوان الذي ليست له قرون، وعلى الرغم من هذه الكلمات الغريبة والأجنبية فإن القصيدة في عمومها واضحة ومفهومة ولكن الدكتور سعد الله وصفها بأنها ضعيفة النسج رديئة وتكاد تشبه النثر المسجوع[1]»، كما وصفها أيضا بأنها قصيدة غامضة المعاني بالنسبة إلينا اليوم[2]» والحق أنها إذا قورنت بقصيدة الحربي فستبدو خفيفة أو ضعيفة.

ويمكن القول باختصار إن وصف المعارك الذي يوجد في هذه القصيدة وقصيدة ابن عبود قبلها هو ممّا يتميّز به الشعر الملحون وفيما يلي نص القصيدة :

---

1. تاريخ الجزائر الثقافي 2 : 345.
2. نفسه.





يا فَارسْ مَنْ تَم جيتْ اليُومْ غَـزْوة مَزْغَـران مَعْـلومَا
يا عَجْلانا رَيّض[1] المَلْجُومْ رايت اجْناب الشبّْلو[2] مَوْشُوما
يا سَايْلْني عَـنْ طراد[3] اليُومْ قَـصَّة مَزَغْـرانْ مَعْلُومَـا

* * *

يا سَايَلْني كِيف ذَا القَصَّة بين النَّصْرَاني وخَيْرْ الدّينْ
اجْتَمْعُوا في بَرْهُمْ الأقْصَى بجَيشْ قَوي جَاوْا مَتْهَدِّين[4]
نرَى سفُون الرُّوم محْتَرْسَه صَبْحُوا في المِنَا اعْدَاى الدِّينْ
خَرْجوا لك للبَر خَرْج الشُّومْ وانجلاَوا مَنْ فُوقْ وَجْه المَا
غـِير البَارية ووكْـيل القَـومْ تَـمْشي لِـكْ بَـامْحال مَحْتَزْما

* * *

احْتاطُوا بالأمر شنْظَاضُوس[5] بالشَّلْية[6] والقُوسْ والبَطّاشْ
يتْنَادَوا وتْحَلْفُوا بَجْيُوشْ جِيش القَنْا[7] الكَافَر الغَشّاشْ
يلْتقطوا في الصَّيْد والبْبَّوش[8] ما خَلاَّوا مَنْ فُوقْ البَساطْ اخْشَاشْ[9]
رَفْعْ راسَك يا عَلي المَفْهُومْ يا سيد الحَسَنَيْن وافْطيما
شُوفْ بْلاَدْنَا كِيفْ رَاهَا اليُومْ تَسبْيِهَا الْكُفَّارْ ظَـالْمَا

* * *

مَا بَاحُوا بالصَّوت الاَشْطَنَا مَنْ زيدُورْ لْوَاد افْكَان[10]
قَطْعُوا سيقْ واتوَجْهُوا لهنَا زَادُوا بَالْحَرْكَة لِمَزْغَران
ارْكَبْ فَارَسْ اسْبَقْ ودْنَا بالتَّعْرِيفْ يبَشَّرْ السّلْطَانْ
البارَح يقول جات الرُّومْ يا فرسَاني عاولُوا[11] انْتُمَا
بَاذْن اللّه الْواحَد القَيُّومْ تمسى بيت الْكُفْر مَهْدُوما

* * *



اسْتَعَد السُّلْطَانْ بالْحَرْكَه   صار لغَيْت الخَنَق[12] ونْـزَلْ
اسْتَوْعَظ في طلَبْتَهْ وشْكَى   ومْشى لِحُرْم الثّعلبي[13] ودخَلْ
واستفْتَحْ بالبَرّْ والْبَرْكَه   قَدَّمْ جاه المُصْطَفى ورْحَلْ
ظَل يسيرْ بعْسَاكْرُه والْقُومْ   في وطَنْ متيجا[14] ولُجّْ الما
في أمْرُه جاتْ العَرْبْ اطْموم[15]   سَلْطَانْ عادَلْ طاعْتُه الأمَّا

* * *

طَبْلُه عَنْد الشايعة[16] نَقّرْ   واعْلامات النصَرْ مَنْشُوده
جَاتْ خيُول افْريقيّا تَنْجَرْ   وفْراسين الْحَرْب مَذْكُوره[17]
مَنْ لا ضَرّه اللَّهْ ما يَنْضَرْ   لَوْ طَاحَت الارْقاب مَنْصوره
في زكّار يقِيم[18] كَمْ يُوم   لنْ جاتُه قيَادْها ورْمَا
اخَذ الْواد الشّايَع المَعْلُومْ   فيه اضلان[19] اسْويد[20] مَلْمُوما

* * *

جَاوْا شْيُوخ اسْويدْ للسّلْطَانْ   وفيهُم ابو بَكْر ومحَمَّدْ
قَالُوا لَهْ يَا اميرْ لا تَلْيَانْ[21]   لاَ دين إلاَّ دين مُحَمَّدْ
اسْتَشْرَح سُلْطَانَا وزيّان   راهَا قُومَه الزَّاهْيه تَرْعَدْ
صَبْحَت في الحوْض الجيُوش الْمام[22]   نَزلَتْ ذَاكْ اخبَا ودي خَيْمَا
الخَيْمَه للتُّرك غير النُّجُومْ   والخْيام مَن الجَز[23] مَقْيُوما

* * *

مَنْ بنِي راشَدْ وآل اسْويدْ   وفْراسَين النَّطْح عَبْدَ الْوَادْ[24]
يا مَغْراوة اتْحَزْمُوا للْكيدْ   منكُم خَلْفَتْ سُلْطانا واجْوَادْ
يا تيجان الحَرْبْ لِيس بعِيدْ   لِمَنْ جاهَدْ جَنَّة الْميعَادْ



ظللتْ باللّيمْ واللّيْمُوم[25] فِيهَا رْجال الدِّينْ مَكْرُومَا
والـفَرْدُوس طْيُورْ فيهْ تْحوم وسْنَادَس[26] في النّوعْ مَرْقُومَا

* * *

طَلْ الكافرْ لَيْن[26م] شَاف النَّاسْ حَقّق في الخيبَة مْنَى مَجْذوبْ
أهْل التَّدْبيرْ قالُ لَلْفَرطاس[27] إذا تغدوا يجيونا بركوبْ
ثم نَقْتال الرَّاسْ بَعْد الرَّاسْ حَق الْحَقْ ولاَ بْقَات كْذُوبْ
بَاتوا الْكُفَّارْ حَارْمِين النُّومْ ومْزامِير القُنْت[28] مْغْمُومَا
جيشْ بْلاَ سَلْطان غِيرْ يهُومْ ضَاقَتْ بِه اجْنَاح مَعْدُوما

* * *

عَنْد طْلُوع الفَجْر حَل الْكَار[29] وارْتَعْبوا بفْضايَل الجُمْعَه
ذا الرُّومْ غْشَى الأرْض كالزَّخَار واحْتَل الميدَان بصُرْعَه
جِيش الكُفْر ضْحَى عَلْيه عسارْ مِن يَغْنيه الصُّور للمَنْعه
فيهمْ قوت الهَنْد والمسْمُومْ لاحَتْ ليه افْراس مَلْجُوما
الميَّتْ مِنَّا مْشَى مَرْحُومْ واعْمار الْكُفَّار مَذْمُومَا

* * *

وَلَّى الميَّتْ في البطاحْ افراشْ تَمْشي الخيلْ عْلى سبْيب[30] الخيلْ
بيضَا وابيَض لُونُ صَنْف الشّاشْ زرْقا وازْرَاق لونُ شْبَه النِّيل[31]
دَهْما وادهَم لونُ سْوَد احبَاشْ خَضْرا واخْضَر لونُ شْبَه قْسِيل[32]
واصْفَرْ مايَل تنسى منْظومْ في قيطان احْرِيرْ مَبْروما[32م]
حَمْرا واحْمَر في الخْصيب تْعُومْ وابقَع بارق غَازْيَا الشُّوما

* * *

كْبَرْ لْمَرس كُلْهُم مْريرْ مَات اجْوان وزادَت الطّغْيَا[33]
أمْرِنا زارْنِي كْرِيرْ يا جَاري بلرْنَكْ فِيَا[34]





الـيُـومْ   طـار الـبَـنْـش بـنـيـر قـالْ   فـلـبـنْـش مَـادر مِـيَّـا(35)
حزنَـاهُم للصُّـورْ ذَاك الْـيُـومْ تسْعَـةْ آلافْ بـقَـاتْ مَـغْـنُـومَـا
مَـنْ حَـيْط الـدَّشْرة لحَوض الـدُّوم   عَـشْرة آلافْ مشَـاتْ مَـحطومَـا

* * *

كبر لنف الـكَـلْـب راسُـه طَـارْ   والـرَّقْـبَـه مَن الحنف مقْطُوعَـه(36)
ضَـرْبُـه شاطِـرْ حَـطَّ بالمَـطْـيَارْ   يَـلْـغَى لُـه باصْوات مَـنْـزُوعَـه(37)
والمدرع في الحِينْ سَار اشْطَارْ   والـشّـيعة بالـسِّـيف مَـقْـلُوعَـه(38)
ومْـشَى الـشَّـارَبْ كُـلْتُـه مَـقْـسُـومْ   والـسَّـنـه بـالـنَّـطْـح مَـفْـرُومَـا
وايْـن الـنِّـيف الطَّابعه خرطُومْ   يَـتْـسَـمَّى بالـقـهَـرْ مَـوسُـومَـا

* * *

طُـلّ على الـفَـرطَـاسْ يوما مَاتْ   في المغْربْ اهْل الخزى رَدْمُـوه(39)
احْلَف لـهُمْ سَـلْطَـانًـا بـثْـبَـاتْ   شَـيبت النَّـارْ من الثَّرى جَبْدُوه
احْتَـنْـطُـوا بالفاسْ والمسْحَاتْ   لَـيْـنْ وَجْـدُوه من الثَّرى جَابُـوه(40)
صَـمُـويْـل من الـبُـكا مَـهْـمُـومْ   قَـالْ كـلامْ وزادْ لـيه الـمَـا(40م)
فـرغـنـسا بـالـحـبَـلْ مَحْـزُومْ   ويـغـيـثُـوه اذْيَـاب لـلْـفَـرْمَـا(41)

* * *

صَـبْـحَتْ بروج الـرُّومْ سفن علِيلْ   بُـزج امْلولَـبْ في الـسَّما عَـمْـهُـوج(42)
بَعْـدَ أَنْ شافُـو أنصار الْقشْتِيلْ   لَـمْ تُـخْـبَـرْ مَنْ فُوق بَحْر الْموج
لـن يـرمـقـوه بْـنَـات دمـرتـيـلْ   بَـرّ الـكُـفْـرا كُـلّه مَـخْـلُوج(43)
يـضْـحَى قـوت مـعْـاشْـهُـمْ زَقُّـومْ   شَـربوا الـحَـنْـظَـلْ بَـعْـد طيب الْمَا
اقْـتَـلْـنا مَـنْ كَـانْ قَـايَـدْهُـمْ   واصْـحـابه بـالـكَـثْـره بـاقـوا تَـمَّـا

* * *

وايْن اصْحابْ الفنا ذو الانسان[44] وايْـن انْصالُه ويْـن جِسْيسَا
وايْـن القِسَّاسِين والرَّهْـبَـانْ اللِّي عَـبْـدُوا سِيدْنا عِيسَا
حَشَاهْ رُوح رَبْـنا الرَّحْمَانْ يَتْمَـثَّـلْ مَنْ قُـوم مَنْجُوسَا
مَنْ هُو مَنْ فرْسان ذاك القُومْ الاّ زَادْ ظْـلامْ عْلَى ظَـلْمَـا
تَـرْجاه الاسْلاَمْ لَـنْ يـقُـومْ خَيْـر الدّيـن يْسايَرْ الأمّـا
* * *
طَـلْ على الكُفَّارْ يُوم السَّبْتْ خَرْجوا لِك مَنْ بَـابْ مْزَغْرَانْ
الى غَـرْب الصُّورْ كَانُّوا زَفْتْ والأدَوْدْ اطْـلَـوْه بالْـقَـطْـران
احْلَف لِهُم سَلْطَانَا وثْبَـتْ اخْذ الـنَّـارْ ورْجَـع بالامَـانْ
ذي الاتْـرَاكْ مجَنْدَهْ للـرُّومْ فَـزْعَـت لَلْكُفَّارْ يا فُـهْمَا
حْنَا قَـالُوا قـماح جينا الْيُومْ وانْـهَـدّت ولْـدان مَقْطُومـا
* * *
اللِّي حَضْرُوا جَاهْدُوا ومْشَاوْا والبَعْض مَن النَّاسْ ما حَضْرُوشْ
واللِّي طَاحُوا في الحَفْير ابْقَاوْا كَثْرةْ ذُوك النَّاس ما صبْرُوش
واللِّي جَاوْا الصُّبْح يَتْمَشَّاوْا مَا وَجْدُوا في السُّوق ما يَشْرُوش
لا مَسْلَك لَلْبَابْ لا سَلُّومْ لا هَتْفَه في الصُّورْ لا فَرْمَا[46]
صورْ ابْيَـضْ بشْوَارْفُه مَحْكُومْ حايَلْ بين الصَّيدْ والمَرْمَا[47]
* * *
الأميرْ حَسَنْ يـومْ مَزغْرَانْ اخْلَف الثَّار من العَدُو تحقْيق
رْجَع للبهْجَه عاصمة البلدانْ بَغْنَايَمْ شَتَّى ونصرْ لَبيق
ادْعـوا لِهْ يا نَاسْ بالغفْرَانْ يَجْعَلْ له رَبّي مَسْلَك وطْريقْ
والطَّرْشُون الضايد المَفْهُومْ شاف بشُوفَه والغُرَاب عْمَا[48]
ما رَفْرَفْ شِي بالجناح يْقُومْ حينّ الغطْ لَغْطَه غْطَس في المَا
* * *





اللّـهْ يـرْحَـمْ قـايَـل الابْيـاتْ الاكْحَـلْ واسْم بُـوه عَـبْـد اللَّـهْ
المَشْهُور اسْمه من الفيـاتْ مَغْرَاوي جَدّه رسـول اللّـهْ
وامّه من بَيْت محْسنَاتْ اليَعْقُوبيـه لالاَه خَـوْلَـه
اللَّه يرْحَمْ اهْل ذا المَنْظُومْ والقَـاري والحَـافْظُه ديـمـا

يَرْحَمْ نَاسُه من اخْيارْ القُومْ خَير الدّين وسيله الرَّحْما
يـا سايَـلْني عَنْ طراد الْيُـومْ قـصّة مَزغْـرَانْ معْلُومـا

* * *







شرح بعض الألفاظ

1ـ ريض : توقف واسترحْ، وكأن أصلها من كلمة راث، وفي المثل : رب عجلة وهبت ريثا.

2ـ الشلوي : تطلق على الفرس الذي يطارد به في الحرب

3ـ طراد : قتال، حرب

4ـ متهدين : مهددين

5ـ شنظاضوس: هي الكلمة الإسبانية Soldados أي جنود.

6ـ الشلية : هي الكلمة الإسبانية Silla ومعناها الكرسي أو السرج

7ـ جيش لقنا : هكذا في الديوان المطبوع، وقد تكون جيش الفنا

8ـ الببوش : هو الحلزون في لسان أهل المغرب

9ـ اخشاش : خشاش أي الحشرات

10ـ الاشطنا : إلى شطّنا أي شاطئنا وزيدور وواد أفكان موضعان بالجزائر..

11ـ عاولوا : عولوا أي استعدوا

12ـ في المطبوع : الغيب الحق، وهوتحريف، ولعلّ صوابه ما أثبتناه، والخنق هي خنقة سيدي ناجي بناحية قسطينة وقد اشتهرت بمدرستها وطلبتها الذين أشار إليهم صاحب الزجل في البيت الثاني (رحلة الورتلاني : 17).

13ـ الثعلبي : هو سيدي عبد الرحمن الثعالبي صاحب الضريح المشهور في مدينة الجزائر.

14ـ متيجة : اسم سهل كبير يحيط بمدينة الجزائر.

15ـ اطموم : بكثره، يقال : فلان له الطم والرم أي المال الكثير.

16ـ الشايعه : الفضيحة.

17ـ وفراسين : وفرسان.





18ـ زكار : اسم جبل في إقليم بجاية.

19ـ في الديوان المطبوع : أضلان بالضاد وشرحها ناشر الديوان بقوله : شجاع، ذو الباس يوم الرحى، ولست أدري أين وجد هذا الشرح، وأظن أنها أصلان أي أصلاء أما الواد الشايع فهو حسب هذا الناشر واد شلف.

20ـ سويد : قبائل عربية من بطون زغبة.

21ـ لاتليان : لا تلن ولا تضعف.

22ـ المام : أي مجتمعة.

23ـ الجز : الصوف.

24ـ بنو راشد : بطن من زناتة كانوا يستوطنون الجبال الموجودة شرقي تلمسان.

25ـ الليموم : الليمون.

26ـ سنادس : جمع سندس وهي نوع من الثياب ذكرت في القرآن الكريم.

26م ـ طل : أطل، لين شاف : لما رأى.

27ـ الفرطاس : الاقرع الأصلع ولعله لقب قائد ذلك الجيش الاسباني وهو Le conte d'Alcaudete

28ـ القنت : Le comte

29ـ الكار : رجال الحرب.

30ـ سبيب الخيل : شعر الخيل.

31ـ الشاش : ثوب من القطن. والنيل : النيلة.

32ـ قسيل : قصيل وهو الزرع عندما يكون أخضر.

32م ـ تنسي : من مدينة تنس وقيطان : خيط مبروم.

33ـ مرير : كلمة إسبانية معناها ميت Morir والمرس هو مرس وهران الذي كان يحتله الاسبان.

34ـ مُرنا : كلمة إسبانية معناها سمراء Morena.

35ـ البنش : شرحها ناشر الديوان بالولد الصغير.

36ـ كبر لنف : اسم رئيس من المغيرين.





37ـ شاطر : ساطور.

38ـ المدرع : لابس الدرع والشيعة : الميدالية.

39ـ الفرطاس : الأصلع لعله لقب أحد رؤساء المغيرين.

40ـ لين وجدوه: لما وجدوه.

40م ـ صمويل : اسم علم وكلمة ألْما لعلها alma أي روح.

41ـ فرغنسا : اسم علم محرف.

42ـ القشتيل : الحصن.

43ـ دمرتيل : اسم علم محرف، مخلوج..

44ـ يبدو أنه اسم محرف.

45ـ دود : جمل.

46ـ هتف فرما = ثقبة.

47ـ بشوارفه : يشرفانة.

48ـ الطرشون : باز صغير.



قصيدة البونبة
لمن اسمه ولد عمر [1]

1ـ شاعر شعبي جزائري لا يعرف عنه شيء.

طوفان الأقصى



- اشتهرت مدينة الجزائر - مثل مدينة سلا - بما يسميه الأوروبيون القرصنة ويسميه المسلمون بالجهاد البحري، ولهذا كانت المراكب المسيحية تغير عليها وترميها بالقنابل وقد أشار إلى هذا ابن زاكور الفاسي الذي زار مدينة الجزائر في آخر القرن الحادي عشر الهجري وأعجب بجمال طبيعتها وآداب أهلها فقال في ديباجة رحلته : «وإنه لما منَّ علي المولى الكريم، ذو الفضل السابغ العظيم، بدخول مدينة الجزائر، ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النواضر، التي غصّ ببهجتها كل عدو كافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر، ويرسلون عليها صواعق لم تعهد في الزمن الغابر» والمقصود بهذه الصواعق القنابل التي سميت بالكور في القصيدة السلوانية السابقة وسميت بالبونبة في هذه القصيدة، ويقال أيضا البومبة وهي في الإيطالية والإسبانية Bomba.

وقصيدة البونبة أو قصة البونبة قيلت بمناسبة قيام مراكب بحرية دانماركية بقَنْبلة مدينة الجزائر في شهر صفر من سنة 1184 للهجرة وهذا يوافق شهر يونيو سنة 1770 ميلادية وكان ذلك في عهد الداي بابا محمد الذي طرد قنصل الدانمارك المسمى Darbois بسبب تأخر دولته أو تخلفها عما كانت تقدمه إلى الداي كل عامين في مقابل عدم التعرض إلى سفنها؛ ولما طرد القنصل قرر البلاط الدانماركي توجيه بعض السفن الحربية لقنبلة الجزائر وقد ساق فانيان (Fagnan) في مقدمة ترجمته قصيدة البونبة خبر هذه الحادثة وذكر أن الناس خافوا لما ظهرت تلك السفن فخرجوا من دورهم ولكنهم ما لبثوا أن رجعوا إليها حين ظهر أن القنابل لم تكن تصل إلى المدينة، وهكذا فشل هجوم الدانماركيين وقاموا في الأخير بدفع تعويض من المال والسلاح.

أما ناظم القصيدة التي سجلت هذا الحدث فإنه مجهول، ولا نعرف إلا أنه ولد عمر كما ذكر في آخر قصيدته وقد ذكر صديقنا الدكتور أبو





القاسم سعد الله أن معظم أصحاب الشعر الشعبي في الجزائر مجهولون، ويبدو من بنية القصيدة أن صاحبها كان متأثرا بالشاعر الشعبي الجزائري الشهير الأكحل بن خلوف المعروف بالأخضر، وذلك في قصيدته قصة مزغران التي سبق ذكرها، والقصيدتان متشابهتان في الموضوع فإحداهما تتحدث عن مصير الهجوم البحري الإسباني على بلدة مزغران والأخرى تصف فشل الهجوم الدانماركي على مدينة الجزائر، كما أن الشبه واضح بين هاتين القصيدتين وبين القصيدة السلوانية الآتية، ويظهر ذلك في التوسل بالأولياء والصالحين وطلب النجدة والغوث منهم وذكر مشاركتهم وهم أموات في ضرب الأعداء ونسبة ما كان من نصر على هؤلاء الأعداء إليهم، يقول هذا الشاعر المجهول :

كل ولي يرمي بمدفعو   ما يخطي من قابلو مطن
بعد ما كانوا فزعُو   اتفق نصر لهذا الوطن

ولكل ولي من الأولياء الذين توجد أضرحتهم في مدينة الجزائر سلاح يدافع به عن المدينة :

أولهم سيدي الثعالبي   هو السيف وصور حرَمْها

ولسيدي أحمد بن عبد الله الأسد عكاز من شجر الزان إذا ضرب به أحدا هلك ولا يبقى له وجود :

ابن عبد الله صيد نعرفو   جاب في يده زانا
من ضرب بها يتلفو   ما يظهر للآنا





أما ولي الله سيدي ديدي الذي يقع ضريحه خارج باب الواد فهو الذي يأمر البحر أن يطمو فتهيج أمواجه وتكسر سفن العدو حتى تبقى ألواحها عائمة :

جات سفن الروم قبلها   جا للبحر وقال له اطما
هاج البحر كسر سفونهم   وبقات غير ألواح عايما

ويستوقفنا في هذه القصيدة نعت مدينة الجزائر بالبهجة وهو نعت تعرف به مدينة مراكش، وكذلك ذكر الرجال السبعة :

والرجال السبعة اتفقو   جاو في غيظ أشجان

ومن المعروف أن الرجال السبعة معروفون بأسمائهم وترتيبهم في مدينة مراكش، أما هؤلاء المذكورون في هذه القصيدة فيقال إنهم سبعة إخوة استشهدوا وهم يرُدّون هجوم النصارى في يوم واحد وتوجد قبورهم بالقرب من مقبرة النصارى خارج باب الواد.

وبعد فإن الذي نجده في هذه القصيدة وفي القصيدة السلوانية من توسّل بالأولياء ونسبة الكرامات والخوارق إليهم يوجد مثله في عدد كبير من القصائد العامية والشعر الفصيح الذي قيل في العصور المتأخرة وهو يعكس حال المجتمعات الإسلامية في تلك العصور، وقد انتقدت ذلك الحركات السلفية التي ظهرت في مختلف جهات العالم الإسلامي ونشير في آخر هذا التقديم الموجز إلى أننا لا نجد في هذه القصيدة الانتقاء في الألفاظ والإتقان في البناء والإعتناء بالقوافي وغير ذلك مما نراه في قصائد الملحون المغربي، وفيما يلي نص القصيدة :





بِسْمْ اللَّهْ نَبْدى عْلَى وفَـا ذا الْقَصَّه تَعْيَانَا[1]
قَصَّة ذا الْبُونْبَه المتَلْفَا كِيفْ جَابُوها اعْدَانا
واضْحَاوْ عْلَى البُعْد واقْفَا[2] مَـا قَـرّبُ احْدَانَـا
يَـا رَبْ يا عَـالَـمْ الخَـفَـا اهْـزَمْ جَـيْش اعْـدَانَا[3]

* * *

اسْتَمْعُ يا قُومْ ما اطْرَاَ[4] في هَذه القَصَّة نْعيدَهْ
قَصَّة ذا الْكُفَّار دِينْ المرَ كْ[5] اخْزِيو جَدَّهْ
حِينْ امْشَاتْ لَهُمْ بلا كْرَاَ غَنْموها الاسْلامْ كَثيرهْ
فَازُوا بغَنِيمَه مزَخرفَا بالأرْزَاقِي امـلانَـا[6]
جَاتْ سُفُنْ الرُّومْ حَالْفَا أنْ يَعَسُّوا ابْتَاعْنَا[7]

* * *

حَلْفُ بإمَانَاتْ كُفْرهُمْ حَتَّى أن يَعْطِيوْ مَا مْشَا[8]
وإلاّ نَهْدَمْ بْلادْهُمْ جَاوْ بذا الطُّعْمه مْحَرْشَا[9]

1ـ تعيانا أي معاينة ومشاهدة.
2ـ البونبا : القنبلة من الكلمة الإيطالية Bomba، واقفا : أي واقفين.
3ـ ورد هذا الشطر مكررا في الأصل.
4ـ ما اطرا : ما حدث ووقع وأصلها : ماطرأ.
5ـ دين المرك : دانمارك.
6ـ يشير إلى المراكب الدانماركية التي غنمها المجاهدون الجزائريون مملوءة بالأرزاق.
7ـ أي أن يراقبوا سفننا.
8ـ بإمانات : أي بأيمان.
9ـ الطّغمة : في الأصل : الطعمة. والطغمة : الجماعة ومحرشا : مغتاظة.

لكُفّار ابْلِيسْ غـرّهُمْ ظَنُّوا في البَهْجَة مشْوَشَا[1]
خذَلْهُمْ رَبِّي ودلْـهُمْ لاصْلاح لاسْلام كِيف شَا
كرَمْنَا رَبّْنَا علَى صفْفَا لِلْجِهَاد ادْعَـانَـا
أَجْرنَا مَحْسُوب بالوفَا واحْنَايَا فـي ابلادْنَا[2]

* * *

وكِيفْ اَحقُ الكُفَّارْ يفَارْصُوا ارْسَوا عَلَى البُعْد كُلْهُمْ[3]
،وبَعْدما ارْسَوا ورَبّْصُوا ينْطَظْرُوا فيما يفِيدْهُمْ[4]
جَا لهُمْ مَرْسُول قُونْصُوا مَنْ عَنَد السُّلْطان سَالْهُمْ[5]
قَال لَهُم جِيتْ تُفرنْصُوا والاّ تبْغوا الصُّلح منْهُمْ[6]
قالُوا جِينَا مْكَلّْفَا لطراَدْ وتَعْيَانَا[7]
لا نَصْطَلح بلا جْفَا يَعْطيونا ارْزَاقْنَا

* * *

كِيفْ اسْمَعْ السُّلْطَانْ ذا الخَبَرْ اغْتَاضْ ولا آبالَى كْلاَمْهُمْ[8]
قَالْ لهُمْ نَعْطِيهُمْ الكُورْ واللَّهْ يَا لَوْ يجِيوا كُلْهُمْ
مَا نَرْضَى نَعْطِيهُمْ الحَجَرْ يَحْرَقْ بابَاهُمْ وجَدْهُمْ
أمَرْ في السَّاعَة بالبْتَرْ جَاءتْ رجال الحَرْب كُلْهُمْ[9]

1ـ البهجة : نعت لمدينة الجزائر.
2ـ وحنايا : ونحن.
3ـ يفارصو : يسرعون في سيرهم.
4ـ وربصو : تربّصوا.
5ـ مرسول : مرسل، رسول، وقونصو : قنصل؛ وفي حاشية الترجمة الفرنسية أنه فالييري قنصل فرنسا.
6ـ تفرنصوا : تحاربون.
7ـ مكلفا : أي مكلفون، لطراد أي للقتال،
8ـ ولا أبالي : أي لم يبال.
9ـ بالبتر : أي في الحين، وفي المطبوع : بالفتى.

سَلْطان الْبَهْجَى الهَيْفَا بجْيُوشَه الْفَتَّانَا
عذاب الكفّار كَافَّا مَنْ نصرو مُولانَا[1]

* * *

كيفْ شَافْ السُّلْطان ذا الْعَدُو نَادى لأهْل الْحَرْب كُلّهُم
قَال لهُمْ اهْيَوَا وَجَدُّوا في الابْرَاجْ الّي يخَصُّهُم[2]
وامْلاهُم برجَال يوكّدوا منْ كل صنَايَع من اهْلُهُمْ
والمدافَعْ نيرانْ يوقْدْ يضيّوا الّي جا قْبَالْهُمْ
يَرْميوا على كُلْ شايْفَا من برج وطوبانَا[3]
والرّجال على الحرْب واقْفَا كَالسبُوع غضبانا

* * *

ولّتْ البهجى كمَّا الجمر ترْمي الموت بنار شاعْلَه[4]
تَحْرَقْ من الابْعادْ منْ كفْر بانْفَاضْ أسبُوع مقَابْله[5]
وعَدُوها لَوْ جار ينْكسر وجيُوشَه يضحَاو فاشْلَه
البَهْجَى منْ حَازَت النصر ظَنُّوها الخُزْيان سَاهْلَه[6]
جَاوْا لَهَا يسفُون عاجْفا تحْسابهم جبَّانا[7]

1ـ الهيفا : الهيفاء : الجميلة.
2ـ أهياو : كلمة نداء، يالله، هيا الخ.
3ـ شايفه : أي على كل ما تراه العيون. وبرج : لعلها بارجة وطوبان : نوع من السم
4ـ كما الجمر : أي كالجمر.
5ـ انفاض : مدافع
6ـ من حازت : أي لما حازت. والخزيان : المخزيون : الملعنون.
7ـ يسفون عاجفه : أي بمراكب طالبة للشر؛ وجبانة : مقبرة، أي ظنوا أن أهل الجزائر كالموتى

لنْ ولّت ترمي مْرادْفا بصواعق نيرانا[1]
أما يدري الكفّارْ كلّهمْ بأن البهجى هي عذابهمْ
ديم تخلّ في بلابهمْ بهيات القراصنا[2]
عسكرْها معلومْ عندهمْ يزضمْ بسيوف اخشانا[3]

* * *

جاوْا بنين الرّومْ يحسبْ بلْد الجير بقات سايبه[4]
اعياوا الكفّارْ يكذبْ بالمدافع يرميو بونبه
ما لحقُ فيما تعذّبوا وامشات الخزيان خايبه
واللّه يا لو كانْ قربو لصاروا حيطانْ رايبه[5]
لكنْ قومْ الرّوم خايفا شافوا الْموتْ عيانا
ما صابوا للصّلح سعفا ومْشاوْ في إهانا[6]

* * *

كيف شافوا كمّا يصدّرْ العسكر ذا الكفّارْ ظنّهمْ
صارُ في حيرة يدبّرُ في ذا الرّأي وضاقْ أمرهمْ
ما صابوا منْ هو يشاورْ للصّلح ولا منْ يفيدهمْ[7]
بعْد ما كانوا تناصروا[8] اخذلْهمْ ربّي وذلّهمْ
والسّلْطانْ اللّهْ ينصْرو عازم للزّدمة[9] بشرْهمْ

---

1. لن ولت : أي إلى أن صارت
2. القراصنا: القراصنة جمع قرصان Corsaire.
3. أي يهجمون بسيوف عريضة خشنة.
4. الجير : الجزائر (نطق أوروبي) Algre.
5. رايبه : مهدمة.
6. سعفا : إسعاف، مساعفة، سبيل.
7. ما صابوا : ما أصابوا أي ما وجدوا.
8. تناصرو : انتصروا.
9. للزدمة : للصدمة.



وصّا صال[1] اعجب ما نفَعْ الاسْلاَمْ إعَانا
بمْدَافَعْ فوقه مْكَلْفَا يَهْزَمْ بِه اعْدَانَا

* * *

يَوْماً بِهْ ابْغَاوْا يزَضمْ[2] الاسْلام بْلاَ شَكْ عَازْمِين
عَرْفُوا الكُفَّارْ عَوْمُوا[3] ذَاك اليُومْ امْشاوْا هارْبِين
واللَّه يا لُو كانُ دَاوْمُوا لَكانوا الكُفَّار حاصْلِين
يا رَبّ بجَاهْ مَن اسْمُو مُحَمَّد الصَّادِق الأمِين
احْمي مزْغَنَّه[4] من الآفَا واجْعَلْها مَطْمَانَا
بجاهْ الّي فيها من أهْل العفا الرِّجال العَيْانَا[5]

* * *

اتَّفْقَت الاسْلاَمْ للجهَادْ وصارُ بالفَرَحْ يخْدمُ
في المتَارزْ خادين عْنَادْ[6] بْلاَ سِيف القوم يعَزْمُ
وأهْل العلْم مْصابَح البْلاَدْ مْعَهُمْ زادُوا تْحَزْمُ
تْبات الرِّياس[7] واقْفَا ترَبَّط في المِيزَانَا
بقْلُوب علَى الحَرْب لاهفَا ما هم شي شَبْعَانا

1ـ فيه خلل ونقص، وفي ترجمته الفرنسية ما يلي :

Il avait ordonne de construire un radeau et de l'armer de canons pour aller attaquer les vaisseaux ennemis.

2ـ يزضم : يصدمون.
3ـ عومو : أبحروا.
4ـ مزغنة : مدينة الجزائر، ويقال لها : جزائر بني مزغنه وبنو مزغنه : القبيلة التي كانت تسكنها.
5ـ العيانا : الاعيان، ويقصد بهم الأولياء الصالحين.
6ـ في المتارز : في المتاريس. خادين عناد : أي يتنافسون وبلا سيف أي بدون ضغط ولا إكراه.
7ـ الرياس : جمع ريس : وهم رؤساء البحر. وتربط في الميزانا أي تصوب المدافع



لا غالب إلا الله

كِيفَاش[1] الكُفَّارْ يطَمْعُ في البَهْجى سَلْطَنَة المْدَنْ
مَنْ فيها رْجال يدَفْعُوا عَنْها كل بْلا من الفْتَنْ
كُل ولِى يَرْمِي بمدفَعْ ما يَخْطى مَنْ قابلوا مْطَنْ
بَعْد ما كانُوا فَزْعُو اتّفَقْ نَصر لهاذا الْوطَنْ
ورْجال البَهْجَى مْسَاعْفَا ما تَغْفَلْ سَهْرَانَا
انْتَبْهُ في الْخَلْق رايفَا بالطَّلْب والإحْسانَا

* * *

أولْهُمْ سِيد الثّعَالبِي[2] هُو السِّيفْ وصُورْ حُرْمْهَا
بَحْر العَلْم خْليفَة النَّبِي صَاحَب الاسرار والبْهَا
بَحْديثُه تفْجَى كْرَايْبِي نَوَّار الحَضْرة وسَرْهَا
غَايَةْ مَقْصَدي ومَطلَبِي سَلْطان أهْل السَّرْ كُلْهَا
في حْمَاهْ البَهْجَى مشَرْفَ وبْجَاهُ مَطْمَانَا
صَاحَب الأسْرَارْ والبْهَا حَاشَا اللَّه ان ينَسْانَا

* * *

سِيدي بُوجَمْعه مساعفُو شيخُه ما يَبْغي يكَلْفُه[3]
ابن عَبْد اللَّه صِيدْ نْعَرْفو جلَبْ في يدُه زَانَا[4]
مَنْ ضَرْبُ بهَا يتْلفُو ما يظْهر لِلآنَا

1ـ كيفاش : كيفما ـ كلها
2ـ هو أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي صاحب الضريح الشهير في مدينة الجزائر.
3ـ سيدي بوجمعه : من أولياء مدينة الجزائر، وهو مدفون في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي.
4ـ هو سيدي أحمد بن عبد الله من أولياء مدينة الجزائر، وقبره خارج باب الواد بمقربة من البحر، والصيد : الاسد، وزانا : عصا أو هراوة من الزان وهو شجرمعروف.

طوفان الأقصى

سِيدِي الكَتَّانِي نحَقّقُ دايْما مَدْفَعْ ما لَحْقُ.. [1]
والرّجَالْ السَّبْع اتّفْقُوا جَاوْا في غَيْظ اشْحَان [2]
سِيدِي السعدي ما يفَارْقُوا سَيْفُ لأهل الجوَان [3]
هَا دُو هُمَا صُورْ حُرُمْهَا والّي فيها رجالْ قَايْمَه [4]
سِيدِي الفَاسِي ما يْهَونْهَا والْجُودي بحْماه سَالْمَا [5]
ولّى ديدِي صَيْدْ فِدْهَا واسا الكُفَّار مْعَظْمَا [6]
جَاتْ بْنِين الرُّومْ قبلْهَا جا للبَحْرْ وقَال لَهُ اطْمَا
هاجْ البحَرْ كسَّرْ سفُونْهَا وابقَات غير الْواح عَايْمَا
عَبْد القادَر حَرَّمْها الْكَفَّا هُوَ الّي يَرْعَانَا [7]
واهْل اللَّهْ فِيهَا مْجَاوْفَا حَاشَا تَلْقَا الهَانَا

* * *

جَازَتْ نزْهَة في بْلادْنَا والابْرَاجْ تبَاتْ زَاهْيَا
باكْيَاتَرْ ومْضَارب الغْنَا والرّجالْ على الحَرْب ماضْيَا [8]

---

1. هو سيدي أحمد الكتاني له قبر بقرب البحر خارج باب الواد.
2. هم إخوة شهداء توجد قبورهم بالقرب من مقبرة النصارى خارج باب الواد.
3. هو أيضا مدفون خارج باب الواد.
4. أي هؤلاء هم سور حرم الجزائر.
5. سيدي علي الفاسي وسيدي علي الجودي لكل منهما ضريح في مدينة الجزائر بالقرب من باب الواد.
6. الولي ديدي كان يعيش عند نزول شارلكان بالجزائر سنة 1541م ويقول الجزائريون إنه في هجوم سابق دعا فهاج البحر ودمر الأسطول الإسباني، ويوجد ضريحه بالقرب من دار القنصلية الفرنسية القديمة.
7. هو مولاي عبد القادر الجيلاني دفين مدينة بغداد، وله مزارة في مدينة الجزائر خارج باب عزون.
8. كياتر : جمع كيتار من آلات الموسيقى.





الأغَـا واصْحَـابه مشْحَانَـا   نيرانْ على الحَرْب قَوْيَـا[1]

والخزْنَه جي صيد كامْنَا   واصْحَابه اسُودْ ثَـانْيَـا

زيدُوا الوكِيلْ خرْجَ في الثنا   سلْطَان المرْسَه المسَوْيَا

والخوجه منْ فَاز بالْهَنَا   واغْنَم سَرْ الجُودْ والحْيَا

هادُو همَا أهل السَّلْطَنَا   لطِراد الكُفَّارْ هَاوِيَا

تْبَات الريّاسْ واقْفَا   مَا يَغْفَلْ سَهْرَانَا

بقْلُوب على الحَرْب لاهفَا   تَخْفَقْ كَالعقْبَانَا

* * *

بالحَمْد نْخَتْمُو ذا القَصَّة   وبالْفَرَحْ والطَّرَبْ

والصَّلاة على الذي اسْمُو   مفْتَاح الجَنَّة اوفر العَرَبْ

مُحَمَّدْ مَنْ فِيه نْغَنْمُو   رضْوان المَوْلى بلا كْذَبْ

صلّوا يا الأمَّة وسَلّمُوا   والتَزْموا بالصَّلاَة والأَدَبْ

صَلاَة دَايْمَه مْضَايفَا   مَا دَامت الاقْوانَا

وَعلى آلِه كَافَّا   واصْحَابُه العْيَانْا[2]

* * *

1ـ الآغا : قائد الخيالة وآمر الجيش، والخزنجي : صاحب بيت المال ووكيل الخراج كان بمثابة وزير البحر، والخوجه كان عندهم صاحب الخيل وهؤلاء هم أصحاب السلطة بعد الداي، وإذا مات الداي يختار خلفه من بين الثلاثة المذكورين؛ ويلاحظ أن الشاعر قدم أصحاب السلطة الروحية وأخر أصحاب السلطة الزمنية وقوله : لطراد الكفار هاويا يعني أنهم راغبون ومتعطشون لقتالهم.

2ـ العيان : الأعيان.





تَمَّتْ ذا القصَّة الموافْقَا في شَهَر المولُود عَنْ يقين[1]
بَعْد المايه والألف لاحقْا في الرَّابَع من الثَّمانين
تَاريخ الْبُونبَه المحقْقَا سُقُطَ ظاهَرْ يا سَامْعين
ولْد عمَرْ يَبْغي كما شقَا تَدْعو له بَدْعا صَالَح زين[2]
مَدْح الهَادي المُصْطَفى يَبْغي يا إخْوانَا
في حمَا سيد الخلْق يعتْفى والحَضَّارْ مَعَانَا[3]
وجَميع الاسْلاَم كَافَّا في الجنَّة مسَاوانَا[4]



1. يعني عام 1187 للهجرة.
2. ولد شهرة هذا الشاعر، ولا يعرف عنه غير هذا.
3. والحضار: والحاضرون، ومعانا : معنا.
4. يمساونا أي متساوين.



كيف اسمع السلطان ذا الخبر اغتاض ولا ابالى بكلامهم

فال لهم نعطيهم الكور والله يا لو يجوا كلّهم [f. 179]

ما نرضى نعطيهم الحجر يحرف باباهم وجدهم

امر ڢ الساعة بالڢتي جات رجال الحرب كلهم

سلطان البهجى المهيبا — من نصر مولانا

عذاب الكفار كافة — بجيوشه الڢتانا

كيف شاف السلطان ذا العدو نادى لاهل الحرب كلّهم

فال لهم اهيوا وجدّوا ڢ الابراج الّى يخصّهم

واملاهم برجال يوكّدوا من كل صنايع من اهلهم

والمداڢع نيران يوفد يضيوا الّى جا ڢبالهم

يرميوا على كل شايبه (i) — من برج وطوبانه

والرجال على الحرب واڢفه — كالسبوع غضبانه

ولّت البهجى كما الجمر ترمى الموت بنار شاعله

تحرف من الابعاد من كفر بانڢاض (j) اسبوع مڢابله

وعدوها لو جار ينكسر وجيوشه يضحاوا ڢاشله

صوة صفحة من الطبعة القديمة للقصيدة





UN CHANT ALGÉRIEN DU XVIII SIÈCLE*

* أثبتنا هذه الترجمة التي قدم نشرها لما لها من فائدة في إيضاح النص العربي.





Après avoir invoqué le nom du Tout-puissant, je vais chanter cet événement mémorable dont nous avons été témoins, l'histoire de ce fameux bombardement tenté contre Alger. Nos ennemis sont prudents, ils nous attaquent de loin et se tiennent toujours hors de portée.

0 toi, grand Dieu, à qui rien n'est caché, rappelle-moi les circonstances de cette guerre, et dissipe ces essaims d'infidèles qui cherchent à troubler notre tranquillité.

Peuples, prêtez l'oreille à mes chants. Des infidèles qu'on appelle Danois, et daigne le Ciel en exterminer la race, irrités de ce que nos corsaires leur avaient enlevé plusieurs bâtiments richement charges, vinrent ici, à main armée, pour nous forcer de les leur rendre.

Ils juraient, les maudits, par tous les serments de leur idolâtrie, que si nous tardions à les satisfaire [f. 123, v.], ils détruiraient notre ville de fond en comble.

Le Diable aveugla sans doute ces infidèles, et leur persuada que la brillante Alger était une place aisée à surprendre et à intimider. Ou plutôt Dieu, pour les confondre et augmenter la gloire de l'Islamisme, les conduisit lui-même dans cette rade.

Le Seigneur qui, par une faveur particulière, nous a destinés à faire la guerre aux chrétiens, a voulu que, sans quitter nos foyers, nous pussions obtenir le prix attaché à l'accomplissement de ce précepte.

Ces infidèles, fort empressés, vinrent mouiller dans la baie, mais fort au large, et ils attendirent ensuite tranquillement et sans bouger le bon effet que produi- rait cette disposition ambiguë.

Le Sultan lui envoya en ambassade un consul, qui leur dit de sa part : « Êtes-vous venus ici pour faire la guerre, ou bien désirez-vous la paix? »

Ils répondirent fièrement : « Nous sommes armés et préparés à combattre, et nous ne nous prêterons à aucun accommodement avant qu'on ne nous ait restitué nos effets. »





(f. 124). Le Sultan, que ce propos menaçant irrita plus Qu'il n'inquiéta, s'écria : «Par Dieu, nous n'avons que des boulets a leur donner, quand tout le Danemark ensemble se réunirait contre nous. Nous ne voudrions pas même leur rendre le lest des bâtiments que nous leur avons pris. Que le Diable emporte le père, l'aïeul et toute la génération danoise !. En même temps, le Sultan donna des ordres pour rassembler l'armée.

Le Sultan de la superbe Alger, dont la victoire suit partout les pas, est la terreur des infidèles par ses troupes intrépides.

Dés qu'il vit l'audace de ses ennemis, il dit a ses guerriers : «Allez dans les châteaux tout disposer pour les Combats ; et faites travailler sans relâche aux fortifications nécessaires ; que chacun prenne son poste, et que les canons, de leur feu dévorant, embrasent et con- sument tout ce qui se présentera devant eux.»

Aussitôt, des tours et des redoutes on se mit à foudroyer les vaisseaux ennemis. Les Héros ottomans, semblables à des lions irrités, ne respiraient, que le carnage. Alger, eu un instant, devint comme un incendie (f. "124 v.) qui porte au loin la destruction. Ses bouches d'airain faisaient voler la mort au milieu de ces infidèles qu'une prudence pusillanime tenait si éloignés.
S'ils s'étaient approchés, c'en était fait d'eux ; leurs mains, glacées par l'effroi, auraient laissé tomber les armes. Les proscrits. ! Comment ont-ils pu s'imaginer qu'Alger, que l'invincible Alger pouvait être accessible à leurs coups?

Ils sont venus, avec des vaisseaux, conjurés a sa perte, et ils la prenaient pour un cimetière, jusqu'au moment où ils l'ont vue lancer sur eux ces foudres exterminateurs, qui se succédaient si rapidement.

Les infidèles ignorent-ils donc qu'Alger est bâtie pour leur supplice ? Ses braves corsaires ne cessent do porter sur leurs côtes le ravage et la désolation.

Les héros chargés de la défendre sont assez connus par leur bravoure, aucun obstacle ne les arrête et tout cède à leur redoutable épée.



Ces Danois avaient cru apparemment qu'Alger avait perdu ses défenseurs. Après avoir pendant longtemps essayé inutilement l'effet de leurs boulets (f. 125], ils se mirent à tirer des bombes. Vains efforts ! peines
perdues! leurs noirs projets se sont réduits en fumée. Pardieu, si cette flotte ennemie avait osé s'approcher, elle aurait bientôt ressemblé à ces masures qui s'écrou-lent sur leurs fondements.

Mais tous ces chrétiens d'Europe sont lâches et timides; la crainte de la mort fît tenir constamment nos ennemis à l'écart, et à la fin, reconnaissant leur impuissance et sans espoir d'obtenir la paix, il ne leur resta d'autre parti à prendre qu'une honteuse retraite.

Dès l'instant que ces infidèles virent la bonne contenance de l'armée algérienne, à laquelle ils no s'atten-daient pas, leur esprit se troubla, leur courage s'abattit, et ils regrettèrent d'avoir perdu l'occasion de traiter d'un accommodement qui les aurait tirés de l'embarras
où les avait jetés leur présomption.

Le Seigneur, en punition de leur culte idolâtre, a voulu,
sans doute, les confondre et les couvrir d'humiliation.

Cependant le Sultan,que Dieu le rende à jamais victo-rieux, s'occupait des moyens de les faire repentir de leur témérité. Il avait ordonné de construire un radeauet de l'armer de canons pour aller attaquer les vaisseaux ennemis.

0 invention précieuse et vraiment utile à l'islamisme! Le même jour que tout était prêt pour fondre sur eux, ces chrétiens aperçurent l'orage,qui les menaçait, et ils disparurent. S'ils étaient restés, ils seraient imman- quablement devenus la proie des musulmans.

[f. 125 v.] 0 grand Dieu, protège Mezganna, pré- serve-la de tous maux et assure sa- tranquillité. Nous t'en conjurons par un nom qui t'est cher, celui de Mohammed le véridique, le fidèle. Nous t'en conjurons aussi par le mérite de ces bienheureux qui reposent sur cette terre. Daigne récompenser le zèle de tes fidèles adorateurs pour la défense de ta sainte religion !

Chacun travaille avec joie, et à l'envi l'un de l'autre
au service des batteries. Le peuple même, sans armes, ne





craint pas d'affronter l'ennemi. Les docteurs de la loi, ces flambeaux de l'État, donnent l'exemple du dévouement et excitent l'émulation des vrais croyants.

Voyez les reïs sur ce radeau, occupés à dresser le mât et à lier les cordages. On lit dans leur air l'ardeur qui les anime pour les combats; ils n'en sont jamais rassasiés.

Comment peut-il venir dans l'esprit des infidèles d'attaquer Alger, cette superbe reine des villes et des cités, Alger qui possède tant de saints personnages, uniquement occupés à éloigner d'elle tout désastre?

Chacun de ces bienheureux lance des foudres qui ne tombent jamais en vain. Dès qu'ils la voient menacée ils se réunissent et ils accourent tous ensemble pour concourir a son triomphe, [f. 12G] Animés du même zèle ils veillent a l'envi à sa prospérité et à son bonheur, et ils ne cessent de répandre sur le peuple d'abondantes bénédictions.

Le premier de ses protecteurs est Seid Abd ul Rahman Etthealebi, c'est l'épée et le rempart de la ville. Mer de science, vicaire du Prophète, possesseur des trésors de la grâce, ses divins écrits dissipent mes peines et mes chagrins, je les compare a un parterre de fleurs qui récrée les yeux et natte l'odorat. Toute mon ambition est de marcher sur les traces de ce Prince des dévots et des mystiques. Alger sous sa protection jouira d'un repos inaltérable et d'une gloire constante. N'ayons aucune inquiétude. Ce chef-d'œuvre des perfections angéliques ne nous oubliera jamais.

Sidi bou Giumaâ, son maître dans la vie contem-plative, est à ses côtés : il est toujours plus empressé à pargner des peines à son disciple.

Sidi Ahmed ben Abdalla, semblable à un lion rugissant, s'avance à grands pas, tenant dans sa main un bâton ferré. Malheur à celui qu'il en frappe; il est anéanti à l'instant !





Sidi Ahmed el-Kattani s'élève d'un air menaçant sur son mausolée, que les boulets ont toujours respect.

les sept martyrs, unis après leur mort comme pendant leur vie, pour la défense d'Alger, viennent a son secours, les yeux étincelants de la colère qui les anime, contre les ennemis de la foi.

Sidi el-Saadi les suit de près, ce sabre exterminateur des chrétiens. (f. 126] Tous ces bienheureux, qui reposent autour de la ville, en sont les plus solides remparts, et combien encore n'a-t-elle pas de protecteurs puissants dans l'enceinte de ses murs !

Sidi Ali el-Fassi (G) et Sidi Ali el-Gioudi ne veillent-ils pas aussi a sa conservation?

Que dirons-nous du grand Weli Dédé, dont le zèle a déjà été si fatal aux chrétiens? Ils vinrent autrefois avec une nombreuse flotte, méditant la perle d'Alger. Weli Dédé s'approche de la mer et ordonne aux vagues de s'agiter; aussitôt les flots se déchainèrent, les vaisseaux des infidèles se brisent et la surface des eaux est couverte de planches et de mâts flottants. Notre bon Patron, Sidi Abdul Cadir, ne suffirait-i pas seul à notre défense? Sa main protectrice nous préserve do tous maux. Et comment serait-il possible qu'une ville entourée de tant de saints pût être exposée à des revers?

Mais quelle nouvelle scène s'offre à mes regards? Les tours et les châteaux d'Alger ne me présentent plus que des spectacles agréables. Je n'entends résonner de toute part que les doux sons des guitares et des instruments de musique. Et qui pourrait, en effet, n'être pas tranquille, lorsqu'une armée de héros se charge de nous défendre?

Voyez l'aga à la tête de sa cavalerie; le feu martial qui l'anime pétille dans ses yeux et inspire le courage.

[F.127). Examinez le khasnadji : ne le prendriez-vous pas pour un lion qui va s'élancer sur sa proie ? qu'il est





digne de conduire les jeunes lionceaux qui l'entourent !

N'oublions pas dans nos éloges le brave wekil khardj, qui tient la marine et l'arsenal dans un si bel ordre.

Chantons aussi les louanges de ce respectable codja dans qui la modestie et la générosité sont les moindres vertus.

Ces grands officiers du gouvernement, excités par une noble émulation, brûlent d'envie de se distinguer contre les infidèles.

Les reïs sont toujours debout et les armes à la main : leur cœur ne respire que pour la guerre et les combats. Ennemis du repos, vous les voyez dans une continuelle agitation, comme des aigles qui planent dans les airs.

Béni soit l'Éternel ! J'ai termine mes chants dans la Joie et l'allégresse. Adressons nos voeux au plus noble, Au plus généreux des Arabes, à cet envoyé du Ciel, dont Le nom ouvre les portes du Paradis, Muhammed, qui nous procure par sa puissante intercession les bontés et les complaisances du Roi des Rois. 0 vrais croyants, cessez de le prier et pratiquez l'oraison et les bonnes œuvres ! Bénissez aussi la famille de ce glorieux Prophète ainsi que tous les apôtres de sa mission divine.

L'événement que j'ai chantée est arrivé dans le mois où nous célébrons la naissance de l'Envoyé de Dieu, l'an de l'hégire 1184. C'est là l'époque fixe de ce fameux bombardement, dont nous avons été les témoins.

Le fils d'Omar vous demande, mes frères, pour prix de sa chanson, un souvenir dans vos bonnes prières. puisse-t-il mériter les bontés du directeur des hommes, de cet Élu de Dieu qu'il a tâché de célébrer dans ses vers et avoir un jour le bonheur de se voir réuni dans le saint Paradis avec tous ceux qui l'écoutent et tous les autres musulmans !





زجل يامة نبينا
لمجهول من ناحية قفصة



ـ لقد قوبل دخول الفرنسيين إلى بلدان المغرب العربي الكبير بمقاومة شعبية ودعوة إلى الجهاد، وكان للشعراء عموما والزّجالين خصوصاً دور كبير في بث الحماسة في نفوس الناس وحضهم على النهوض إلى الدفاع عن أوطانهم وتحريضهم على قتال أعدائهم والتصدي لهجومهم، وقد تحدث المؤرخون عن هذه المقاومة والجهاد بتفصيل كما عنى بعض الباحثين بتدوين الأزجال التي صدرت في ذلك عن زجالين معروفين أو مجهولين في المغرب والجزائر وتونس.

ومن الأزجال التي قيلت بمناسبة احتلال الفرنسيين للبلاد التونسية ونصب حمايتهم عليها سنة 1881م قصيدة لزجال من ناحية قفصة يحرض إخوانه على قتال الفرنسيين حين سمع بتوقيع محمد الصادق باي على معاهدة الحماية التي عرضها عليه الجنرال بريار غداة حصاره لقصر السعيد بباردو، ودلك في يوم 12 جمادى الثانية 1928هـ (12 ماي 1881م).

وقد جاء الاحتلال الفرنسي لتونس بعد أن اضطر المصلح التونسي المعروف خير الدين إلى التخلي عن تسيير أمور الدولة وخلفه مصطفى بن إسماعيل فساءت الأحوال وظهر عجز الحكومة وكثرت المشاكل وتعددت دسائس بعض القناصل ممّن يهمهم اضطراب الأحوال وقوي طمع الدول الأجنبية ولم يلبث الفرنسيون أن استغلوا شجاراً بين تونسيين وجزائريين على الحدود فوجهوا من الجزائر إلى تونس جيشا يتألف من ثلاثين ألف جندي احتلوا مدينة الكاف وتقدموا إلى العاصمة التونسية وحاصروا باردو حيث مقام الباي وتم لهم إعلان الحماية على تونس.





ويعتبر هذا الزجل الذي نشره سونك SONNECH من شعر الزجل السياسي الذي نظم فيه الزجالون في بلدان المغرب الكبير وسجلوا فيه الأحداث الوطنية وصاحب الزجل يقول إن الباي الذي كان الناس يطيعونه ويتحملون ظلمه باع البلاد للنصارى وخان الأمانة وخرب الدين وهو يخاطبه خطابا قاسبا فيه سخرية ونقد وهجاء بل يقول إنه دخل في دين النصارى وبعد هذا يدعو الشاعر عامة الناس إلى حمل ما يمكن من السلاح والالتحاق بالمجاهدين في الجبال والتصدي للجيش الفرنسي والاستبسال في مقاومته والاستشهاد في سبيل الله وهو يعدّد القبائل التي قاومت الغازين وينوه بشجاعتهم ويسمى بعض رؤسائهم وأبطالهم ويهجو بعض القبائل التي لم تقم بواجب الجهاد. وقد ختم الزجل بالسلام على رسول الله وذكر التاريخ الذي نظم فيه وهو فاتح رجب من عام 1298هـ أي بعد نصف شهر تقريبا من إعلان الحماية الذي كان في جمادى الثانية 1298.

وفيما يلي نص الزجل مع حواشينا عليه :





يامّة نبينا

1. يَامَّةْ نبِينَا   يامَن طَالَبْ على الْجهادْ يجينا
2. ضَمُونَا الْكُفّارْ   كانْ خرْتو فينا العيْطَة للقهّارْ
3. مَنْ هَانَا اللّهْ يهينَهْ *   * ومَنْ بَاعْنَا للنَّصارَى
4. ولَاحَازْ موجبْ علَينا   ولَابَيَّن فينا دعَاره
5. كُلْ ما طلَبْ اعطَيْنَاهْ   فِي كُلْ يوم طالَق الْغاره
6. علَى أجَلْ مِلّةْ نَبينا   طقنْنَا أَحْكام الْجسَارَه
7. حَتَّى خانْ وخرَّبْ دينَهْ   ودَخلْ سوقْ الْغفَارَه
8. وَعْطى الْقَصْبَ الحَصِينَةَ   في الْكَاف عَالي اسْوَارَه
9. وافْرِيقْيه الْأمْ الحَنينَه   قَعْدَتْ دَشْرَهْ قفَارَه
10. جَبَل المدِيّرْ علَيْنَا   هاهُمْ يرْجمُوا في حجَارَه
11. كُلْ يَوم متْحزَمْين   عَلى الْيُمْنَى والْيَسَارَه
12. بامْحَالْ مشْقافينا   فِي الْبَرْ شاطّه اخبَارَه
13. ويعيطُوا منْ يْجِينا   ياناقْصين الدّبَارَه
14. أدّوا كَسبنَا من إيدينا   لايصير مَاشي خسَارَه
15. نَحْنَ الْحيا نَاسيه   وأنْتُمْ رضيتُوا الْعقَارَه
16. مَكْبَرْ هَالعُسْرَه   مَا بعْدَ المعْسَارْ كان اليُسْرَى
17. انَنْعتْ لك مثَال   إذا بْرمْ نَصْرَه
18. في سُورَة الأنْفَال   هذَا نزَلْ على النَّبي ياحَسْرَه
19. يَا أُمَّالي الْخسْرَه   يَا الّي بَعْتُوا دينَكُمْ بالكسْره
20. تْبَعْتُوا جنرَالْ ابْريَار *   * كانْ خرْتُوا فينَا العيطَه للقهارُ





21. يَابَايْ تُونَسْ نَعْزِيكْ — فِي دِين بَدْر تَمَامَهْ

22. وخطَاكْ واعْوَاجْ كُرْسِيك — وَدْخَلْتَ دِين النَّصَارَهْ

23. والاِسْلَامْ مسْتَنْصَرين — مَسْتَوْدِيَه بالْغرَامَهْ

24. الْمَالْ في بَارْدُوا يجِيك — والخلْف بِيدَكْ كْلَامَهْ

25. السَّلَاطِين تَسْمعْ عَلَيْكْ — وَشَيْبَكْ ولَّى رْغَامَهْ

26. سَقَطَتْ اَجْفُونَكْ وَسَنِّيك — ودْخَلْتْ سُوق الْعَدَامَهْ

27. دَرْبَاكْ شيطَانْ وأهْلِيكْ — في بِير ستِّينْ قَامَهْ

28. وتَقْطعَتْ وثايَقْ فيكْ — وبْقِيت تَحْتَ الظَّلَامَهْ

29. يَا سَامع على حدْ رُكْبِيك — بَات السْفَى عْلَى طَعَامَهْ

30. شَمَّرْ على حَدْ رُكْبِيك — والْحَرْب شَعْشَعْ علَامَهْ

31. ارفَعْ طَويلَه وغدَّريك — واقْصَدْ جَبَل السَّلَامَهْ

32. تَلْقَى عسَاكِرْ اتْرايَكْ — لَايَفْهْمُوش الْكَلَامَهْ

33. تَمْنَعْ عَلَى من يعادِيك — وتفْوز يُوم الْقِيَامَهْ

34. والْحُور يَسْتَبْشِرُوا بِيك — يَا طَمْهَا مَن كَرَامَهْ

35. كَانْ عِشْتْ ربي يَنَجِّيك — كَانْ مَتْ مَاهِي نَدَامَهْ

36. أَوْصى ذَرَاري ذَرَارِيكْ — عَلَى بَاي بَايع مَقَامَهْ

37. مَن بَعْد حَمُوده — نِعْمَهْ للْكُفَّار هز جْنُودَهْ

38. وأمَّا الصَّادُقْ لَاشْ — [هو] يخْدَمْ في السَّودَهْ

39. بَاع عماله بَاهْيَه مَقْدورَهْ — إِلَى رُومي مَا يسْوَاش[دُودَهْ]

40. ادْخلْهَا بجْنُودَهْ — بِمُدَافِعِهِ وعْسَاكْرَهْ وبَارُودَهْ

طوفان الأقصى

لا غالب إلا الله

41. تُوقْ فِيهَا النَّارْ — كَانْ خرتُوا فينَا العَيْطَه للقهَارْ

42. يَاسَعْدَ مَنْ جَاهَدْ نهار * — فِي مخَالْفِينْ الشَّرِيعَهَ *

43. يِرتَاح مَنْ عذَابْ النَّارْ — وَرَحْمَة اللَّهْ وَسِيعَه

44. كَانْ مَاتْ مَا يْشوف الانْكَار — لاَحرَجْ لا لَهْ وَجِيعَهْ

45. كَانْ عَاش لِلْخَلْف يزَارْ — وَتْنَال منه النَّفِيعَهْ

46. نَرْجَعْ علَى وَطَن الأَحْرَارْ — بَاعُوهْ بَيْعَ القَطِيعَه

47. وشْرَاوه غْرمَاه شْطَّارْ — ابلاَ مَالْ عَقْدوا البِيعَه

48. دَمْعي من العَينْ قطَارْ — وهمُوم قَلْبي لْسِيعَه

49. والْقُوت فِي الفُمْ امرَارْ — كُلْ يُومْ تَنزاد ليعَهْ

50. لَوْ مَا الجبَل دار بَازَارْ — واطفَى من الكُفْر شْنيعه

51. احْيِ سُنْتَكْ يَالمُخْتَارْ — لا يترضى بالصَنِيعَهْ

52. بْجَاهْ زِينْ الحُلَّهْ — ورْجَالْ الديوانْ وأوليا اللَّهْ

53. بْجَاهْ حَسَنْ وحَسَين — يَعْطِيه مَذَلَّهْ

54. وَيْسَلَطْ فِي المَلَّهْ — هذَا خَارَبْ دِينَهْ

55. سَلَّمْ فِي المَلَّهْ — وَتَبْعْ جنرَالْ لاَبسْ برطلَّهْ

56. أدَاهْ بَالاسْحَارْ — كانْ خُرتُوا فينا العَيْطَه للقهار

57. يَا سَامَعْنِي لاش تَشَدْ في * — واصْغَى قُولْي كانْ قلْت غالْ *

58. تلْقَاشْ فيه عتابْ والاَّ لي — والاّ كَلْمَهْ خاطْيَةً المْثالْ

59. لوْ مَا جبَل عَمْدُونْ دارمَزين — اللَّه غْدينا ريش على شعَالْ

60. زيدْ مْعَهْ خمِيرْ والشّيحِيه — جْبلْهُم مَا يَسْكُنه ذْلاَلْ





61. جَاتَهْ جنُودْ الفرَنْسِيسْ دِبِية — حَتَّى اليهُودْ رِكُوبْ عْلَى الْبغال
62. سْبَايَسْ تخدَمْ فِيه بِالشَّهْرِيَه — مَنْ عين ماضي إلى سوحْ وادْ هِلاَلْ
63. زادْ بعَثْ للنَّاحِيه الظَّهْرِيَه — مَنْ وطَن سيدي غْرِيسْ جَاوْه مْحَالْ
64. سْرى مَنْ عنَّابَه فْزَعْ بِالْفِيَه — مَنْ قلْعَةْ بني عبَّاسْ الْخُتْالْ
65. عْرَبْ وَادْيو مرزُوقْ وابحر يرِيه — وسُوقْ اهْراسْ يجْي في الْمَنْزَالْ
66. تَسْمَعْ طبُولْهُمْ كَأَنَّهَا رَعْبِية — وَأَمَّا الْعَسَاكِرْ عْلَى الخنْق اطَّالْ
67. حطّوا على عدْونْ ضيقْ عْشيه — وهُمْ هجموا علْيهُمْ نسْوَه ورْجالْ
68. خلُّوا فرَايَسْهُمْ للنسُورْ هُدِيَه — والهُوشْ ياكُلْ في لُحوم الأَرْذَالْ
69. حَنَ بن الأطرش في الْجيل تبي — وَقَالْ لهُمْ غدْوَة كَمْلوا الِيّ مازَالْ
70. وَلَى جنِرَال ناقْلاَتُهْ هيه — وَقَالْ هَاذُونْ فُورْصَه وهْبَالْ
71. الاسْلاَمْ لاَ مَنْ عانهم بسَرِيَة — الجنّه حَازُوها مْشَاتْ قدَالْ
72. يلُوموا على مَن يطْلُب المَشْلِيَه — ويسَلْ سيْفُه في العدُو حْلاَلْ
73. بْني زَيدْ وَالْهمامه اثْناشن فيه — الحَرْب لَهُمْ مَنْ قدِيمْ ابْطَالْ
74. أمَّا الدُّرَيْدِي كمْثِيلْ ولْيَه — حازُوا الحوايَه مْقطرين أَسْفَالْ
75. يدُوا كْبَاش افحُول شْمَانِيه — بَاب الجهادْ في حقهم بْطَالْ
76. بِيَّاعَة القطْرَانْ بِالثمْنِيَه — والهنْداي والْجزَّارْ والنَّحَّالْ
77. عْلِي بن عمْلَه صيدْ في التَّرْعِيَه — مُحمّد بن هْذيلي بطَلْ من الأبْطَالْ
78. وطَن السّاحلْ فيهم الرُّجْلِيَه — الواحَد يلَز كَبْدُه على المْلاَلْ
79. قفْصَه ونَفزَاوة وجْربيه — مَعْ وَعْد ربّي ما يْقَد الْحَالْ
80. إذَا قدَّرْ شُورْ كُلْ ثنْيَه — يجي صَاحب المعْرُوف والاعْمَالْ





81. تجينا نَصْره من البَحْر عتْريَه — نَـبَشـرْكُمْ ياسامْـعين الْـفَـالْ
82. تَـفْرَح الـنّـسْوان والـنّرّيَه — وتَطْفَى شيعَة الكُفْر والمحالْ
83. في أوّلْ رجب جبْت قضْيَه — ثْمَانْيَة مع تسْعينْ عامْ كمَالْ
84. نبلّغْ سَلامِي للرّسول هْدْيَه — علْى قدْ موج الْبَحرْ والنْمَالْ
85. علّى قدما في الأرْض ميّتَه وحَيَّه — علّى قَدْ مَاذَا فصل الفصَالْ
86. سلامي علّى سَامْعين كلامي — علّى قدْحب الزّرْع والفَصْوَالْ







شرح بعض الألفاظ

2ـ ضامونا : ظلمونا وخرتوا فينا : اخترتم لنا. العيطة للجهار : النداء للقتال.

3ـ من هانا الله يهينه أي من أهاننا وتركنا وتخلى عنا أهانه الله.

4ـ موجب : سبب، دعاره : عمل قبيح.

6ـ طقنا : تحملنا، الجسارة : التعدي.

7ـ سوق الغفاره : سوق العبودية.

8ـ الكاف : مدينة معروفة في تونس.

9ـ إفريقية : مدينة تونس.

10ـ المدير : المتداير أي الدائر..

12ـ بامحال : بمحلات أي جيوش، مثقافينا أي يتابعوننا، شاطة : شاتة أي شائعة.

13ـ ويعيطوا : أي ينادون. الدبار : التدبير.

14ـ ادوا : خذوا واحملوا.

15ـ العقارة: كلفة الحرب.

16ـ ما كبرها العسره : ما أكبر هذه العسرة وكان في الشطر الثاني بمعنى إلا. وهذا من الآية : (سيجعل الله بعد عسر يسرا)

18ـ اننعت : أنا انعت أي أذكر، برم = أبرم.

18ـ يشير إلى الآيات 5ـ 12 من سورة الأنفال.

19ـ ياالمالي : ياموالي : بالكسرة : بقطعة من الخبز

20ـ جنرال ابريار : le general breard وهو قائد الييش الذي دخل تونس وجعل الباي محمد الصادق يوقع على معاهدة الحماية.

21ـ يابای تونس : هو محمد الصادق الذي تولى من سنة 1276 هـ إى سنة 1299هـ.

22ـ وخطاك : ضاع منك.

23 ـ والاسلام أي المسلمين، مستوديه : تؤدي.

25ـ وشيبك أي شيخوختك، رغامه أي رد ورجوع.

26ـ العدامه : العزم والفناء.

27ـ درباك أي ضربك ورماك.

29ـ بات السفى على طعامه : كأنه مثل ومعناه أن الحاله مضطربة وغامضة.





31ـ طويلة : بندقية. وغدريك : مسدسك. جبل السلامة : عين دراهم الذي كان يومئذ مركز المقاومة.

32ـ اترايك : ترك.

34ـ ياطمها: ما أعظمها.

37ـ حموده : هو المشير أحمد باشا باي تونس من 1253هـ إلى1271(1837ـ1855) وفي البيت إشارة إلى الجيش الذي أرسله للمشاركة في حرب القرم.

41ـ توق فيها النار أي أوقد.

44ـ الانكار : ما ينكر ويخشى بثمن بخس كان مات : إذا مات.

45ـ النفعية : النفع.

46ـ بيع القطيعة أي بثمن بخس.

48ـ قطار : كالقطر، لسيعه : تلسع.

49ـ ليعة : لوعة.

50ـ بازار : سوق، شنيعة : شنعة وشهرة.

51ـ لايترصى لا يترسى أيلا يتثبت بالصنيعة : بالعمل السيء

52ـ ورجال الديوان : الابدال.

55ـ برطلة : برنيطة.

56ـ اداه بالاسحار : سحره أو سحر له.

57ـ تنشد تطلب وتسأل، غال : غلط،

59ـ جبل عمدون : من جبال خمير. دار مزين : عمل أعمالاً جميلة، غدينا : غدونا. شعال : جمر.

60ـ خمير : جبل من ولاية جندوبة. الشيحية : جيران الخميريين.

61ـ ذيبة : على عجل وفي المغرب يقال داب.

62ـ سبايس : خيّالة من الأهالي كانوا في خدمة الفرنسيين.

63ـ عين ماضي وواد هلال وغريس وعنابة وقلعه بني عباس ومزاب وواد بومرزوق وسوق أهراس كلها أسماء بلدان معروفة في الجزائر ومنها جُنِّد الجيش الذي دخل به الفرنسيون إلى تونس.

66ـ اطال : تطل.

68ـ الهوش : السباع

69ـ حسن بن الأطرش : من ثوار تلك المرحلة.





تبي : أعلن نفسه بايا.

70ـ ناقلاته : نافلته، هاذون : هؤلاء، فورصه، قوه، والكلمة أجنبية.

71ـ الاسلام : المسلمون. بسربة : مجموعة قليلة، مشات كدال : صارت حمى وكلمة كدال أو أكدال أمازيغية ومعناها حِمَى الملك.

72ـ المشلية : القتال والحرب.

73ـ بني زيد والهمامة : قبائل عربية في ولاية قفصة.

74ـ الدريدى : شخص من قبيلة دريد، وليه : امرأة عجوز، الحواية : خيام قبيحة الشكل.

76ـ الثمنية : مكيال، مقداره ثمن، والهنداي : الهندية في لهجتنا اي التين الشوكي.

77ـ صيد : أسد وعلي بن عمارة ومحمد بن هذيلي من رؤساء المقاومين في ذلك الوقت.

79ـ يلز : يرمى الملال : السعير.

80ـ شور كل تنيه : من كل طريق.

81ـ إشارة إلى مساعدة منتظرة من تركيا.

83ـ هنا تاريخ النظم وهو فاتح رجب عام 1298هـ الموافق 30 ماي 1881.





APPEL A LA RÉSISTANCE CONTRE LES FRANÇAIS*

---

* أثبتنا هذه الترجمة لارتباطها بالنص العربي وقدم عهدها وندرة وجودها.





Appel a la résistance contre les Français



Peuple du Prophète ! que ceux qui veulent la guerre sainte viennent à nous. L'infidèle nous opprime. Que ne préférez-vous pour nous l'appel au combat !

3. Que Dieu l'abandonne celui qui nous a abandonnés, celui qui nous a vendus aux chrétiens ; qui n'avait pas de motif de nous traiter ainsi et n'avait relevé contre nous aucune vilaine action ! Tout ce qu'il demandait nous le lui donnions ; chaque jour il déchaînait contre nous une incursion. Pour la foi de notre Prophète nous supportions les injonctions de son audace ; enfin il a trahi, il a ruiné sa religion et est entré dans le marché de la servitude !

8. Il a livré la citadelle puissante dont les remparts altiers s'élèvent sur la montagne (1) ; et l'Ifrȳqyya (2), cette douce mère, est devenue une bourgade déserte. Cette montagne qui nous protégeait (3), ils (les Français) en lapident les roches [à coups de canon]. Chaque jour, ceints de leurs armes, tantôt à droite, tantôt à gauche, ils nous poursuivent à l'envi avec des colonnes dont le renom se répand dans le pays. « Qui viendra à notre aide? disent [les montagnards]. O hommes de peu de sens ! pre-

1) La ville du Kef. Le mot كهف *kähf*, caverne, a pris en Maghreb le sens de roc, montagne escarpée. Le ه *hā*, très doux, s'est usé jusqu'à devenir ا *alif*. Le nouveau mot, ayant l'apparence d'un dérivé d'une racine concave, a reçu le pluriel des substantifs de cette catégorie et l'on dit كيفان *kȳfūn*. كاف *kāf* a conservé comme كهف *kähf* le sens figuré de refuge, asile : لكهف الحصين الامنع (formulaire épistolaire).

2) On donne en Tunisie le nom d'Ifrȳqyya (vulg. Frȳqyya) à la partie N.-E. de la Régence.

3) Le massif de la Khroumirie.





nez nos biens pour qu'ils ne s'en aillent pas en pure perte. Nous faisons, nous, le sacrifice de la vie, tandis que vous consentez, vous, à payer la contribution de guerre. Combien est grande notre infortune ! Mais après ces mauvais jours le bonheur reviendra-t-il? » Je vais te citer un exemple à suivre : quand Il lui eut donné la victoire, Dieu révéla au Prophète la sourate du butin (4). Hélas ! hommes égarés, ô vous qui avez vendu votre foi pour un morceau de pain, vous avez suivi le général Bréard. Que n'avez-vous préféré pour nous l'appel au combat !

21. Bey de Tunis, reçois mes condoléances pour [la perte d']une religion qui avait l'éclat de la lune en son plein. Ton trône va te manquer; déjà il se disloque. Tu as embrassé la croyance des chrétiens, alors que l'Islam implorait ton secours. Il te payait volontairement l'impôt et l'argent affluait au Bardo; ils avaient mis leur parole entre tes mains et les rois écoutaient ta voix. Ta vieillesse est devenue un objet de répulsion : tes paupières pendent, tes dents tombent et tu prends le chemin du néant. Que Satan vous précipite toi et les tiens dans un puits de soixante brasses ! Les pactes sont rompus et tu resteras soumis à l'oppression !

29. Toi qui entends mes paroles, écoute mon conseil : la balle du blé est restée sur le grain (5) ; relève [ta tunique] jusqu'aux genoux car l'étendard de la guerre flamboie. Prends un fusil et ton pistolet et gagne la montagne du salut (6). Tu y trouveras des guerriers [vaillants comme des] Turcs et qui ne veulent rien entendre. Tu résisteras à ceux qui te traitent en ennemi et tu mériteras les récompenses du Jugement dernier. Les houris se réjouiront en apprenant ta venue. De quelle immense vénération tu seras entouré ! Si tu vis, Dieu te sauvera ; si tu meurs, [tu n'auras] pas de regret. Dans tes exhortations signale à tes petits-enfants un bey qui vend sa souveraineté, et pourtant successeur de Hammouda l'excellent, qui fit connaître aux mécréants

(4) Voy. *Qor.*, VIII, particulièrement les versets 5-12.

(5) C'est-à-dire la situation est trouble, n'est pas nette. Voy. سجا au glossaire.

(6) Les montagnes d''Ayn [ĕd]-drāhăm (عين الدراهم), centre de la résistance.





la puissance de ses armées (7). Mais pourquoi Es̱ S̱ādŏq a-t-il commis tant de noirceurs? Il a vendu un pays orné de toutes les beautés et réunissant toutes les perfections à un vil chrétien qui y est entré avec ses troupes, ses canons, ses soldats et ses munitions et y a allumé l'incendie. N'eussiez-vous pas préféré pour nous l'appel au combat!

42. Quelle heureuse fortune que celle de l'homme qui combat, [même] un [seul] jour, les révoltés contre la loi divine! Il est en repos quant au châtiment du feu car la miséricorde de Dieu est immense; s'il meurt, il ne connaîtra pas les déboires; blessé, il ne ressentira pas la douleur; s'il vit, il sera le but des visites [des fidèles] et par lui on obtiendra [du Ciel] de précieux avantages.

46. Revenons au pays des hommes nobles et libres. On l'a vendu à prix débattu; ses habiles créanciers l'ont acheté et, sans bourse délier, ont conclu le marché. Mes larmes dégouttent de mes yeux et les soucis aiguillonnent mon cœur. La nourriture prend dans ma bouche le goût du fiel; chaque jour s'ajoute [à mes peines] un nouveau tourment.

50. N'était la montagne qui avait fait le marché [de vendre chèrement sa vie] et a éteint la renommée de l'infidèle.....! Fais revivre ta tradition, ô Élu de Dieu; qu'il ne soit pas affermi par ses mauvaises actions!

52. Par la grâce de Celui qui est revêtu d'un splendide manteau et les vertus des saints et des hommes amis de Dieu qui composent le sacré divan; par les mérites de Ḥasăn et de Ḥŏsĕyn, Dieu veuille jeter Es-S̱ādŏq dans l'abjection et faire naître la maladie dans ses entrailles, ce destructeur de la foi, qui a livré son peuple et s'est mis à la suite d'un général coiffé d'un chapeau, devenu son maître par des sortilèges! N'eussiez-vous pas préféré pour nous l'appel au combat!

57. Toi qui m'entends, pourquoi me questionnes-tu? Écoute attentivement mon discours. Ai-je dit quelque chose d'erroné?

7) Aḥmĕd Bey, qui régna du 11 octobre 1837 au 30 mai 1855. Il envoya en 1854 huit mille hommes de ses troupes se joindre en Orient aux armées alliées.





Y trouves-tu matière à reproche ou une parole détournée de la vérité ou quelque propos non conforme à la réalité ?

59. Sans la montagne des ʿAmdoūn (8) qui a accompli de belles actions, par Dieu ! nous eussions été entraînés comme des plumes au-dessus d'un brasier ! Avec eux étaient les Khĕmȳr et les Chȳhyya (9) : l'abaissement n'habite pas leurs sommets !

61. Les armées françaises se portèrent vers eux, pressant la marche, traînant avec elles jusqu'à des Juifs juchés sur des mulets et des spahis qui y servent au mois. D'ʿAyn Mādȳ jusqu'à la région de l'Ouād Hĕlāl (10), ils avaient envoyé de nouveaux contingents dans le Nord. Des colonnes vinrent de la contrée de Sȳdȳ Ghĕrȳs (11). Partis de Bône dans la nuit, ils s'élancèrent par milliers. Il en vint de la Qālʿa (12) des Bĕnȳ Abbās perfides (13) ; les Arabes de l'Ouād Boū-Mĕrzoūg (14) et les Algériens et aussi ceux de Soūq Ahrās arrivaient au camp. On entendait leurs tambours qu'on eût dit la voix du tonnerre. Quant aux soldats, ils débouchèrent du défilé et campèrent chez les ʿAmdoūn au moment où le soleil allait disparaître. Alors, attaqués par les femmes et par les hommes, ils laissèrent leurs cadavres en présent aux vautours et le lion se reput de la chair de ces misérables. Hasān Bĕn El Atrĕch, proclamé bey dans la montagne, dit à ses guerriers : Demain vous achèverez ceux qui restent ! Le général, transporté par leur attitude, s'écria : Quelle valeur ! Ces gens sont fous ! Personne n'aida les musulmans même d'une poignée de combattants ; ils conquirent le paradis qui devint pour eux comme une prairie réservée. On blâme ceux qui demandent à combattre : tirer son sabre contre

8) Tribu berbère de la Khroumirie.

9) خمير *Khĕmȳr*, orthographe exacte du nom dont nous avons fait Khoumir ou Kroumir. Les Chȳhyya (شيحية) leur sont voisins.

10) Cours d'eau qui naît à l'O. de Tebessa et va se perdre dans les sĕbkha au midi de Biskra.

11) La plaine dite d'Eghris, près de Mascara.

12) Gros bourg kabyle au N. de Bordj-bou-Aréridj.

13) Texte : au lieu de واختال, lisez اختال.

14) Affluent de droite du Rumel (واد الرمل), dans lequel il se jette en amont de Constantine.



l'ennemi est cependant licite. Les Bĕny Zĕy̅d et les Hămāma (15) forment douze tribus; la guerre depuis longtemps leur est familière; ils s'y montrent des héros. Pour l'homme des Dry̅d (16), il est comme une vieille femme. Avec de mauvaises tentes qui laissent dégoutter l'eau par le bas, ils apportent [aux troupes] des moutons gras. A leurs yeux la guerre sainte n'a pas de raison d'être. Ils vendent du goudron au petit pot (17) et des figues de Barbarie; ils sont bouchers et marchands de miel!

77. 'Aly̅ Bĕn 'Amāra (18) est un lion au courroux prompt, au courage aveugle; Mohammĕd Bĕn El Hĕdy̅ly̅ (19) est un héros parmi les héros. C'est dans le Sāhĕl qu'on trouve la virilité : là chacun se jette dans la fournaise. Avec la promesse de Dieu, Găfsa, le Nĕfzāoua et le Djĕry̅d n'auront à subir aucune fortune contraire. Si Dieu en ordonne ainsi, par tous les chemins arriveront ceux qui nous apporteront leur généreux appui et leurs bonnes actions. Un secours puissant nous viendra de la mer (20); je vous en donne l'heureuse nouvelle, vous qui écoutez mes pronostics. Les femmes et les enfants se réjouiront et l'on verra s'éteindre le renom de l'impiété et de l'absurdité!

83. J'ai achevé ce récit le premier rĕdjĕb de l'année [mil deux cent] quatre-vingt-dix-huit — 30 mai 1881 (21).

84. J'envoie mon salut en hommage au Prophète autant de fois qu'il y a de vagues dans la mer; autant qu'il y a de fourmis;

15) Tribus de la Tunisie méridionale.

16) Tribu arabe, mélangée aux Khroumir, fixée sur le cours de la haute Mĕdjĕrda.

17) On pourrait presque traduire « au détail ». La ثمية *ṭĕmmyya* (pour ثمنية *ṭĕmnyya*) est un petit pot qui contient le 1/8 du *ṣā'* tunisien, lequel vaut 2 l. 7.

18) Chef d'insurgés qui tint quelque temps la campagne dans la région du Kef et de Teboursouq. Il appartenait aux Zlās et se fit tuer à Sfax à la tête des contingents de cette tribu.

19) Autre chef des Zlās qui fut tué au combat d'El Khĕry̅ry̅b, au sud de Zăghouān (زغوان).

20) Allusion à un secours attendu du gouvernement turc.

21) Le traité de Qṣār ĕs Sā'y̅d (Ksar-Saïd) a été signé le 12 mai 1881 et cette pièce a été achevée le 30. Si l'on tient compte des distances, on voit que l'auteur n'a pas mis longtemps à la composer.





autant qu'il y a sur la terre de vivants et de morts; autant de fois que le Créateur a donné la forme à une créature.

86. Enfin, j'adresse mon salut à ceux qui écoutent mes paroles, en nombre aussi considérable que celui des grains de blé, que celui des tiges de chaume!







زجل المصرية
لمحمد الشريف ولد ارزين





كان الشعور بالتضامن بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها شيئا شائعا بين الخاصة والعامة، ومن المعروف أن ثمة آيات كريمة وأحاديث شريفة في الحض على التعاضد والتراحم بين المسلمين ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: «إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم»، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر.

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة لهذا التضامن أذكر منها بمناسبة هذا الزجل المشاعر التي عبر عنها بعض شعراء مصر عند احتلال البرتغاليين مدينة سبتة وعند حصار الإسبان غرناطة[1].

وتعتبر هذه القصيدة التي نضمُّها إلى محورنا مثالا لهذا التضامن عبر عنه هذا الزجال ابن علي الشريف ولد ارزين بمناسبة الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م؛ وهي تعتبر أيضا وثيقة تاريخية تسجل مساهمة المغاربة في مقاومة تلك الحملة التي عاصرها هذا الزجال إذ أنه ولد سنة 1154هـ (1742م) وتوفي سنة 1237هـ (1822م) وهو فيلالي الأصل، عاش في مدينة فاس ومات بها.

ووصفه بعضهم بأنه «أعظم شعراء فاس في القرن الثامن عشر»[2] وقد تحدث عنه بخوشه وشريكه في الأنطولوجية[3]، وعرف به الدكتور عباس الجراري[4] وترجم له الأستاذ محمد الفاسي[5] وذكر أنه أحصى له نحو

1ـ مقدمة تحقيقنا ديوان ابن فركون: 91 ومقالة حسين اليعقوبي في مجلة دراسات أندلسية ع. 6، ص 49 ومن بعدها.
2ـ القصيدة: 621
3ـ Anthologie d'auteurs arabes p
4ـ القصيدة: 620ـ 625.
5ـ معلمة الملحون ج،2 ق 2: 54ـ 61.





السبعين قصيدة وقال إن عنده منها نحو الستين. وقد سرد أسماء جلها وذكر حربات معظمها وختم الترجمة بقوله : «ومن قصائده النادرة قصيدة المصرية، وهي عبارة عن وثيقة تاريخية فريدة، ذكر فيها أن جماعة كبيرة من المجاهدين المغاربة قصدوا القاهرة ليساهموا في جهاد المسلمين ضد جيش نابوليون بونابرت، ولم يتعرض لهذا الحادث مؤرخ لا في المغرب ولا في المشرق»[1].

وقد يكون هذا القول صحيحا بالنسبة للمؤرخين المغاربة أما المؤرخون في المشرق فقد تحدثوا عن مغاربة قادوا المجاهدين أو شاركوا في الجهاد ضد الفرنسيين في مصر، ومن هؤلاء المؤرخين المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي والمؤرخ اليمني لطف الله بن أحمد جحاف وهما معاصران للحملة، فقد تحدثا عن الشيخ المغربي محمد الجيلالي الهاشمي الذي كان مجاورا بمكة ولما علم بدخول الفرنسيين إلى مصر دعا الناس إلى الجهاد فتطوع عدد كبير من أهل الحجاز والمغاربة وغيرهم وجهز منهم جيشا وقادهم ونزل بهم في صعيد مصر وجرت بينهم وبين الفرنسيين معارك استشهد فيها المجاهد الجيلالي المغربي المذكور[2].

وتحدث الجبرتي أيضا عن مغربي آخر كان في محافظة البحيرة ودعا إلى جهاد الفرنسيين ثم زحف بأتباعه إلى القاهرة فأقض مضاجع الفرنسيين[3]، وأما المغاربة الذين كانوا في الغورية وأشار إليهم زجالنا

1ـ نفسه ص 61 و ج، 3 ص 255.
2ـ عجائب الآثار، في التراجم والأخبار ج. 3 ص66 وما بعدها (أحدث شعبان 1213هـ) ونصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر (ط. القاهرة 1975) ومجلة العربي ع. 250 ص 35 وما بعدها.
3ـ المصدر أعلاه.





فقد تحدث عن دورهم ودور الذين كانوا في رواق المغاربة الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن في بحثه «دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث»[1]؛ وتجدر الإشارة إلى أن الجالية المغربية في القاهرة كانت يومئذ كبيرة وقوية وظهر فيها تجار كبار كآل الشرايبي الذين كانت لهم مكانة كبيرة في المجتمع القاهري[2].

ونرجع بعد هذا إلى زجالنا فنجده يتحدث في القسم الأول عن وجوب الجهاد على المسلمين وفوز المجاهدين في مصر كما فاز الصحابة المجاهدون في غزوة خيبر ويتحدث في القسم الثاني عن فتح مصر سنة عشرين للهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص ثم يشير إلى ما وجده من عادة إلقاء بنت بكر في النيل بعد تجهيزها كعروس وذلك في تاريخ محدّد فمنعهم منها فقلت مياه النيل وتوقفت عن الجريان فكتب عمرو إلى الخليفة عمر يخبره فبعث إليه ببطاقة ليلقيها في النيل وكان فيها: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» ففاض النيل بعد إلقائها[3]. ويعبر الزجال في أول القسم الثالث عن إعجابه بمصر التي لا مثيل لها ولا يستثنى إلا مكة والمدينة وبيت المقدس ويذكر المحمل الشهير ويقول إن مصر أم المشارق والمغارب ويشير إلى عمرانها وورود ذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[4]. ثم ينتقل إلى ذكر الحملة البحرية

---

1. المجلة التاريخية المغاربية ع. 12.
2. تاريخ العلاقات المصرية المغربية (يونان ومزين) ص 182 وما بعدها.
3. حسن المحاضرة 2 : 186.
4. عقد السيوطي في حسن المحاضرة فصلين أحدهما لذكر مصر في القران والثاني لذكر مصر في الحديث.





الفرنسية التي قادها بونابرت وكيف دخل مصر وزعم أنه حصل على موافقة السلطان العثماني[1] فصدقه الناس أول الأمر وبسط نفوذه في البلاد ويقول الزجال في القسم الرابع إن المساجد عطلت وزيارة سيدنا الحسين أبطلت وانتشر خبر أفعال الفرنسيس في كل مكان فبكى المسلمون على مصر بالدم لا بالدمع وهبَّ أهل المغرب لنجدتها وكذلك الأتراك، وأهل الشام، وما أكثر الذين شاركوا في الجهاد من أوطان المغرب بأسلحتهم المتنوعة، وكان للمغاربة الأبطال الذين خرجوا من الغورية الدور الأكبر في إنهاء الوجود الفرنسي بمصر، ويشير في القسم الخامس إلى أن البلاد بعد ذلك رجعت كما كانت يقصدها التجار والحجاج وقد ختم الزجال قصيدته بالصلاة على رسول الله وآله وصحبه ثم بالرمّز إلى اسمه بحروف الجمل مثلما فعل في قصائد أخرى : ويرجع الفضل إلى الأستاذ الفاسي في العثور على هذه القصيدة ونشرها أولا في سنة 1974 بمجلة دعوة الحق[2] وذلك بعد تقديم وتحليل ثم أعاد نشرها في الجزء الثالث من معلمة الملحون[3]، أما الدكتور عباس الجراري فقد تحدث بتفصيل عن هذا الشاعر ولاحظ خمس ظواهر في شعره، ونقتبس منها قوله : «الأولى أنه ـ على ما نعلم ـ أول من نظم زجلا سياسيا على حدّ ما تثبت قصيدته المصرية التي يكاد يجمع كبار الأشياخ أنه قالها في حملة نابليون على مصر، وللأسف أنا لم أعثر على أثر لهذه القصيدة التي لا شك تكشف عن تجاوب المغاربة مع إخوانهم المصريين في هذه النكبة التي حلت بهم»[4] ونسوق بعد هذا نص القصيدة مع شرحنا لبعض ألفاظها :

1ـ مجلة العربي ع. 250 ص 36.
2ـ مجلة دعوة الحق (مارس 1974).
3ـ معلمة الملحون ج.،3 : 256 ـ 258.
4ـ القصيدة : 622.





سبحان من فرض علينا الجهاد فرض واجبْ   وخير كل موت فالجهاد وكل خير يغنام

فـــالـــمبــدا وفـــا لاخــرْ   بَالْجِهَاد يتفوق الاسلامْ على النَّصَارَا

فازوا اهل الجهاد في مصر وهْوَانْ كل صَاعَبْ   فغْزْوة خَيْبَرْ فازوا ناس الجهادْ الْكرَام

وخـــلـــق مـــومـــن وكـــافـــرْ   كُلْهُم من آدم انْشَاوا بالإشَارَا

وَفْكُلْ أرض يبْعث فيها ما تمّا من المواهَبْ   وفْكل أرض الحكيم فيها دايم حكيم علام

واحِـد ســامـــع وبـــاصـــرْ   ما خفَاه الظَّاهَرْ واللِّي نْهُو تْوارا[1]

بْار المشارقْ جانا حَتَّى للمْغَارَبْ   بْشار الاسْلام بمَصَرْ ولاّت لِلاسْلام[2]

لِـــنَـــا ولِـــلَـكْ يَـــا مَـــصـــرْ   واَجَبْ البشار لاَ كِيفها بْشارا[3]

فمدينة الخلافة ظاهر بين لصحاب صاحَبْ   بعد ان مضات عشرين من الهجره سْنين وعْوام

بـــهـــا حـــفّـــت عـــســاكْـــرْ   بأمْر ابن الخطَّاب أميرْ الأُمَارَا

وفتحها على يد ابن العاص أهل المناقَبْ   به البلاد سعدت وصبح فيها مويد همْام

أُو كـــان فـــي اقـــدم عـــاصـــرْ   كـل عام يسيرو معْه بلا خْياراً[4]

يرْميو فيه بكره يحمل بها على المذاهَبْ   رد للخليفه لخبار منين جاه لَكْلام[5]

1ـ بشار : بشارة، ولات : رجعت.
2ـ لا كيفها : لا مثلها أي لا تعد لها بشارة.
3ـ واللي نهو : والذي هو، توارا : توارى أي خفي.
4ـ بلا خيارا : أي بالاضطرار لا بالاختيار.
5ـ منين جاه : أي لمّا جاءه والمذاهب : الجداول والفروع.



وبْقَــى إلّــي غُــدو حايَـرْ	كـاتَب لْعُمر وخَبْرو بالْجهارا
قّبطْ لَكتاب عُمر فيدّو وبحق واجَبْ	للنِّيل سيَّفْطْ كتاب جْواب كلاهُو فيه وسْلاَمْ (1)
الاّ انـت عـلى الخَاطَـرْ	لـلاّه قلت تحمل لك رد لا تُجارا
والاّ انت باذن مولاكْ احمَل علْى المذاهَبْ	النّيل فاضْ فيضَه فاتْ حْدُو وشَق الأوهامْ (2)
ورْوَى سْـواحَـلْ يـاسـرْ	بالاحكام امَنْ وظْهرت النضارا
ازيانت لَبلادْ وشيّد فَتْرابها مضارَبْ	وبْنَى من المساجد فيها واخْيارْها لقْدام (3)
لهـا عـلـوم تـتـكاثَـرْ	بـالاسباط ردمْها ورَدّها سيَّارا (4)
بْشار المشارقْ جانا حتَّى للمغْارَبْ	بْشار الاسلام بمَصَرْ ولاّت لِلاسْلام
لِـنَـا ولِـلَـكْ يَـا مَـصَـرْ	واَجَبْ البشارَ لاَ كيفها بْشارا
ما ريتْ ما يْشَابَهْ مَصر في ساير المغارَبْ	إلا أرض مكه والمدينة وقُدْس الشَّامْ
صـالـوا بـمَـحْـمَـل الـظّـاهَـرْ	مَحْمَل الكَعْبَه له الحَجْ والزِّيارا (5)
مصر أم المشارقْ مصر أم المغـاربْ	فيها مَن لَمْذاهب باشْ يقُومُو مدُنْ وخيامْ
فـي كْـتـابْ ربْـنـا الـقـاهَـرْ	جاتْ مصر مَذكورَ جاتْ مَخْتَاراَ (6)
وكْذاكْ الكريمْ حجيْها مَن لا سواهْ حَاجَبْ	عاد الغزو فيهم القادَم كبارها والقْيام (7)
قـامـو ابْـطـال الـغـضـافَـرْ	حاضْرين المَلا وحياتْهُم خسَاراَ (8)

---

1. قبط : قبض، سيفط : أرسل.
2. شق الأوهام : جاوز الوهم وفات الحد.
3. يشير إلى جامع عمرو بن العاص الذي ما يزال قائما.
4. يشير إلى الخليج المعروف بخليج عمرو وردمه.
5. يشير إلى محمل الحجج المنسوب تنظيمه إلى الملك الظاهر بيبرس والذي كان يخرج من مصر في كل موسم حج.
6. ذكرت مصر في القرآن الكريم خمس مرات.
7. يشير إلى الحديث : «مصر كنانة الله من رماها بسهم أصيبت مقاتله».
8. الغضافر : جمع غضنفر وهو الأسد.

جاها فرانْسيسْ في البحر بسفُن والمَرْاكَبْ	وقال جبتْ من عند الفذ كتب يا فهام[1]
تـاقُـو بسيـرَة الـكـافَـرْ	والبـلاد مـعَـهُـم فيـهـا دارْ دارا
حازُ البلاد وصْبح جَمْهُورُهم فيها غالبْ	حَصَّن سْوارْها وبْنَى فالقلْعة بساط لَحكامْ
بَـطّـلـوا مسَـاجـدْ لاجَـرْ	بْنَى عَلَى باب الحُسَيْن بطَلْ الزيّارا
اخْبَرْهَا مَنْ طُول ومَنْ عرض فالمناكَبْ	وبكات الاسلام عليها بكى القلوب بَالدَّمْ
والـغَـرْب لِـه جَـا آمَـرْ	وناضت النفْس فَهْل الايمان للاغارا[2]
بْشار المشارقْ جانا حَتَّى للمغْارَبْ	بْشار الاِسْلام بمَصَرْ ولاّتْ لِلاسْلام
لِـنَـا ولِـلَـكْ يَـا مَـصَـرْ	وَاجَبْ البشارَ لاَ كِيفها بْشارا
واطْـيَـان جونْـهـا الْـعَـامَـرْ	ضَاعتْ كُلُها لاَ هْل الْغنى والبشارا
الاتْراك ربّت فيهم رايات شحال من كتايبْ	واتوا للسواحل وطْلَع جزَّارْها من الشّامْ[3]
أخدَ ما كتّابْ فمصر ويجول كل حاسبْ	قطع رْكابْها ما تَدْخُل إلاّ تَحْتْ لَحكْامْ
وأتـى شْـحـال مـن خـاطَـرْ	من اوطان المغرب للحرب والسقَارا
أهل الصوارم المفروغه واقواس النشاشبْ	ورْماحْ للفتك والبترات الا انشقّ لَحْسَامْ
والـبـالات والـخـنـاجـرْ	والزرايم لاهل التلحيق والعْمَارا[4]
اعطوْا الكَشوطْ البيعه وتبرّموا اللّوالَبْ	صبْحوا المَغْربَه فالغُوريه شادِّينْ لَحزَامْ[5]

1. وناضت : ونهضت، وناضت النفس أي ظهرت الحمية.
2. يشير إلى زعم نابليون أنه يحمل فرمان من السلطان العثماني.
3. يقصد أحمد باشا الجزار والي العثماني على الشام.
4. ذكر في هذين البيتين أسماء الأسلحة.
5. الغورية : حي في القاهرة ينسب إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري.



شجعانهم وغناضرْ وقاتْلوا وقتلوا فحَوْمة السقارا[1]
جَرْحوا كشوطْها وتلاقى مطْلوبْها وطالبْ مَغْلوب لِهْ جا غَلاّبْ وعْليه هد الرّسام
الرّماحْ غير تَتْقاطَرْ والسّيوف حفْاتْ مَن رقْاب النّصارا
والّي بالحْياة تبْقّى منهم صار عاطبْ والّي بْقَى اداّهْ النكْليز يسير كيف لَعْلاَمْ[2]
فاكْبالْهَا وقْناطَرْ ما ينْفدَى بَالمالْ ولا بالاغارا
هذي رثية الكُفّار على راي كل راهبْ ومحاتْهم الاسلام كمّا تَمْحى النار لَحطامْ
والا محية زدْاَ آجَرْ أو كسرى فملْوكْ الفرس دارْ دارا[3]
بْشار المشارقْ جانا حتَّى للمغْارَبْ بْشار الاسْلام بمصَرْ ولاّت لِلاسْلام
لِنَا ولِلَكْ يَا مَصَرْ واَجَبْ البشارَ لاَ كِيفها بْشارا
دابَا تُجّارْها تَتْسَوَّق ويفْرَحْ كل كاسَبْ والبيعْ والشّر ايتْحَرّكْ وتجودْ به الايّامْ[4]
والّي رايْدْ يسافَرْ يدير زاد التّقْوى زاد للزّيارا[5]
دابا نْشاهَد فمصر ثم نشاهد الكواكَبْ ونزور الحسن والحسين اسْباط خير الأنام
دابَا نشاهَد الطّاهَرْ يا سعْد مَن زار القاصي المزارا[6]
عليه الصلاه من اللهْ وعْلى كل صاحَبْ والآلْ والزواج والانصار وسباط سيد الأُمَمْ
لِهمْ سلامْنا عاطَرْ والسلام على ناس الذوق والاشارا
واسمي نبينو للقاري ينبى لكل حاسَبْ اربعين سابقا وثمنْيه مَنْ بعدها والَختامْ
إلا ربعه فالآخَرْ ما وراها غير الرابعه باختصارا[7]

---

1. غناضر : جمع غنضور (غندور) وهو الصنديد، وحومة السقارا أي ساحة المعركة
2. يسير : أسير، كيف : مثل.
3. زاد جرد : يزد جرد. اسم آخر الأكاسرة.
4. الطاهر من أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام.
5. يتألّف من الأرقام التي ذكرها اسم محمد.
6. دابا : الآن.
7. من قوله تعالى (**وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى**)





زجل السلوانية
لمحمد بن الحسن
السلاوي





ـ تعرضت مدينة سلا في تاريخها ـ مثل بعض المدن المغربية والمغاربية الساحلية ـ إلى هجمات بحرية أجنبية ومن أشهرها الهجوم القشتالي الغادر في سنة 658هـ وقد وصفه المؤرخ بن عذارى بتفصيل تحت العنوان التالي : اختصار الخبر عن كائنة مدينة سلا، التي كل قلب عن همها تسلّى ولا سلا[1]. ومن ذلك الهجوم الفرنسي الذي كان في سنة 1178هـ (1765م) وتحدث عنه الغزال في رحلته نتيجة الاجتهاد[2] والناصري في الاستقصا[3]، ثم الهجوم الفرنسي الثاني في سنة 1268هـ (1851م) وهو موضوع هذه القصيدة الزجلية التي تسمى السلوانية[4].

وناظمها هو السيد محمد بن الحسن السلاوي كما سماه الأستاذ محمد الفاسي[5] والحاج أحمد معنينو[6] أو محمد ابن الحاج عبد الغني بلحسن حسبما عند السيد مصطفى بو شعرا[7].

وقد مهد الأستاذ الفاسي لقصيدته بقوله : «صاحب هذه القصيدة غير معروف في أوساط شيوخ الملحون[8]، وترجم له في موضع آخر وقال : «وهو تلميذ القعبوري وكان له إلمام بالطب»[9]. أما الحاج أحمد معنينو فقد نعته بالشاعر الموهوب[10] وقال فيه السيد بوشعرا أنه «أحد أشياخ الملحون السلاويين»[11].

1ـ البيان المغرب ـ قسم الموحدين ـ : 418 ـ 425.
2ـ نتيجة الاجتهاد :
3ـ الاستقصا 7 : 30 ـ 31.
4ـ نسبة إلى سلوان من أسماء مدينة سلا وتسمى القصيدة أيضا بالجهادية وثمة في الملحون قصائد سلوانية أخرى لعل أقدمها القصيدة السلوانية لعبد العزيز المدغري.
5ـ معلمة الملحون 3 : 73.
6ـ مجلة البحث العلمي ع . 35 ص 203.
7ـ في تحقيقه لكتاب الاتحاف الوجيز (الحاشية 13).
8ـ معلمة الملحون 3 : 73.
9ـ نفسه ج 2 ق2 ص 22.
10ـ المصدر أعلاه.





وقد ذكر الزجال اسمه وشهرته ـ كما جرت العادة في آخر قصيدته فقال :

من فْكَر وْصِيفْ ضعيف واسمي فارقايق الأشعار محمد والكنوا الواضحا بن لحسن نسعى لقبول من كون الباصر.

وذكر قبل هذا اسم شيخه القعبوري فقال :

اراوى خذ المجد حفظو والغى اهل الخطا والقوم العميان
ما دركوه ولا يحفظو ولا رووا في خزانة بوعثمان
القعبوري الفصيح لفظو شيخي نبينو هزام الطغيان

ومن الواضح أنه كان من معاصري هذه الحادثة التي تحدثت عنها المصادر العربية والأجنبية وتحدث عنها صاحب الزجل في القسم الأول وأول القسم الثاني ومحصل ما قاله أن العدو ضرب مدينة سلا ورماها بالقنابل نهار الأربعاء (2 صفر 1268) وكان يوما مشؤوما. إذ امتلأت دروب البلد بشظايا القنابل وقد ردت عليه مدافع سلا فكسرت مراكبه فرجع مهزوما لم ينل شيئا رغم عدد مراكبه وكثرة قنابله وذلك بفضل مقاومة المجاهدين وبركة الصالحين، وهذا هو قوله :

إو الله في صباح صبحو في نهار الاربعا كان نهارو شوم
والكور بغيض لاحو وبقى فالدروب مسيب مقسوم
ومدافعنا فرعو لواحو هذي شفايةُ بين جنوس الروم

وقوله :



جانا ومشى مهزوم ليس روّح خصله   من بعد ظل بالكور يشايرْ

واستغيظ بكفرو وزادهم الكافر تغيار

حافت له الاسلام الرجال التياك   غزاو فيه بالطعن الباترْ

هدوه بحرب شديد بعد جانا سقوف النار

ولقاوه هل الايمان بالمدافع والكور   حتى دهاو الكريه الداىرْ

طاح علامو وتشتت الواحو معمى لبصار

عاد في كربة وبقى يروج   من كيد الكافرعليه صار مكوي بمحاور

صار في قهره مغلوب ما بقات صوله للغدار

والصلاح اسيادي اهل الاغار   خصلوا فالكافرين بالسر الظاهر

من قبل تروح الشمس بينو فالكافر عتبار

أما سبب الهجوم الفرنسي فهو أن مركبين لتجار فرنسيين كانا مملوءين قمحا نشبا بساحل سلا فاعتبرهما الناس غنيمة فتوزعوها فيما بينهم ولما لم يحصل أصحاب المركبين على التعويض المطلوب قامت الحكومة الفرنسية بتوجيه حملة بحرية تتألف من عدد من المراكب المجهزة بالمدافع إلى مدينة سلا فقنبلتها طول نهار ثم انسحبت لما نفدت ذخيرتها.

وقد أحدث القصف أضرارا في بعض المباني واستشهد بعض السكان، وتذكر الروايات التاريخية أن مدافع سلا ردت عليها وأحدثت أضرارا في مراكب الحملة. ولعل أبرز ما في هذه القصيدة الزجلية هو أسماء



الصالحين المدفونين بسلا كابن عاشر وابن حسون وسيدي موسى الدكالي وغيرهم، وصاحب القصيدة يرى أنهم حماة المدينة وحجابها وأنه كان لهم دور في الدفاع عنها لا يقل عن دور الأحياء من أهل سلا وقبائل عامر جيران سلا وكبيرهم ابن الحفيان.

هذا باختصار مضمون هذه القصيدة التي نشرها بباريس في سنة 1902م المستعرب سونيك SONNECK مع ترجمتها إلى اللغة الفرنسية وقال إنها فقيرة جدا سواءمن حيث الأفكار أو من حيث اللغة، ولعلّ لموضوع القصيدة أثراً في هذا الحكم، وقد نشر القصيدة أيضا في العدد 35 من مجلة البحث العلمي الحاج أحمد معنينو وعبر عن إعجابه بها ثم نشرها الأستاذ محمد الفاسي في الجزء الثالث من معلمة الملحون وعدها من روائع الملحون وقال إنها من بحر المبيت وأن قياسها 22 وهي تتألف من خمسة أقسام ذات حربة ونواعير؛ وكلام القصيدة واضح ماعدا كلمات قليلة منها : التايك ومعناها الذي له نخوة، والداسر وهو قليل الأدب وأصلها الجاسر، والكور أي القنابل، وخصل بمعنى إغاثة، وشنادق جمع شندق أي صقر وأصلها شوذانق، والأقواط جمع قوط أي شجاع بطل والسراتا أي الخيل، والسيتل ومعناها الأسد وفرع لواحو أي كسروا مراكبه وفيما يلي نص القصيدة مع شرحنا لبعض كلماتها :





يَا مُولَايَ حُرْمْ النّبي وْحُرْمْ اصحَابُ تحمْي لاسْلامْ واهْزَمْ الكَافَرْ[1]

غلّبْنا يَا رَبِّي اعْلِيهْ واهْزَمْ جيشْ الكُفّارْ

جَانا ومْشَى مَهْزُومْ ليس رُوحْ خصلَةَ من بعْدْ ظَلْ بالكُورْ إيشَايَرْ[2]

واستَغّيظْ ابكُفْرْ وزَادْ همّ الكافرْ تغْيَارْ

حَافَتْ لِيهْ لاسْلامْ الرِّجَالْ التّيَاكْ غزَاوْ فيهْ بَالطّعْنْ البَاترْ[3]

هَذُوهْ ابْحَرْبْ اشْدِيدْ بَعْدْ جنَا بشْقُوفْ النّارْ

ولْقَاوَهْ هَلْ لايْمَانْ بَالْمَدْافَعْ والْكُورْ حَتّى دهَاوْ لكْريهْ الدّاسَرْ[4]

طاحْ اعْلامْ وتْشَتّتْ الْوَاحْ مُعمي لبْصَارْ[5]

عَادْ افْكُرْ بَهْ وبْقَا أيرُوجْ منْ كيدْ الكُفْرْ علْيهْ صَارْ مكْو بمْحَاوَرْ[6]

صَارْ في قَهْرَة مغْلُوبْ ما بقَاتْ صُولا للغدّارْ

والصّلاحْ أسْيَادي هَلْ الإغَارَ خَصَلْوا فَالكَافْرينْ بَالسّرْ الظّاهَرْ[7]

منْ قبْلْ اتْرُوحْ الشمْسْ بيَنّو فَالْكَافَرْ عتْبَارْ[8]

ابنْ حَسُّونْ أفَارَسْ لعْنَايا سلْطَانْ اسْلاْ أنْتْ وسْدي بنْعَاشَرْ[9]

حشَى واللّهْ ابْلادْكُمْ لا دخْلُوها كُفّارْ

---

1. حرم : حماية.
2. لس روح خصل : لم يحصل على طائل، يشاير : يرمي.
3. حافت : نزلت وجاءت وهبطت.
4. دهاو : شغلو وفتنوا.
5. طاح : وقع وسقط، علام : علم أي راية.
6. عاد فكر به : صار في كربة وضيق ؛ ومحاور جمع محور وهو قضيب من حديد يحمى في النار حتى يحمر.
7. خصلو فالكافرين : أبلوا في جهادهم بلاء حسنا.
8. عتبار : عقاب.
9. ابن حسون : هو سيدي عبد الله صاحب الضريح الشهير المتوفي سنة 1013هـ وبنعاشر هو سيدي أحمد صاحب الضريح الشهير أيضا المتوفي سنة 764هـ.





اِوَ اللّه في صبَاحْ صَبْحُو   في انْهارْ لارْبْعَا كَانْ نْهارُ شُومْ
والْكُورْ ابغْيظْ أكْثير لاَحُو   وبْقَا فالدّرُوبْ امسْيبّ مَقْسُومْ[1]
ومْدَافعْنـا فرْعُ الْواحُو   هَدي اشْفَايَةُ بين اجْيُوشْ الرُّومْ[2]
فرْحْنَا وسْعدْنا في مْدِينَةْ سلْوَانْ علَى الجْهَادْ ما كَانْ في مَصَرْ
فمْدُونْ الشرْقْ ونَاسْ الجْزَايَرْ تَعْطي لَخْبَارْ
غَارُ صلاّحْ اَسلاَ على مْدينَتهُمْ أسيَادي جمِيعْ نَايَمْ والْحَضَرْ
وظْهَرْ السّرْ أكْثير مَنْهُمْ فالكْبَارْ ولَصْغَارْ
وَرْوَاح اتْشُوفْ السرّْ في امدُونْ رجَالْ سلاَ فالْمجَالَسْ والْمْنَابَرْ
والتّقْوَى والقُوَّى منْ الغْني تعظيم المْقْدَارْ
اللّهْ إيعَزْ آسلاَ وكُلْ منْ يبغِيها سعَدُ اللّهْ بالْفرْحْ أتْبَاشَرْ
ويكَرْمُ بالجنّة وطْيبهَا في شْريبْ الكُوثَارْ
اَبنْ حسُّونْ أفارسْ لَعْنايا سلْطانْ اسلا أنْتْ وسْدي بنْعاشَرْ
حشى واللّهْ ابلادكُمْ لا دَخْلُوها كُفّارْ
صُلاَّحْ سْلاَ لاَسْيَادْ نْمَجَدْ   هُمَا أحجَابنَا ويقْهرُ بالطُّغْيَانْ
مُولا القَمْري سيدي امْحَمّدْ   ونْقُولْ لَمفَضّلْ أمير الشُّجْعَانْ[3]
وَالطّالَبْ فيهْ اكْثيّر نْمَجَدْ   وذَا امْجَدْتُكُمْ أسْيَادي ضُمّانْ[4]

1ـ لاحو : رموا، امسيب : موجود بكثرة.
2ـ فرع لواحوا : كسروا مراكبه، شفاية : شماتة.
3ـ مول الگمري : لقب الولي الصالح سيدي محمد المفضل الشرقاوي دفين مدينة سلا والگمري : الفرس الأبيض.
4ـ الطالب : هو الشيخ الصالح سيدي أحمد الطالب، من صلحاء مدينة سلا؛ وضمّان : حماة.



هَدُو فَقْصُورْ الحُورْ والْكْرَايَمْ سَعْدَاتْ اللِّي يْكُونْ فالدّينْ الطّاهَرْ
ابْحَالْ اسلاَ وَقْبِيلَةْ الرّجَالْ اشْنَادَقْ العْقَارْ[1]
وبْنَ الْحفْيَانْ امْعَ اقْبِيلْةُ واخُوتُوا هَادُوا اَجْوَادْ لَقْبَايَلْ عامَرْ[2]
هَادُ عَامَرْ نَاس لَمْشَالْيَا يَتْمَجَّدُ لاَحْرَارْ[3]
بهُمْ نَفْخُرْ وَنْصُولْ كِيفْ صَالُو وَحضَاوْ اسلاَ بَالسّرَاتَا تَتْشَاخَرْ[4]
مَحْزُومِينْ لَلْجْهَادْ ما يقْعَدُو في كُلّ أنْهَارْ
إوْ اللّهِ أَمْسَلْمِينْ عَزّهُمْ السُّلْطَانْ عْلَى عْدَاهْ دَايْمَا تَتْسَاقَرْ
لاَمَانْ أفْجَرَتّْهُمْ جَمْعُهُمْ صَايَنْ كَايْشْكَارْ
بَالطّاعَة لَسُّلْطَانْ زَادْهُمْ اللّهْ التّنْوِيرْ بين لَعْرَبْ وبْرَابَرْ
بَمْحَبّْتُهم فَاسْلاَ وْلاَ يعْمْلُو حَالْ التّقْصَارْ

اَبَنْ حَسّونْ أفَارَسْ لَعْنَايَا سُلْطَانْ اسلا أنْتْ وسْدي بَنْعَاشَرْ
حَشَى واللّه ابْلاَدْكُمْ لا دَخْلُوها كُفّارْ

امْدِينْتنا بالْفَرْحْ زَادَتْ وَزْهَاتُ بالسّرُور فَرْحَتْ لَلْجْهَادْ
شِيّابْ وشُبّانْ فَاضَتْ بَيْمَانْ بَالْغُوهْ وَصَلاَةُ المُرْشَادْ
وَاهْلَ الْجَنّةْ بالزّينْ لَدّتْ مُحَمّدْ الشّفِيع حبِيبْ الجْوّادْ

---

1. اشناديق : جع شنديق أي صقر وأصله شوذانق.
2. وبن الحفيان : كان رئيس قبيلة عامر المجاورة لسلا.
3. ناس لمشاليا : أهل الإقدام والقتال.
4. السراتا : الخيل السريعة، جمع سرتي وتتشاخر : تتدافع.





سيدي مِيمُونْ الكُوش لَمْخَنْتَرْ قلاَعْ الضِّيمْ زَادْ للرَّفْعَ حَاضَرْ[1]

وَبْقَا يَضْرَبْ بالْكُورْ فالْعْدَا وَيْسَطَرْ تَسْطَارْ

والْجيلاَني مَتْخَلَّفْ الحَمَايَلْ سِيدي جَلُّول ليس غْمَرْ يَسْتَاجَرْ

هَذاك انْهَارْ الصَّالْحِين حَضْرُو مَنْ كُلْ اَمْزَارْ

والدُّكَالي ورْجَالْ السَّوَاحَلْ هَذو بَجْمِيعْ يَاك خَصْلْ فَالْكَافَرْ[2]

وسْيَادي صِيَارَه ابْحَقْهُمْ انْهَزْمْ الدّسَّارْ[3]

سيدي بَالْعَبَّاسْ لَهْمَامْ عَزَّ الْمَسْكِينْ واللِّي يْكُونْ فَالْبْحُورْ امْسَافَرْ[4]

والمَظْلُومْ التَّايَكْ ما خْفَاشي سِيتَلْ لَقْفَارْ[5]

سيدي لَحْسَنْ الْعَيْدي شَنْدَقْ الْغُزَّارْ اللِّي ماخْفَاكْ شي فَالظّوَاهَرْ[6]

بُرْهَانُ وكَّح الْبَحْرْ يومْ جَاتْ الزِّيَّارْ

عْلَى بَنْ يُوبْ ولاَلّة الشَّهْبا والتُّرْكي كَامْلين خصْلُ فالْفَاجَرْ[7]

سِيدْ السَّبْعي ولاَلّة ارْقِيَّة يَفْدِيوْ التَّارْ

سيدي يَدَّرْ واللِّي قْرِيبْ جَارُ بالْبَرْكَاتْ لَفْضِيلْ غْنَّامْ الزّيَرَ

مُولاَيْ أحْمَدْ حَجِّي مْعَهْ عَبْدْ اللَّهْ الْجَزَّارْ[8]

---

1. سيدي ميمون : اسم أحد المجاهدين الذين حضروا ذلك اليوم.
2. الدكالي : هو سيدي موسى صاحب الضريح المعروف وخصل فالكافر : أي جاهدوا فيه.
3. وسيادي صبارة : هم الصلحاء المدفونون في مقبرة صبارة خارج باب فاس.
4. سيدي بلعباس : صالح يوجد قبره خارج باب فاس كذلك،
5. سيدي عبد الله المظلوم يوجد قبره كذلك خارج باب فاس وسيتل لقفار : أسد البراري.
6. سيدي لحسن العيدي : من صلحاء سلا؛ ووكح البحر : يبسه وجعل ماءه يجف.
7. الجميع من أهل الصلاح المدفونين في سلا.
8. سيدي أحمد حجّي له ضريح مشهور في سلا وعبد الله الجزار ولده مدفون في نفس الضريح.





ابَنْ حَسُّونْ أفَارَسْ لَعْنايا سُلْطَانْ اسْلا أنْت وسْدي بَنْعاشَرْ
حَشى واللّهْ ابْلادْكُمْ لا دَخْلُوها كُفّارْ

أروِي خُذْ الْمَجْدْ حَفْظُو وَالْغي الحطا والْقُومْ العمْيُانْ
مَا دركْوهْ وَلاَ يحَفْظُو وَلا رواوْ فَالْخزَانَة بُوعْتْمَان
الْقَعْبُوري[1] الفْصِيح لَفْظُو شيخي انبَيْنو هزَّامْ الطُّغْيَان

مَنْ بَحْرْ صدتْ جواهَرْ لمعآني نلْتْ مَنْ رضَاهْ طيبْ لَغْنا ودْخَايَرْ
وعمَرْ سُوقي بسَلْوع نافْذ مَا بين التُّجَّارْ
وَقطَفْتْ مَنْ الديبَاجْ نظْمْ الحلَّة في جيدهَا عقُودْ امَنْ أُجوَاهَرْ
حَنْطَتْ فقْمَاشْ وتَاجْ حاملة امْرَصَّعْ بَدْرَار
عَذْرَة تَشْتْمَلْ بَنْوارْها وتَسْلَبْ مَنّ شَافْ أجْمَالْهَا مَنْ الْحُسْنْ الْبَاهَرْ
حَضْرَتْ فأتْيَابْ الْعَز فَانْهَارْ الْميزْ والْعْقَارْ
بينْ الْيُوتْ الْحَرْبْ الشجَاعْ القوْاطْ[2] هَلْ الثُّغْرْ السَّعيدْ بَنْ عزْرُ يَاسَرْ
نُخْبَة لاسْبَاطْ مْعَ لَفْضَالْ أهْلَ لَصْحَابُ وْلانْصَارْ
شَاهَدْتْ النَّاسْ اسْرَارْهُمْ مَنْ حَضْرُوا فالْغَزْوْ وْضيحْ لاعْيَانْ تْنَاظَرْ
كُلْ ابْطَلْ ذاك الديْغْيرْ[3] عْلَى لَعْداَ في تَشْمَارْ[4]

1. القعبوري : كان من شعراء الملحون في مدينة سلا، وقد ترجم الاستاذ الفاسي لثلاثة من شعراء الملحون هم القعبوري السلوي هذا والقعبوري الفاسي والقعبوري الآسفي. انظر معلمة الملحون 2 ق 2 ص443 ـ 543.
2. القواط : جمع قوط وهو الحازم.
3. الديغر : لعلهامحرفة عن الثغر.
4. تشمار : تشمير أي استعداد.





وعطَى مَنْ لِهْ النَّصر لَلإسلاَمْ ووانهَزَمْ جَنْدْ اللَّعين وَرْغَمْ علَى النَّاكَرْ
ومشَا مدلُول احقير صَادفُوهْ هْمُومْ وتْكدَار

نَالْث عزْ وتْعَظِيمْ اَهْلَ الفْضَلْ آسيَادي المْجَاهْدِين مَنْ فَضلَ النَّصَرْ
انْشَرْحَتْ اقلُوبْ هَلْ لايمَانْ وَعْلاَمْ الدين انْمَارْ[1]

وزْهَرَتْ اقْطَارْ الغَارَبْ حَازَتْ رجَالْ اسلاَ توْقِير صَحّهَا فَضلْ وآجَرْ
وحَضْرَاتْ إيغرَاتْ اَهْلَ الجُودْ في انْهَايَتْ الاخْتِصَارْ

وَسْلاَمْ الحُلَّة لَلْشْرَافْ ودهَاتْ الْعَلْمْ اَهْلَ التنَا أسْيَادي لَقْمَاهر[2]
وَاشْيَاخْ المُوهُوبْ سلْيس مَا فَاحَتْ كُلْ أزْهَار

ويْعَمّ سلامي كُلْ مَنْ سمعْ هَدْ المْوعضَة اَشْذات بالطِّيبْ العَاطَرْ
من فكَرْ وصيف اضْعيفْ واسْمي فَارْقَايَقْ الاَشْعَار

مُحَمَّدْ والْكنْوَا الوَاضْحَة بن لاَحْسَنْ نسعَى لَقبُول من كَوْن البَاصَرْ
نَرْجَى يجعَلْني في حمَا الهَادي سيّدْ لَسْرَار

ابَنْ حَسُّونْ أفَارَس لَعنَايا سلْطَانْ اسلاَ أنت وسْدي بَنْعَاشَرْ
حَشى واللّه ابلادكُمْ لا دَخلُوها كُفّارْ

---

1. انمار لعل المعنى أنار ونحيل إلى قول الشاعر : كأنه علم في راسه نار
2. لقماهر الدهاة العظام، الفطاحل.





BOMBARDEMENT DE SALÉ PAR LES FRANÇAIS *



* أثبتنا هذه الترجمة لارتباطها بالنص العربي وقدم عهدها وندرة وجودها.



Seigneur, rends sacré le Prophète, rends inviolables ses compagnons; soutiens l'Islam et défais l'infidèle ! Donne-nous sur lui la victoire, Ô mon Dieu, et mets en déroute l'armée des mécréants.
Il est venu et s'en est retourné vaincu ; il n'a obtenu aucun avantage, après avoir tout le jour déchiré l'air de ses boulets. Irrité par son incrédulité, l'impie a vu par les soucis accroître son dépit. Il a été durement traité par l'Islam : les hommes déterminés l'ont combattu, lui portant des coups destructeurs et Font anéanti dans une lutte ardente quand il est venu chez nous, monté sur des bateaux à feu.

4. Les sectateurs de la vraie foi l'ont reçu avec des canons et des boulets et ont abasourdi cet exécrable impudent. Son pavillon est tombé (2) et les planches de ses navires se sont éparpillées. Pauvre aveugle! il s'est trouvé dans l'angoisse, tournant de toutes parts, en proie au trouble. Trompé dans son espérance par son incrédulité, il a été brûlé comme par des fers rouges. Il est vaincu dans sa force et il ne reste plus aucune puissance à ce perfide !

6. Les saints personnages, mes seigneurs, empressés à nous secourir, l'ont emporté sur les mécréants par l'évidence de leurs vertus, et, avant que le soleil n'eût disparu, ils avaient montré a 1 infidèle un exemple [de leur pouvoir]. 0 Ben Hasoun, ô chevalier protecteur, prince de Salé, toi et Monseigneur Ben 'Acher, à Dieu ne plaise, je le jure, que les infidèles pénètrent dans votre cité !

8. Eh! oui, par Dieu, ils ont commencé dès le matin, le mercredi, qui est un jour de malheur (3), à lancer en grande fureur leurs boulets qui restèrent dans les rues, gisant à terre, brisés en éclats. Nos canons enfoncèrent les planches [de leurs vais-seaux] et ce fut toute la satisfaction [qui leur fut accordée] aux yeux des nations chrétiennes!

11. Nous nous sommes réjouis, nous avons été heureux, dans la ville





de la consolation (4), de cette guerre sainte sans pareille en Egypte ni dans les villes de l'Orient; les gens d'Alger en rapportent la nouvelle. Tous les saints de Salé ont combattu pour leur cité,-tous mes seigneurs, tant ceux qui dorment [sous la terre] que ceux qui sont présents [en ce monde] ont manifesté le pouvoir attaché à leurs éminentes vertus en faveur des grands et des petits.

13. Venez voir leur protection [s'exercer] sur les villes;

[voyez] les hommes de Salé dans les conseils et dans les chaires des mosquées ! La crainte de Dieu et la force qu'ils reçoivent de ce Maître magnifique ajoutent à leur puissance ! Dieu accroisse la puissance de Salé et donne à qui l'aime la félicité d'apprendre avec joie une heureuse nouvelle ! Qu'il leur accorde généreusement le paradis et leur en adoucisse davantage le séjour en les abreuvant de l'eau du Kouter{5) !

15. Je célèbre les saints hommes seigneurs de Salé (ce sontles voiles qui nous couvrent; ils subjuguent l'iniquité) : Moulây El-Gômry, S'ydy Mehammëd et, je le dis aussi, El-Mofeddel, chef des braves. Je loue encore beaucoup Et-Talebet, si je vous chante, mes seigneurs sont garants [de la véracité de mes éloges].

18. Ils sont dans les palais des houris et les faveurs [qu'ils reçoivent] font la joie de ceux qui pratiquent la religion pure ; tels les gens de Salé et de cette tribu d'hommes qui semblent des faucons déchirant leur proie. Ben El-Djefyen, avec ses contingents et ses frères, ces 'Amer, les plus nobles des tribus, ces 'Amer qui vont porter le défi à l'ennemi; ces guerriers de race méritent d'être glorifiés !

20. Je suis fier d'eux et comme eux je m'élance au combat. Ils rendent Salé victorieuse par leurs coursiers rapides et rugissants; ceints



pour la guerre sainte ils n'arrêtent pas de tout le jour. Eh! oui, par Dieu, ce sont des Musulmans que le Monarque [suprême] a rendus forts contre ses ennemis et qui, le glaive en main, combattent sans cesse. La sécurité marche sur leurs traces ; tous sont nos protecteurs et ont droit à notre reconnaissance. Pour leur obéissance à leur prince. Dieu a augmenté la splendeur de leur éclat parmi les Arabes et les Berbères. Par amour pour Salé, ils ne font pas montre de négligence !

23. Notre ville croît en joie, elle se divertit dans l'allégresse,contente de cette guerre sainte. Vieillards et jeunes gens, tous ont [couru au combat comme un fleuve] débordé, animés d'une foi efficace et appelant les bénédictions du Ciel sur le Prophète au sens droit. Les bienheureux du paradis goûtent le charme de la beauté. Mahomet l'intercesseur est l'ami des guerriers d'illustre origine.

26. Sydy Mymoun El-Kouch, le téméraire, extirpateur de l'injustice, a ajouté à sa grandeur en assistant [à la lutte] ; il lançait des boulets sur l'ennemi et le déchirait en morceaux. El-Djylany revient le dernier dans les charges (6) et Sy Djelloul n'a reculé de sa vie. Ce fut la journée des saints; ils accoururent de tous les sanctuaires. Les guerriers des Dõkk?la et les hommes du S?h?l, tous, sache-le bien, Font emporté sur l'infidèle. Mes seigneurs sont patients; [mais] au nom du respect qui leur est dû, Ies insolents ont été mis en fuite.

29. Sydy Bel'Abbàs, le vaillant, est le soutien du pauvre de celui qui voyage sur les mers et de l'opprimé. [Héros] intrépide il ne s'est pas dissimulé. C'est le. lion des campagnes désertes. Sydy El Ahsen El-'Aydy est le faucon impétueux qui ne te reste pas caché dans les circonstances où il faut se mettre en évidence Par un de ses miracles il creusa la mer jusqu'au fond (7) le jour où sont venus les partisans des fausses doctrines. -Aly Ben Youm, Lalla-Ech-Chahba et Et-Tõrky; tous ont abattu le per-vers. Sydy-Es-Sebty et Lella Rôgeyya se sont





vengés. SydyYdder est un ami proche de son voisin (8). El-Fôdyl enrichit de ses bénédictions celui qui lui rend visite. Moulày Ahm?d Haddjy et avec lui -Abd 'Allah-El-Djezzar [se joignent à eux].

33. 0 conteur, écoute ces éloges et conserve-les dans ta mémoire. Méprise les partisans de l'erreur. Les gens aveuglés ne
les ont pas compris et ne les ont pas retenus : ils ne se sont pas abreuvés aux réserves (9) de Bou'Otm?n El-Ga'boury à la parole éloquente.
Je le donne pour mon maître ; il met en fuite les rebelles à la volonté divine.

36. J'ai péché dans l'océan de son savoir les perles de mes figures de style; j'ai acquis avec son agrément de précieuses richesses et des trésors et mon marché a été fourni de marchandises ayant cours parmi les commerçants.

37. J'ai, de fleurs diaprées, cueilli les ornements d'une tu-nique. Au cou [de cette belle] (10) sont des colliers de pierres fines. Coiffée de riches étoffes, portant un diadème incrusté de perles, c'est une jeune vierge dans le teint de laquelle se ma-rient toutes les fleurs et qui ravit quiconque voit la perfection de son éclatante beauté. Elle se montre dans l'appareil de la puissance le jour de la revue des guerriers, le jour des habitsde fête et de parade!

39. Parmi les lions de la guerre et les vaillantes troupes de défenseurs de ce boulevard [de l'Islam] sont Es-Sa'yd Ben'Azeraet la nombreuse élite des tribus, jointe aux hommes généreux qui furent les compagnons du Prophète et ses auxiliaires. Chacun de ceux qui ont assisté à l'action s'est rendu compte des effets de leurs vertus et dès le matin (11) les yeux voyaient chaque héros, celui-ci à côté de celui-là, fondant sur l'ennemi, les vêtements relevés pour la lutte.



41. Celui qui dispose de la victoire l'a donnée à l'Islam. L'armée d du maudit (12) a été défaite et Dieu a humilié l'incrédule qui est reparti abaissé et méprisé, n'ayant rencontré que soucis et chagrins. Les hommes de mérite, mes seigneurs, les combattants de la guerre sacrée, ont conquis par la libéralité du Dieu secourable la puissance et la grandeur. Les cœurs des sectateurs de la vraie foi se sont dilatés et le drapeau a été victorieux (13).

43. Les contrées du Couchant ont refleuri; les hommes de Salé ont joui d'une considération que confirment la munificence et les récompenses [divines] et j'ai rapporté aussi succinctement que possible le concours empressé de ces généreux personnages.

44. Un salut paré d'ornements soit adressé aux nobles [descendants du Prophète], aux savants à l'esprit pénétrant qui sont dignes de nos éloges, nos seigneurs, comparables aux astres(14)
et aux cheykh qui cultivent cette douce poésie, don du Ciel,a ussi longtemps que toutes les fleurs exhaleront leurs senteurs.

45. Mon salut s'étend également à tous ceux qui écoutent ce récit merveilleux, tissé sur une chaîne de parfums embaumés,[émané] de la pensée d'un faible esclave. Mon nom qui se trouve dans de délicates poésies, est Mohammed et mon surnom manifeste est Ben El-Ahsen. Je m'efforce de mériter l'agrément de Celui qui, par son essence même, voit tout, et j'espère qu'il me mettra sous la protection du guide qui est le prince des hommes bienveillants!





1) Sur ce bombardement, qui eut lieu le 26 octobre 1851, voy. Léon Godard, Description et histoire du Maroc, Paris, 1860, 2s partie, pp. 620-624.
Cette pièce est d'un Salétin nommé Mohamm?d Ben El Ahsen • elle débute. d'une façon très engageante et permet d'espérer le récit intéressant de cettedémonstration navale; mais elle tourne bientôt à la litanie et n'est plus qu'une sorte d'ordre du jour où sont cités les marabouts et maraboutes, enterrés à Salé et protecteurs de la ville, qui se sont distingués en prenant une part active à la lutte pour repousser cette attaque, terminée, suivant l'habitude, par la défaite et la honte de l'assaillant.
Cette œuvre est très pauvre et comme idées et comme Langue. Le vocabulaire de Mohammed Ben El Ahs?n est d'une indigence surprenante et il lui faut sa vanité de rimeur pour parler avec autant de complaisance d'une pareille médio-crité. C'est d'ailleurs le jugement que l'on porte en dernière analyse sur la généralité de ces productions de l'Extrême Maghreb, presque toujours, même quand elles chantent le vin et l'amour, dépourvues de poésie et de grâce et inspirées par le mysticisme et le fanatisme seuls à des auteurs, aux mains mal- habiles desquels la langue arabe est un instrument d'un maniement trop délicat.
2) La chute d'un drapeau ou la rupture de sa hampe ont toujours été considérées par les Musulmans comme un présage funeste. Voy. à ce sujet dans Daumas, La vie arabe et la société musulmane, Paris, 1869, p. 26, une anecdote relative à Khaled Ben Yëzyd Ben Mo'eouya.
3) Ben El Ahsen a placé le bombardement un mercredi, sans doute pour corser son récit; il a eu lieu en réalité un dimanche.
4) Jeu de mots sur Q^ s? louan, n. d'act. du verbe ^o s? l ?, f.o se consoler, être consolé, réconforté (pop. J^ f. i), hémogramme et homophone du nom arabisé de Sala [Colonia}.
5) Fleuve du paradis dont l'eau est plus blanche que le lait et plus douce que le miel (Aine, Le Paradis de Mahomet, op. cit. p. 52).
6) Le texte est fautif, sans doute par suite d'une erreur de chanteur ou de copiste : hamayl n'est pas le pluriel de h?mla; il faut lire , hamaly.
7) Pour engloutir les vaisseaux français.
8) C'est-à-dire un bienfaiteur toujours disposé à obliger le dévot qui fréquente assidûment son tombeau et s'est pour ainsi dire fait son client.
9) khezana ne donne pas un sens satisfaisant; il faut corriger le texte en khezyna, réserve d'eau, citerne— le de la poésie classique eau conservée





dans des puits. Dozy, Suppl. aux dict. ar.].

10) Les poètes marocains comparent volontiers leurs compositions à une jeune femme dont la beauté est encore rehaussée par les ornements et la parure (voy. LIX, v. 83).

11) Corrigez le texte; au lieu de lisez sabb?h.

12) Le démon, Satan.

13) Dans le texte, au lieu de lisez énsar, XI- forme pop. de n?s?r.

14) Texte : au lieu de , lisez , l^l ?qmah?r est le pluriel ? qm?r (sing. q?m?r, lune), auquel l'auteur a ajouté un ^ h?, lettre très douce qui, agissant comme un accent circonflexe, n'altère que fort peu la pro-nonciation et lui fournit ce pendant la rime en ?r dont il a besoin C'est un mot formé comme.







زجل «التطوانية» للحاج إدريس السناني







كان هجوم الإسبان على تطوان واستيلاؤهم عليها سنة 1276هـ (1860م) من أبرز الأحداث في تاريخ المغرب الحديث وقد جاء هذا الهجوم عقب انتقاض الصلح الجاري بين المغرب وإسبانيا بسبب حادث على حدود سبتة تذرع به الإسبان الذين كانوا كغيرهم من الأوروبيين يتشوفون إلى بسط نفوذهم على المغرب فوجدوها فرصة لإعلان الحرب والهجوم على تطوان وقد دافع المغاربة ما وسعهم الدفاع ولكنهم غلبوا على أمرهم لأسباب ذكرها المؤرخون ومنهم مؤلف الاستقصا الذي روى بعض أخبار الحرب عمن حضرها وانتقد الطريقة التقليدية في القتال التي كان المجاهدون يتبعونها وقال في آخر كلامه عليها «ووقعة تطاوين هذه هي التي أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب واستطال النصارى بها وانكسر المسلمون انكسارا لم يعهد لهم مثله[1]» وقد انسحب الإسبان من تطوان بعد أن مكثوا فيها سنتين وثلاثة أشهر ونصفا ولم يخرجوا من البلد إلا بعد حصولهم على مبلغ من المال.

وقد كان لحرب تطوان أو حرب إفريقيا كما سماها الإسبان صدى في الأدبيات المغربية والإسبانية[2] ومن أشهر ما قيل فيها من الشعر المعرب قصيدة الأديب السيد المفضل أفيلال التي مطلعها :

يا دهر قل لي على مه كسرت جمع السلامه[3]

وقد نشر الأستاذ محمد ابن تاويت في مجلة تطوان جملة من القصائد تصف ما حل بتطوان وأهلها خلال الحرب المذكورة[4] وكان لبعض

---

1. الاستقصا 8 : 116 (ط. 2001).
2. انظر مقالة حرب تطوان في الأدب الإسباني للسيد محمد الخطيب مجلة المناهل. ع. 13 من ص 186 إلى ص 206.
3. انظرها في الاستقصا 7 : 108 - 110.
4. مجلة تطوان ع ا ت ص 8 إلى ص 30.





شعراء الملحون قصائد تسمى بالتطوانيات لعل أشهرها قصيدة الشاعر الزجال المشهور الحاج إدريس الحنش السناني من مدينة فاس وقد توفي بها سنة 1910م له ديوانان أحدهما في الشعر الفصيح سماه الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح والآخر في الملحون الذي يعد من أكبر وأشهر رجاله[1] وقصيدته التطوانية نظمها لتذكير المغاربة بما وقع لتطوان وأهلها ودعوتهم إلى أن يأخذوا حذرهم ويستعدوا لعدوهم الذي أصبح يطمع في الاستيلاء على أرضهم، والقصيدة من بحر المبيت قياس 8 ب وهي تشتمل على سبعة أقسام[2] وأولها في الافتتاح باسم الله والصلاة والسلام على رسوله وآله الذين جاهدوا في الله حق جهاده والدعاء إلى الله أن ينصر أعلام الدين ويكتب الكرة للمسلمين، وفي القسم الثاني نداء إلى الساهين والغافلين أن يستيقظوا ويهبوا إلى جهاد العدو الجائر الذي دخل تطوان واستباح أحوازها ذات المُتَنَّزهات كمثل كيتان وهو يتوجع لما أصاب المدينة ويسلم بأنه أمر مقدر ويسأل الله أن يكشف الغمة ويبدد شمل المعتدين ويهيئ أسباب الانتقام منهم والغلبة عليهم حتى تعود للمغرب صولته، ويستغرب الشاعر في القسم الثالث من أن العدو كان يعد العدة بينما المغاربة غافلون عن أمره، وهو يبكي في القسم الرابع غربة الإسلام ويقول أن ما حدث من خذلان سببه الإقبال على جمع المال والانصراف إلى الزراعة والتجارة ونسيان أمر الجهاد وقد أشار إلى حديث «ما دخلت السكة دار قوم إلا ذلوا» والحديث الذي يرويه ابن عمر وهو «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر

---

1. انظر ترجمة إدريس السناني في الأعلام لابن ابراهيم 3 : 42 وإتحاف المطالع لابن سودة في موسوعة أعلام المغرب 8 : 2826 ومعلمة المغرب الملحون لمحمد الفاسي ج2 ق2 : 173 ـ 176 ومقالة لزمامة في مجلة البحث العلمي، ومعلمة 11 ص 3621.

2. نقلناها عن كتاب مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 1 من ص 369 إلى ص 377، وقد استشهد الدكتور عباس الجراري بأبيات منها في كتابه القصيدة : 357 ـ 359.





ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» وقد أحال في هذا الموضوع على حلية الأولياء لأبي نعيم وبعد هذا سأل الله أن يصلح حال المسلمين ويعينهم على القيام بواجب الجهاد مع متطلباته وحسب شرطيه وهما الصبر والتقويم وهنا أيضا يحيل على حديث نبوي آخر رواه أبو ذر وذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم ثم ذكر في القسمين الأخيرين بما حدث في غرناطة وغيرها من المدن التي بات أهلها مسلمين وأصبحوا كفارا وذكر أيضا بمحنة أهل تطوان الذين خرجوا من مدينتهم وبقيت الديار والمساجد خالية ثم ختم قصيدته كما بدأ بالدعاء والتصلية والترضية مع ذكر اسمه وفيما يلي نص القصيدة مع شرحنا لبعض ألفاظها:





نَبْدا باسْم الجَبَّارْ

واسْم الموْلَى ربْحي مْع اتِّجارا

أخْيارْ ما يقول القايَلْ. مَفْتاحْ كُل قول أو تَذْكارُو

وصْلاة اللّه أجْهارْ

والتّسليمْ على بازعْ المنارَا[1]

أَصْلا مشرفا مكمولا . وسَلام ما ينْتهي تكْرارو

وعلَى آل المخْتَارْ

واصحابو من هزمو أهل ادمارا[2]

اضْراغم اضْراغَم من خَرْبو . أبليمانْ للكُفْر آدْيارُو

فَبْواديهَا وأمْصارْ

صَبْروا للبَرْد وغايْت لَحْرارَا

باعوا نفوسْهُم للمُولَى . بنعيم جَنّت الخُلْد وسارُو

كانوا بيزانْ احْرارْ

يصْطادُو على لعداة فلقْطارا[3]

حتَّى وضْحوا دينْ إمامْ . لَنْبيا وخَبْرو بسْرارُ

بفَضَلْهُم يا حَضّار

نسأل مُول المُلْك واقْتدارا

---

1. المنارا = المنارة وهي التي يوضع فوقها السراج،، وبازغ : مشرق ومضيء.
2. أهل ادمارا : أهل الجهل والضلال.
3. فلقطار : في الاقطار.





يَهْدي قلوبْنا ويتبَّتْنا . بليمانْ حتى ننصْارُو

من دارْ نَفديو التَّارْ[1]

ويفدِنا ربٍّ مع النصارا

نَسْعَو النَّصْر والفَتْح من اللّه بالمفَضَّل وانْصارو

نَسْعاو اللّهْ فالنصرْ نِعْم الرَّحمانْ   والفَتْح لا يزولْ والظفر والتَّمكينْ

وجَبْ نتْوجَّهْ ونَحْتـال ببْيـانْ   لقتال الكافْرينْ ونسأل المُعينْ

فلوفَقْ مع لِيمانْ وينْصر السُّلطانْ   نِعْم المَنصورْ سيدْنا سبْط الحَسَنَينْ

اللهْ يجُودْ بالنَّصْر لعَلْام الدِّينْ[2]

يَا ساهي خُذْ آخْبارْ

وافْهَم تَعْبير القولْ ولِشارا

نوصيك يا غْفيل احتالْ[3] . لأمْر الجهادْ والعْدا جارُو

مَهْما سكْنو فديْارْ

تطْوان بلْحيلَت واشطارا

حَازوا حوازْها وامْنَازَهْ . كيتانْها وغلاّتْ اشْجَارُو[4]

ما تَسْتَهل لغْيارْ

ما لحقتها من قَوْمها ايغارا[5]

وَعْد الكَريمْ كيتْصَرَّفْ . ولا بيدينا ما نَخْتارُو

1ـ من دار : هكذا في المطبوع، ولعلها : من درى نفديو التار أي هل سنأخذ ثأرنا = ويفدنا ربي أي ينتقم لنا.

2ـ لعلام الدين : لراية الدين.

3ـ احتال تهيأ واستعد.

4ـ كيتان : من متنزهات تطوان.

5ـ لغيار : الكدر أي ما يغير الخاطر ويكدره، إيغارا : نجدة.





ويلا زاد السّْتَّارْ

ايفَجِ على لسْلام دلكْداراَ[1]

يَرْحَمْ ضُعْفنا ويعْملنا . بالْفراجْ فعَسَى نجْبارُو

وانَغْزِوْ فَلْكُفَّارْ

حَتَّى يَرْضَو الغُلْب بلَجْهارا

ويَبدَّدْ لَكْريمْ شمْلهم . وسْفونْهم لهمْ يُكْسارُو

تَكْمَلْ لِنا لَوْطَارْ

ونلَبْسوا ثوب العَز واتْيَارا[2]

ويْعُود المغَرْبي صايَلْ . في كُل فَجْ عَاني[3] بخْبارُو

كيفْ ايكنْ لعمَالْ يا ناس الديِّوانْ الأمر اشْتَد لا غنْا بالمسَّلْمينْ

الغَرْبْ بلا خفْا لْبس كَسْوَت لَحزانْ وضْياق لجون كيفْ سارو عاد احزيِنْ[4]

وشْهاوِنا دهَونْا علْى الحَتْلانْ واعْدانا بلجْميع لِنا مَحْتالِينْ[5]

اللَّه ايجودْ بالنصرْ لعْلام الديِّنْ

حَارتْ لنا لَفْكار

منْ هاذْ الأمْر عقْولْنا احيْارا

وحْنا غَافلين أولَعْدُو . مَشْغولْ كيحَصَّنْ فجْدارُوا

1ـ ايفج : يفرّج ودلكدار : هذا الكدر.
2ـ اتيارا : النخوة.
3ـ عانى : مفتخرة.
4ـ الغرب: المغرب، وضياق لجون : ضاق الموضع.
5 الحتلان : الاستعداد ودهونا : شغلونا.



بلجهد مْعَ لَكْدارْ

وانْوَاَ يسْقِي لقْلوبنا مرارا

والبَعْض غابْطين فالدُّنيا . وهَلْ لِيمانْ بالغصاَّ حارُو[1]

والبَعْض نْسَي ما صارْ

ما يعْرف بين الرّومْ أهل لْكاراَ[2]

مَهْبُول كُلْ من يَتْغَرْ . أفهذا الزَّمان والكُفَّارْ جارُو

الرُّومي مثل النَّارْ

قَالوا نَاس التَّشبيه والْعِبارا

الى ا طَفْتِها فْساعا . تزيدْ هذا تَحْكَارُو[3]

لِيس بْحالو غَدَّارْ

طامَعْ فمْدون الغَرْب بتْماراَ[4]

لَهلا يوَصْلُو ولا يوفي . ليهْ ظَنْ هُوَ وانْظَارُو[5]

يا رَبْ بَالمُخْتَارْ

واصْحابو أهل لَكْرايَم لَبْراراَ

---

1. غابطين : غارقين ، منشغلين.
2. بين الروم : بأن الروم، أهل لكارا : أصحاب حيلة وغش وخداع.
3. الإشارة إلى مثلِ وهو قول الشاعر :
أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون ضرامُ
4. بتمارا : بجد.
5. وانظارو : وأنظاره أي أمثاله.





وبحَق من تزهَّدْ واخلَصْ . لعمالْ لِكْ لِيلُو وانْهارُو

شَتَّتْ لَعْدو بدْمَارْ

واقْطَعْ دابْرو يلتق مرْارَا

كيدُو خرْجُو فنحْرُو . يارافَع السَّمَا واطْفِ نارُو

يا عَيْني بَدْلي مْنَامَكْ بالسهْرانْ وابْكِ عن غُرْبت لِسْلام بدمْع اهْتِينْ

ما يستْهَلْ غرْبنا هَذا الختلان أمْع كُثْر لجْنُودْ والمالْ ولبْنِينْ[1]

خلَفْنا قَولْ بِهْ أمرْنا الديَّانْ واغبَطْنا فلهْتوفْ عن أمرْ المُبين[2]

اللَّه يجودْ بالنصر لَعْلاَم الدِّينْ

فحدْيثْ بن عمْارْ

ايلّى التهاتْ النَّاس باتْجاراَ

والغوْ لَجْهادْ أغْشاهُم ذُلَّنْ . اكْثِيرْ ويعمْ اديْارُو

هَذا لقَوْل أفلَسْفَارْ

مرْوى فَلْحِلْي حَقْ بلِيمَارا

نَقْلُ الشّيخ أبو نُعَيْم . موضَّح لحدايث فاسفْارُو[3]

1ـ الختلان : الخذلان.

2ـ واغبطنا فلهتوف : أي واشتغلنا بالأشياء التافهة.

3ـ يشير إلى حديث رواه أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء.



أيا أولي لَبْصَارْ

اعْتَبْرو أونَظْرو فْذي الْعِبارَا

واتْأمْلُوا فْهاد الْقَول . اللِّي بانْ يا سْيادي عُتْبَارُو[1]

الْتَهينا بالدِّينَارْ

واغْبَطْنا فالدَّنْيا بْخُود وارَا

وقوَى الحَسَدْ والبُغْض . فْهذا لْجيلْ فاكْبارُو واصغْارُو

لا نَاهي عْلَى المُنْكَارْ

لا توقيرالشياب ولا اتْمارا[2]

وقْليلْ مَنْ تصيبُ . فهذا الجيلْ ليْس كَياذي جارُو

رَبْ يشفْي لَضْرَارْ

ويفَرَّجْ هم لَعْرَبْ بلبْشَارا

سلطانا يشَعْشَعْ نورُ . في مَن اعْصاه يَظْهر عُتْبارُو

ميزت يا من تسأل بلَعْقَل أُو لَذْهانْ فالأمر اللي عم فالغرب بتبيين

وانصب الغرب فيه ما صاحْ قُومَانْ واقبايل قهرين شتى معلومين

بَالمالْ والخَيلْ والسْنَاحْ اللِّي مزْيانْ اخطانا غير صبر حق أو ليقين[3]

اللَّه يجودْ بالنصَرْ لَعْلاَمْ الدِّيْنْ

1ـ اعتبار عقوبة.

2ـ اتمارا : المعقول والجد.

3ـ والسناح : والسلاح.





فَلْغرب جنْود اكْثَارْ

ما يرْضَاوْ التَّدْمام أوْ لَحْزَارَا[1]

فيهُمْ أبطالْ . الِّي لَوْ صَابُ الجهادْ يوقَعْ لُوسارُو

فُرْسانْ ليوثْ أحْرارْ

والـرّمات هل الصَّيْد أُولِشَارَا

دابَ غَرْبْنَا يتْعافا . ويفَرْج المُهَيْمِنْ تَكْضارُو[2]

لا يجْعَلْنا فُرّارْ

بَلْ يَجْعَلْنا كُرّار للغْزَارَا[3]

نمِشِوْ كِفْ كانُ يَمْشِوْ . الفايزِين مَنْ كَايُذْكَارُو

وَنْصيرُو بالادكارْ

وَكْلام الخير اللِّي بْلاَ قْجَارَا[4]

والدِّينْ والَّصلا والمحْنَّا . تْكُنْ بها نُشْكارُو

ونْكونوا فالمَقْدارْ

قَدْ واحَد[5] الا مَنْ اتْوَارا

فالحرب بازعم هذك . اشرفنا ايعْلَ مَقْدَارُو

والْمُونَا كُلْ نهارْ

ما يقْهر جُوع انفس بخْتصَارَا

1ـ لحزارا : التملق.
2ـ تكضارو : تكدارو أي كدره.
3ـ للغزارا : للقتال.
4ـ بلا قجارا : بلا مبالغة ولا تكليف.
5ـ قد واحد : أي متساوين أو كرجل واحد.



لجْهَادْ ما يْكونْ بغير التقويم . كيفْ جانَا بْشارو
احْديثْ فشَرْح النَّواوي بتَضْمَانْ   عَنْ أبـي ذَر قـالْ طَـهَ زين الزِّين
ليسْ يقُوم لجْهادْ يلمت لخْوانْ   دُون تَقْويم مْع الصَّبْرْ هـذُو باثْنين
أمثيلْ لْساسْ للذي رايَدْ بُنْيان   آشْ مَنْ بَنيان دونْ يساسْ يكُنْ احْصين
اللَّه يجودْ بالنصرْ لَعْلاَم الدِّينْ

يا مَنْ رايَد يُحْشارْ
في زُمْرة طَه طيْب لَمزَارْ
احض ايمانَكْ أو دينَكْ . واصبْر فازْمان لمذاقْ مْرَارُو
الوقْت قَرب باجْهَارْ
والنَّجْم اللِّي بديلُ بان شاراَ
هذو علايم الفَرَجْ . كيف انضرت صح لخْبار فاجْفَارُو[1]
ما بْقى لِكْ تُوخارْ
عَنْ تَعْليم التلحيق والعْمَاراَ[2]
والرمي ما خفْا. واحْساب البارودْ كيفْ وجَبْ عْبارُو
واجْمِيعْ ما يُذْكَارْ
ونحْتالو لحْروب انْصاراَ
ويديرْ كُل مْسلَم سكِّينْ . أوجُجْ دلَمكَحْل فْدارُو[3]

---

1. فاجفاروا : أي في أجفاره، والأجفار عبارة عن مقيدات تشتمل على تنبؤات بما يقع.
2. التلحيق : تلقيم المكحلة (البندقية) بالبارود، والعمارا : مثل التلحيق.
3. جج ذالمكحل : بندقيتان





اعْتَبْرو يا لابْرار

من غَرْنَاطْ وامْدُن فلقْطَارَا

باتو اسْلامْ صَبْحو كُفَّارْ . جْميع أو نَدْمو عَنْ ما دَارُو[1]

كِيفْ مدينَتْ لَجْدَارْ

مَنْ قَصَّتْها نَجْلاتي اسْهَارَا

بُقْعا ونِعْم بُقْعا . شَيَّد فيها الشّرْك بُنْيان اسْوَارُو[2]

أَيَا حمْات دينْنَا لَعْنُو الشّيطَانْ هَذ الغَفْلا عَلى عدْاكُمْ حتّى لِين[3]

ما تتْفكْرو نْهار دخَلْ لتطْوَانْ وخَرّجْ منْها الكافَر لَمسْلّمين

وابْقَت النَّاسْ حايْرا بين الطُّرْقانْ وهل ليمانْ كَتْقول بصَوْت حْنين

اللَّه ايجودْ بالنصَرْ لعْلام الدِّينْ

خَرّجُ فاللِّيل ابْكَارْ

والصَّبْيان ونَسْوان بلجْهارَا

فالباب كَينوحُو على المدينا . أو كُل جارْ أفْرَقْ جارُو

كَمْ مَنْ شِيابْ آكْبَارْ

واعْكَايَزْ صارُوا فلَخْلا حيْارَى

واشْحالْ مَن المرْضَى يَبْك . عَنْها شَفِيقْ بدْمُوعْ أبْصارُو

---

1. يشير إلى ما وقع لمسلمي غرناطة بعد استسلاهم وانخداعهم بوعود النّصارى وعهودهم.
2. مدينة الجدار هي سبتة في بعض الأقوال وقد أخذت على غرة.
حتى لين =إلى متى



يا حَسْرا عن ادْيَارْ

واجْوَامَعْ بادُوا بَعْد العْمَاراَ

وامْسَايد للْقَرَايَ بالْواح . مَسطرين جاحُوا واهْجَارُو[1]

هَذا حُكم الْقَهّارْ

مَنْ نَسْعوه العَفْوُ مْعَ الطَّهَاراَ

ينْصُر دينْنا عَلْى مَلَّة العْدا . بجاهْ طَه مُخْتارُو

بِبَا بَكْر وعْمَارْ

وعَثْمانْ وعْلي أُو بلَبْكَاراَ[2]

وبحَقْ أمهُمْ الزَّهْرَ . وزْواج لَمفْضّل[3] واصْهارُو

قَال النَّاظِم لْشَعارْ

عَرْبي من هل لَجْحَاف لَخْياراَ

ادْريس بن علي حج لبِتْ . أواشَفْ قبر لْحَبِيبْ وزارُو

انمَجَّد خاتَمْ لَبْرَارْ

مَنْ جالِنا مَبْعوث بلَبْشَاراَ

أعْلِيه أصلَّي مَا لَمْعَتْ لَرْمَاحْ . أو لخْيول أو ما غَارُو

وما جاهَدْ غْزَارْ

أو قْتَل لكشط اختارُوا نْصَارا

أو ما دْعَ أديبْ للَّجْهادْ . أوْ قَالْ بلفْصاح فاشْعارُو

مَدْرَ نفْديِو الثَّارْ

و[illegible] ربِّي مْع نصاراَ

[illegible] والفَتْح . من اللَّهْ بلمفَضَّلْ وانْصارُو

1- وامسايد : كتاتيب قرآنية، وأصلها مساجد.

2- يقصد السبطين سيدنا الحسن وسيدنا الحسين.

3- من أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام





قصيدة دخول وجدة للسعداني





- لما وقع احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 ارتفعت في المغرب أصوات تطالب بتجديد الجيش المغربي وتنادي بالجهاد لتحرير الجزائر.

وقد تجلى هذا فيما كتبه التسولي المتوفي عام 1258هـ (1842م) والكردودي المتوفي عام 1268هـ (1851م) وابن عزوز الذي توفي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وظهر كذلك فيما قيل من شعر وملحون فأما الشعر فنجده في قصائد الشاعر الوزير ابن إدريس العمروي المتوفي عام 1264هـ (1847م) كقصيدته التي ذكرها صاحب الاستقصا وفيها يقول:

يا أهل مغربنا حق النفير لكم   إلى الجهاد فما في الحق من غلط

فالشرك من جنبات الشرق جاوركم   من بعد ما سام أهل الدين بالشَّطَط

ومطولته التي تشتمل على مائتين وعشرين بيتا ومطلعها:

فرضٌ على كل مسكين وسلطان   حَمْلُ السلاح على عُبّاد أوثان

وقصيدته التي قالها عند استيلاء الفرنسيين على تلمسان ومطلعها:

يا ساكني الغرب الجهاد الجهاد   فالكفر قد شارككم في البلاد

ومنها:

واسطة المغرب قد حازها   والأمر جد والبلا في ازدياد

حوى الجزائر ووهرانها   وراع حاضرا بذاك وباد

مصائب صبت على معشر   بكى من الاشفاق منها الجماد

يكاد يقضي المرء من حرّها   على حشاه وتذوب الصلاد



إخوانكم دينا وجيرانكم أضحوا رعايا الشرك بين أعاد

ثم يدعو أهل المغرب إلى أن يكونوا يدا واحدة ويأخذوا حذرهم لأن الفرنسيين لن يقفوا عند الجزائر ويستعمل المثل العامي فيقول :

من حُلقت لحية جار لـه فلتكن لحيته في اعتداد

ومع مرور قرون على ضياع الأندلس فإن الشاعر يستحضرها إذ الشجى يبعث الشجى :

تذكروا وقعة أندلس وأبصروا منها سبيل الرشاد

ونجد مثل هذا أيضا عند الشاعر الوزير كذلك محمد غريط المتوفي عام 1280هـ (1863م) فقد قال قصيدة في الموضوع نفسه مطلعها :

مالي أرى جفن أهل الغرب وسنانا من بعد ما أخذ الرومي تلمسانا

كأنهم ما دروا ماذا يريد بهم عدو دينهم لا نال إمكانا

ولا على فعله في دفتر وقفوا بأهل أندلس يا بيس ما كانا

ونجده كذلك في الأرجوزة التي نظمها محمد المشرفي إثر دخول الفرنسيين إلى توات التي كانت تابعة للمغرب وأولها :

دعْ عنك داعي السرور والمزاح واسلك سبيل من بكى الدين وناح

ونجد مثل ذلك أخيرا في قصيدة للشاعر السوسي الطاهر الايفراني يخاطب شيخه الجشتيمي قائلا :

وقد بلغ السيل الزبى بظهوره

وإن لم يدا وَ العُرُّ بالكي يزدد





فقد طبّق الصحراء بالنحس شؤمه

وأعدى نواحي التلّ بالخَبث الردي

وجاش على هذي السواحل كلّها

ببحر سفَينٍ بالقوارب مزبد

وغضّ به الدين الحنيفي فاكتسى

لما يشتكي من بثه ثوبَ مُكْمَد

وهي طويلة وكلها في الحض على الجهاد ومقاومة المعتدين الذين ظهروا في الصحراء والسواحل ولم يكن شعراء الملحون أقل وعيا أو أضعف يقظة من شعراء الفصيح بل إن قصائدهم التي تنظم باللغة التي يتكلم بها الناس كانت أقوى تأثيرا وأسرع انتشارا وقد ظهرت في الجزائر أشعار عديدة من الملحون وغيره تتحدث عن الغزو الفرنسي وجهاد الأمير عبد القادر، ومنها على سبيل المثال ما قاله قدور ولد محمد البرجي المتوفى سنة 1850م. وليس بين يدي الآن شيء مما قيل من الشعر الفصيح أو العامي في الجزائر غداة احتلالها إلا ما ذكره الدكتور عباس الجراري في كتابه القصيدة من أن الشيخ الأكحل له قصيدةٌ تنبّأ فيها بما سيقع في القرن الثالث عشر ومنه احتلال الجزائر وهو يرد الأمر إلى قدر الله ومشيئته وإذنه. فقد قضى أن يرتد العرب ويفشل المسلمون وأن يحتل الكفار هذا الجزء من بلاد العروبة والإسلام :

العرب بقدرت الله تعود مرتدي وتعود بإذن الله مكان للكفرا

وقد استشهد الدكتور عباس بأبيات من هذه القصيدة تتحدث بأسلوب يتراوح بين التلويح والتصريح عن بعض ما يقع للمسلمين في القرن





الثالث عشر كاحتلال الكفرة بلد الجزائر التي لم يسمها وإنما لمح إليها بواليها وحارسها الذي لم يسمه كذلك وهو سيدي عبد الرحمن الثعالبي وتذكر القصيدة بعد هذا بعض العلامات التي تظهر في هذا القرن كترك صوم رمضان وشيوع المنكر وأكل الحرام وخضوع المومنين للكفار، وقد ورد في القصيدة ذكر ابن خلوف وعلق عليه الأستاذ عباس بقوله : «ونخشى أن تكون القصيدة ليست للأكحل كما يرويها الحفاظ وإنما لابن خلوف» ويبدو أنه حصل للزميل هنا سبق قلم فالأكحل هو ابن خلوف نفسه، وهذه القصيدة التي يرويها الحفاظ وينسبونها إليه لا توجد في ديوانه المطبوع في مدينة الرباط، وقد تفضل الآخ الدكتور عباس فأمدّني مشكورا بنسخة منها وهي تشتمل على أزيد من ثمانين بيتا أواخر أعجازها على حرف الراء وأما أواخر صدورها فليس فيها نظام واضح، ويبدو أن بعض الأبيات موضوعة في غير موضعها، وفي القصيدة أبيات عديدة مهلهلة النسيج وهي مبتورة الأخير، ويبدو أنها منحولة فهي تتحدث عما يقع في القرن الثالث عشر، والشيخ الأكحل عاش في القرن العاشر كما أنها تسمى حسين داي الجزائر وقت الغزو الفرنسي :

وَيْكونْ في المدينة أميرْ باسم حسين　　　تتبغّض الخواطرْ وتسبغ الحَبْرا

هذا القَصَصْ مَدْكورْ عامْ من سنين　　　في قرن ثالث عَشَرْ بلا عبرا

ولعلّ الإشارة هنا إلى تاريخ احتلال الجزائر وهو سنة 1246هـ وتصرح الجفرية بهذه السنة :

عام السّتّه يُخْشَى فيهْ وتفشلْ الرّكبين　　　يخْرُجْ على وطَنْ مْتيجَه وشوفْ ما يَطْرا

كما تصرح بظهور محيي الدين :

عام السّبْعه يْجيهْ محيي الدين　　　يهزم عساكْرُ فَتْروح مدمرا





والذي يظهر لي أن هذه القصيدة الجفرية منحولة وأنها قيلت بعد احتلال الجزائر وربّما نسبها الرواة إلى الشيخ الأكحل لشهرته.

إن احتلال فرنسا للجزائر وتضامن المغاربة مع إخوانهم الجزائريين وإنجادهم لهم كان من أسباب اعتداء الفرنسيين على التخوم المغربية وشنهم الغارة على قبيلة بني يزناسن ومدينة وجدة المرة بعد المرة، وقد أدى ذلك إلى مواجهة بين الجيش المغربي والجيش الفرنسي بوادي إيسلي قرب مدينة وجدة وهي المواجهة التي هزم فيها الجيش المغربي بسبب عدم استعداده الكافي واعتماده على الأسلوب العتيق في القتال، وكانت هذه المواجهة في سنة 1844م، وتكرّر بعدها هجوم الفرنسيين على الحدود المغربية برغم تعدد الاجتماعات والاتفاقات حولها وظل الفرنسيون يثيرون الفتن ويختلقون المبررات إلى أن أقدموا في سنة 1907 على احتلال مدينة وجدة بدون مقاومة، وفي هذا التاريخ أيضاً كان هجومهم على الدار البيضاء والشاوية، وقد حزن المغاربة لما حدث وعبر عن ذلك بعض الشعراء والزجالين في قصائد تندب وجدة وتنتقد التفريط في الدفاع عنها وتدعو إلى الجهاد، ومنها قصيدة لمجهول يقول فيها :

وجدٌ تسعّر في الأحشاء والتهبا
مـذ قـيل ركن من الإسلام قد ذهبا
آهٍ على وجدةٍ قد أُسلِمت جزعا
من غير سيف ولا قتل ووَاَ حربا
آهٍ على أسد الإسلام قد فشلت
واستَنْسرت من بغاة الروم واعجبا
قد أصبح الدين ينعى كل ناحية
وآخذ الثار في لهو وقد لعِبا





تنافس الناس في عُلْو البناء وفي
ماكل وبنا الإسلام قد خربا
ما عيشكُم وظلام الكفر عمّكم
النومُ غشاّكم أم جبنكم غلبا
إن لم تخوضوا غمار الموت دونكم
لباس زوجاتكم أو الزموا الحجبا
عهدي بأسد الشَّرى في الغرب ساعرة
لم يلقها بطل إلا عدا هربا
شُمُّ الأنوفِ يهاب الليثُ صولتهم
أبت نفوسهم أن تشتكي اللّغبا
ما إن لهم راحة إلا بقرع عِدا
وهيّن عندهم أن يضربوا الرّقَبا

وقد ظهرت هذه الدعوة إلى الجهاد بعد احتلال فرنسا للجزائر وتشوفها إلى الاستيلاء على المغرب، ومن الأصوات الأولى التي نادت بالجهاد صوت الوزير ابن إدريس وزير السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الذي استنفر الناس قبل واقعة إيسلي بشعر أوله :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم
إلى الجهاد فما الحق من غلط

وتعدّدت بعد ذلك الرسائل التي ألفت في موضوع الجهاد، وكما رأينا في القصيدة التطوانية فقد كان شعراء الملحون يشاركون في هذا الوضوع وكان لكلامهم الأثر البالغ في نفوس العامة، فمن ذلك قصيدة دخول وجدة





لسيدي هاشم السعداني شيخ أشياخ الملحون في وقته. وقد ترجم له الأستاذ الفاسي في المعلمة وذكر أنه كان له دكان بسوق السباط بفاس وأنـه توفي عام 1352هـ، وقد نظم هذه القصيدة عام 1325هـ/ 1907م وهي سنة الهجوم على وجدة، ولإقبال الناس عليها طبعت بالمطبعة الحجرية بفاس ونشرها الأستاذ المنوني في كتابه مظاهر يقظة المغرب الحديث ثم نشر معظمها الأستاذ الفاسي في الجزء الثالث من معلمة الملحون وكان الأستاذ عباس الجراري قد استشهد بأبيات منها في كتابه القصيدة، ورأينا أن ضمها إلى مثيلالتها ضمن هذه المختارات يبرز الاستمرارية في هذا الموضوع وهي تتألف من 23 قسما يحتوي كل قسم منها على خمسة أبيات وفي أول كل قسم لازمة وعروبي، وبحرها المشرقي 15 من المبيت.

ولغة القصيدة واضحة في الجملة أما رسمها فهو حسب النطق العامي، ومن ذلك على سبيل المثال الكلمات التالية : فديق : في ضيق، لصوار : الأسوار، رصام : رسام أي رسوم، مگزرات : مجزرة، تسير : تصير، وجل معانيها في الدعاء على العدو ودعوة الناس إلى مقاومته وعدم الاستسلام له أو الانخداع بوعوده وهو يصف ما تكبّده العدو من بعض المجاهدين وينوّه بشجاعتهم ونهجو بعض المتعاونين مع العدو فيقول فيهم :

غرّوه وطمعوه يرضع كل ضغاسْ وجوه كبارْ برْزين بعقل خسيس
ايمان قلوبهم مارسْخَت بلْساس يوم الحَزّ كبيرهم تلقاه خنْيسْ
فـاتُ بفعلهم لمطرّد يبليس





كَيْغرُّ بعْمايمْ بَـرزيـنْ فالرَّاسْ   لَوْ رْقاو الزنَّار يزول كل تلبيس
معَانْدِينْ فالبْني ونْواع كُل تـلْباسْ   ريهم عليهم يعـودْ نكادْ نحيس
رْضاوْ بالذل لمبخسين بين لَجْناسْ   تَبْعين الشهـو ونساوْ يوم لعبيس
على مْراد النفس يأديّوْ كل وعدا   بايعين رقاب ليسلام صيل لَجْحاد
افعالهم مــن الله تزيدهم بُعْدا   سرهم الموت فجيف متيل شدادْ

وقد كرّر الشـاعر أمله في هزيمة العدو وتوعده بما سيلقاه قال :

عاد مزال يشف قتال مانْوى بيه   من بطال كمين فوطان من عفاها
من شراب الحنظل طرف لكراب تسقيه   غـر قـوم لعديـم ودولـت فـناها
سار بين الدوال مثال تنضرب بيه   لا نفس فجمارْ ما تكب لظاها
عليه تزند نيران الحرب كل زندا   يصير منها جند مسحوق طير رماد
غاص فالويل ولا يلقى لكل نقْدا   وصار مكسوب خديم حقير على لوغاد

ومن جملة ما كان يقوله الفرنسيون إنهم يريدون تمدين البلاد وإلى هذا يشير صاحب القصيدة :

قال حب يمدّن لقطار باش تطهج   ولا تنبه بشر عيب دليل لهماج

ولعل النتيجة التي نستخلصها من هذه القصيدة الزجلية أن صاحبها كان يحاول رفع الروح المعنوية لدى الناس بالتقليل من شأن العدو وتهوين أمره، ولا يفوتنا أن نقف عند القسم السادس عشر من القصيدة الذي يقول فيه مادحا سلطان البلد في وقته :



يا لمولى أيد هذا لسلام بهمام　　همت مصرف فالعز مجد فخيم
يرتقى به فعز كل تنظام　　ينذكر ما بين الدول راسخ عظيم
به تفخر لسلام على كل ظلام　　وكل كفر يبقى محقور نكد دميم
به يخصب هذا الوقت فلهنَ ورغدا　　وبه تركن للجود كشوط كل تراد
صارم لـحَق يمهد كل حي مهدا　　ولا يخفى خارج لحدود ساط فبلاد

وقد ختم السعداني زجله رامزا بالأرقام إلى اسمه وتاريخ نظمه على طريقة أصحاب الملحون فقال :

بعد تختام قولي يا حفظ يتنغام　　كان سالك الودْبَ عن حروف لَسَمْ
قل ربع الكاف وضرب ياق تفهام　　وزد خمس الرّينب لكل عالمْ
انتهت الكُلّ مشهر فرد لصيام　　عام شرق هك لترخها موالمْ

ونورد بعد هذا النص الكامل لهذه القصيدة مع شرحنا لبعض ألفاظها المثبت في آخرها :





يا لموجود فديقْ محان كل شدًا — يالمغيت الّي ندا فديقْ لَنْكادْ
يا لباقي فضلَك طول الدوام لبْدا — يا مفرج لكروب القَطْعَ للكْبَادْ
يا سنيدْ الاَ لُو بينْ الْعْبادْ سَنْدا — يا مدبر حال الاَ لُو خيْر لسْدادْ
فرج علينا من غلب الاَمْ لعْدا — وأيد الْيَسْلاَمْ ولَهْمُ العز بجهادْ
الـقلوب ضعافْ واكساتهم برْدا — ولا نظرنا مهومْ بْعَزّْ دين لجْدادْ

يالْيَسلام بْكِيوْ علْى دْخُولْ وجداَ — دون حرْبْ غْنَمْها لعدُوْ نالْ لَمْرادْ

رابُو لَصْوارْ[1] وادْخَلْ رْصَامْ العَز[2] — وكْسى تُوب الْهْوانْ فيها كُلْ عْزيزْ
وارضَ بالذل كل من ضاري يبْهَزْ — وكْسَرْ نفْسُ وعاد مثل الَضأن فْزيزْ[3]
وقْفَات الذل سَرْها غيِر التحزيزْ[4]

كيف يرضى بالذل الي اللّه عزٌ — بعز دين الاسلام على الديّانْ معزوز
موت لعنيا فنهار الْقَى وبَـرْزُ — خير من عيش الذل فكل خير مبروز
التنا لَهْل لفضل خير ما يكنْزُ — كل من مات على عز تْناهْ مبروز
ما بْقاتْ فْعَيْشْ الدنيا لْيُومْ لدًا — عند من دين ويمانُ فقلْبْ لَفْئَادْ
مصرفين الوقت فْعَسّى لْيُوم غدًا — يغيب نجم النحْسْ ويَنْبَ هلال لسّْعادْ[5]

يالْيَسلام بْكِيوْ علْى دْخُولْ وجداَ — دون حرْبْ غْنَمْها لعدُوْ نالْ لَمْرادْ

يَمْتَى وحْنَا قْفَتْنا تصير للذل — على حب لَبْقا فالفنا بعد يْطول
ما هي دار لمقام منْ جا كَيَرحَل — شُفْ لْقوْمان سَيْرين كْفُولْ كْفُول[6]
وحْنَا فتْبَعْهُم فالقَطْر الموصول

طوفان الأقصى

ما يموت فالورى مخلوقْ دون لجالْ — ليْكون فـوسْط الغَصاب ما يـوصَلُ
ومَن مكَمل محسُبْ لو كان كسَبْ موالْ — ما ينفعُ إلاَّ دغْي[7] يْمَدْ رجْلُ[8]
كيف يمنع من مكتوب وكيف ينضَالْ[9] — مَنْ حكَامْ الربْ عليه القْلاَم سَجَلُ
كل ما راد اللّه على الورى تْوَدّاً[10] — ولَزمْ اللطف يْفاج[11]هم ديقْ[12] لنْكادْ
كيفْ معلوم الرخْفَ بعدْ كلْ شدّاً — بَاش يذكر اللّه فكْلْ ديق ورْغادْ

طْغَى لعدو وقالْ فضْلْ كبْيـر — هادي بقع سْجَات[13] من غير مكْزرا
كم من أرضين حَزتْها من غير هدير — دخلتْ تحت الحكَام بَخلَيَقْ كثْرا
قوى عزم يْجُزْ لقْطارْ فمَرَّ
جار وتجبر وبلغ منتهى فجُرُ — ولا بقلُو إلا كسْرى فخلَفْ كسْرَى[14]
عليه لَسْلامْ إليَّ فحكُمْتُ يْدُور — ايْشتْتُّ شملُ فمدُنُ وكلْ سحْرا
تسير منزل للْيُوم البَهْي قصْرُ — عليه الغرابْ يصيح بالخلا والْعْرا
جا لأرضْ الدار البيضا بكُلْ وكْدا — وقال جيت نْأدَّبْ بمرهف الفساد[15]
ولا نْوَ يصدق من حرب لْيُوتْ فسْداً — يبدْدُ شملُ ويحَقْرُه بين العباد
يالْيَسلامْ بكْيو علْى دْخُول وجداً — دون حرب غْنْمَها لعدُو نال لمْرادْ

غَرُّ جهْلُ وراد يطمع فالْمَغْريبْ — ولا شاف لجْهتُ الطلَّع كيغربْ
عَوّلْ ونْوا وقال ظن لـس يخيبْ — ولعب بعقول غفْلَ من حكم الربْ
ورمى يدٌ فسَاطٌ ونُتَنْ وعقرب[16]



كيف ينج من جا بين السموم يلعب   بالزفيرْ إذ بَانْ يْبَيْدُ شَبّابُ
باد وتبدد شمل فالوَرَى ونَسْلَبْ   كل طاغ منهم تْيَتْمُ حباب
بعد شَلاّ نَقْهَرْ سَهْمْ الدنَى وانغَلَبْ   وقتْ عزّْ نَتْهى ومضى وفْ حسابُ

اطلع فرعُون غَرْقُ ربٍّ فالْيَمْ   ما فكُّ مَن عْداَ زرْدْ[18] وحْسَامُ
لفْلاك الدُّور كتْعَلٍّ وتَيِّمْ   اطَّلَعْ كَيْحُفْ من بَعْدْ تْمَام[19]
والهابَطْ لَغْنَاهْ يعلَى فمقامُ

ما بقي إلاّ العَز أيا جميعْ الاسلام   شمْرُ للجهاد تعمكْم حُرْمْ
كل من مات على عز لسلام يُرحم   تبعاهْ الحُورْ تخطَفُ فكُل صَدْمَ
من كمَلْ مُحسبُ وألْقَى كيوس لحمام   عاش عيْشْ الأبد فطِيبْ كل نَعْمَ
ومن بقي يتْبَخْتَر فالعز بين لعْدا   واسمُ مكتوبْ فْوَقْ البْدور لسعادْ
ما بْحال كْميْد العديان وَدْ شهْدا   ولا بْحال مْرامْ العدُو دِيقْ وانْكادْ
يالْيَسلام بْكيو علْى دْخُول وجداَ   دون حربْ غْنَمْها لعدُوْ نال لْمرْاد

للّه الحمد بعد ظلْمتْ غسْقْ الليل   بان شْريق الضيَا طْلُعُ على لطْلالْ
وبْشَرْ بالعزْ كلْ من كان فتْدليلْ   وطْلَعْ فالْجَوْ صُلْتُ بعد التّفْوال[20]
وكْسارْ الّي طْغَ من سيْتَلْ[21] ولشْبَالْ
وَيْحُ لعدُ أما يلقى فحرْب لبْطال   يشوفْ بعْيانْ شلا كان ليه فالبَال[21م]
يطيع لِلْجَزْي ويسْلَم كانَ ينْقال   أو يدخُل فحدْيثْ الّي مْضَى فلْحيال

شَتّتْ رَبّ وتْبَهْدَلْ بين لَقْيَال[22] مَنْ قْبِيل قَطعْتْ سهْر بْحَرْب لْقتَالْ
بعْدْ نحمَى بالغير وْجَبْ كل عداّ بْقَى طعام للوْحوْش على قْطارْ لوْهاد
شْحالْ من ألفْ جَابْ حَسْبهم عداّ ولا ظْفَرْ بَمزْي قَلْ الجْنَاس فعنْاد
يالْيَسلام بْكِيو عْلى دْخُولْ وجداَ دون حرب غْنَمْها لعدُوْ نال لَمْراد
من بعد طْغَ وجار لَعْدُو تْقَواّ نَشْوَ فَمغْزَل لْيوتْ الشَّويا[22م]
نَكْسَرْ بَنْدُ وطاحْ وتمزَّقْ وطْوا ولْقَتْ محال صُلْتُ كل بْلِيَا[23]
نسقَوْ كْيُوسْ مَلْيَا من لَمْنَيَا

عليه سطت العربْ من بعد هاج واقْو كَبْرَنَ[24] كانتْ عن جُعْها طْوِيَا
كل من عَرَّشْ[25] منهم فلْقْطرْ وعوَ عليهْ تنزَلْ بضْفَارْ لْصُلْتُ برِيَا
لَيْتُوبْ ويْحْسبْ هذا البرُوزْ هَفْوَ ما بْقَتْ للعديمْ لْدَلْتُ مزيَا
جارْ وظلَمْ وكْثَرْ من مَنْزِلُ تْعَداّ رحبْ بحكم فَسْيَدُ قَلْ كلْ فَسَادْ
راحْ مكْسور وصادفْ فلوجُودْ خمْدا وعادْ فَخْبَر كانَ ينْذَكَرْ فات بْعدَادْ

يالْيَسلام بْكْيو عْلى دْخُولْ وجداَ دون حرب غْنَمْها لعدُوْ نال لَمْراد

حَرَّبْ[26] جَنْدُ وقال هذا جيش كبير تملَكْ به الرقابْ ونحوزْ لقطَارْ
زوكَ ورغَ ودعَ تمثيلْ الخنزير صادهْ انْمُرْ كسمُ ذات باظْفَارْ
... عَى عْلَى عضَاه تحُومْ طْيَارْ

ما سْغْ[27] لَتْوَارَخْ ولا قْرَى فْلَجْفَارْ كْل من جا للغرب تْغْرْبُ صْغَارُ
جا للمصيد والْقَى كِيف سارْ للفار عْلَى تْبيع اللَّحس يَتْمَزَقْ سْيارُ
ضْرْغَمْ الغرب شْرِيف ما تْرِيدْ كفارْ من طمعْ فوطْنْهُم يجَيْحْ قْرَارُ
شحَالْ من قْصُورْ[28] فَمْ غارْ مْعَاهْ فَهْدْ كيْصيَدْ من جا مغرورْ بيه صيَادْ
من دْخُلْ لعْرين نَمْحَ وصَادْ فَقْداً ولا خْبَرْ عن حالُ وْما لقاهْ يُوجَاد

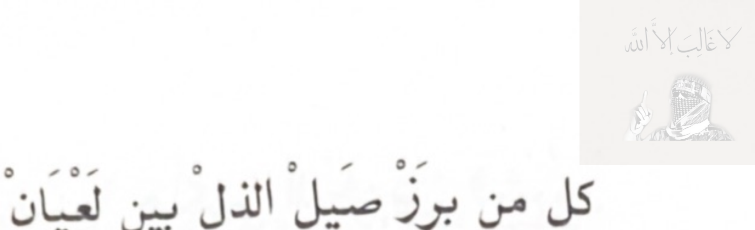
يالْيَسلامْ بْكِيوْ عْلى دْخُولْ وجداً دون حرْبْ غْنَمْها لعدُوْ نالْ لَمْرَادْ

غرُّوه وطمعوه يرضع كلْ ضْغَاسْ[29] وجوهْ كْبارْ برزْينْ بعَقْل خسيس
إيماْ قلوبهْم مارسختْ بـلْسَاسْ يوم الحَزّ كبيرهم تلقاهْ خْنيس[30]
فـاتُ بفعلْهُم لمطرّد يبليس

كيْغَرُّ بعْمايمْ برزْين فالراسْ لَوْ رْقَاوْ[31] الزنّار يزُولْ كلْ تلبيس
معاندين فالْبْنَى ونْواع كل تلباسْ ريْـهُمْ عليهُم ايْعُودْ نَـكَـدْ نْجيس
رْضاو بالذَل لَمْبَخْسين بين لَجْنَاسْ تبْعين رْقاب لِسلامْ صَيْلْ لَجْحَادْ
عْلَى مْراد النَّفْس يأدّ يوْكُلْ وَعدا تَبْعين الشَّهْو ونْسا ويْوم لَعْبيسْ
افعَالْهُـمّ مْن اللّه اتـزيدْهُم بَعْـداً سَرْهُمْ الموتْ[32] فْجيَف متِيل شدَّادْ

يالْيَسلامْ بْكِيوْ عْلى دْخُولْ وجداً دون حرْبْ غْنَمْها لعدُوْ نالْ لَمْرَادْ

أَدْمَرْهْم الكريم خـدعين الـدين لا خيرْ فَمْرو لِيسْ يعْب بَيْمَانُ
حكْمُ بعقْلْهُم ونْسـاوْ الْمبيـن[33] دارُ لعْدُ صديق والمومن خانُ
وكْدَاوْ[34] لْهيبْ طالعين فدخان



كل من برزْ صَيلْ الذلْ بين لَعْيَانْ كيفْ من شيَدْ برج على فُضَاه مبْني
ما يبْرَزْ للحرْب يلا فُيومْ همَان يْشَبْهُوه فخَشْبَ من عرفهُمْ لَدْني
ما يحبُّ بلاَّصِيلْ العرابْ ينْهَان قُومْ باءُ بالذّل مْن القديمْ لَغْني
سَرْهُمْ [35] بْسيف لِسلام غرِغْرْداً [36] جنسُ لخْديعَ قصدْ يمانهم لَنْقَاد
هْبيلْ من يعمَلْ جلْ خْيَارْهم عمدا قومْ مغضوبَ سالْ الحقْ وقتْ لَطْراد [37]

يالْيَسلام بْكيو علْى دْخُولْ وجداَ دون حرْبْ غْنَمْها لعدُوْ نالْ لَمْرَاد

لعجول اذا رعو جبلْ العَلفاتْ فجزاهم الْربَاط فيه ينَسْجَرُ [38]
توْثيقْ ربْاطْهُم امنْ للأفاتْ والطاغ مَنْهُم نَادَ گزَارُ
يقطع لِه لحبالْ يمَحْ أثر

يا لجليل أهلكْ وادمَّر كل طُغاتْ من ترقّا وصيلْ سلَفْهم محقُورْ
راضْيَنْ الحگْرَ صيلْ الردَالْ لَمْقَات لا سْرَاخْ الحزَّ ولا يسْكَدّ شُور [39]
عيشهُم خسَرَ وبْرزْهُم أفاتْ جاهُمْ يوغَل قلْبْ لَحرَارْ وصدُور
ما سعْدتْ بهم أهل الثْنَى فبْلْدَاً ولا جتَمْعُ فنْصحَ للْقراب وبعْاد [40]

يالْيَسلام بْكيو علْى دْخُولْ وجداَ دون حرْبْ غْنَمْها لعدُوْ نالْ لَمْرَاد

كان لعرابْ كيغُصُ فالتدبير علْى عزْ لَسْلام والفعل المشكور
ترفع قدرْ الْشراف وتزْدرْ لحقْير من لا يلقَى نطَالْ لو يعلَى محقور
والغَفَلْ فالزمْانْ علْى العْدا مغرُور



وشُمَنْ عقَلْ[41] يا مَنْ فالعْدَ الفجْار   بعدْما هلْكهم المَجْدين فَشْرُورْ
جادّين الكَفَرَ طالبين لَلْثار   ما يعملُ فَتْرَ طول لعوامْ وشْهورْ
كل عَرَبِ غنموهْ يجَرْعوهْ لَمرار   عنْدهُم الوَقَعْ بَسلْفَهُم مسطْورْ
لْكُلْ وقْعَ سْرَتْ[42] فقلْوبهم نَكْدا   منبْطال[43] الصَّحَبَ جيدْري ومَقْدادْ[44]
طالبين أتشْتيتْ جمعهمُ لَفْدَا   شْحالْ قَطَعتْ فرْقَابْ سلْفهم لَسْيَادْ
يالْيَسلامْ بْكيوْ علْى دْخُولْ وجدَا   دون حربْ غْنَمْها لعدُوْ نالْ لَمْرادْ

أغفلنا عنهم ونُجَبْرْ لكلاب   وابدواْ بْكِدْهُم يرْعَوْ الْوَجْبَ
فتحُ لمسْرَبْ لخدْع كَمْ مَن بابْ   وعْمَاهم ربْنا وطاحُ فالْخَشْبَ[45]
ونْقَهْرُ فالْقتالْ وارضوْ الغَلبَ

غرهُمْ الحالْ وبَرْزُ لقَاو لَعذَابْ   مَن بْطالْ الغربْ فحربْ الوغَى نَعْطَبُ
نابهُمْ المَسْعُور يزُولْ دون كُلابْ   حْوالْهُمْ فالْقتالْ من الدهى نقَلْبُ
الْفنى تلَفْهم على عدادْ لحسابْ   من خرْجْ لبدَنْ أهلَ التنَى تَعْصْبُ
ومن بقَى تاتيه لْوبَ[46] متِيل رَعْدَا   علْى قطارُ تفني من لا يموتْ فطْرَادْ
يسُوطْ فيهْ الصرصارْ[47] يجَيْحُ فلكدَا   يلْتقَى مالتْقا والْقوم من دعى عادْ

يالْيَسلامْ بْكيوْ علْى دْخُولْ وجداَ   دون حربْ غْنَمْها لعدُوْ نالْ لَمْرادْ

يا رب يا كْريمْ يا نعمَ الفرَاجْ   غرّقْ وجلْي مْرَاكْبُ فَغمُوقْ اللّجْ[48]
تَهْنَ من الأرضْ وينقطَعْ لَهْراجْ   وتْعودْ فرْقي[49] لَلْسلامْ وتَطْهَجْ[50]
ويطهرْها الله من لَعْدُ لَسْمَجْ



لا غالب إلا الله

يغيبْ ظُلْمْ الكُفْرْ ونُور لَسْلاَمْ يسْرَجْ   وجنْدْ بَنُو لصفْرْ[51] يبْقَى دلْيل مْحتَاجْ
كيفْ بَنُو يَسْري يبقَى دنَي مْولَّجْ   دلّت اللَّقْطَ ما فيها همَامْ بالتَّاجْ
قال حب يمدَّنْ لقطَارْباشْ تطْهَجْ[52]   ولْا تْنَبَهْ بَشْرَ عيبُ دلْيلْ لْهمْاجْ
كلْ صلُحْ يظَنٌّ عند لَسْلام فَسْدَاَ   كيفْ يرشَدْ من لا رب هدْاه لَرْشَاد
ما نحَلْ بْصار ولا لْحَقْ نَهْدَاَ   فالضْلَلْ عَيمْ معْمي طمْيسْ لَفْئَادْ
يالْيَسلام بكْيوْ علْى دخُول وجداَ   دون حربْ غْنَمْها لعدُوْ نال لَمْرادْ

حْرامْ علْيهْ غرْبْنا يتْمَلَكْ به   أوْ ينْال لَمْرام الْعدْيمْ السَّاهي
رادْ المولى يفْلَسُ ويبْهْدَلْ بيه   ويْسير علْى الدّوامْ للناس مْلاهي
وبْلاهْ فْغربْنا بلْبْلَى ودْواهي

عادْ مزَالْ[53] يشْفُ قْتالْ ما نْوى به   مَن بطْالْ كمْين فَوطَانْ من عفَاها
مَن شرْابْ الحَنْطَلْ ضَرفْ لكْرابْ تسقْيه   غَرْ قَومُ لَعدِيمْ ودْلْتُ فْنَهَا
سارْ بين الدّوالْ مْثَالْ تَنضْرَبْ بيه   لاح نفسُ فَجْمارْ متكْبَ لَضهَا[54]
عليه تزَنْدْ نيرانْ الحرْبْ كل زَنْدا   يَسيرْ فيها جنْدُ مَسْحُوقْ طَيَرْ رمْاد
غَاصْ فالويلْ ولا يلقَى لْكُل نَقدْاَ   وْسَارْ مكسوبْ خْديمْ حقْيرْ قَلْ لَوْغَاد

يالْيَسلام بكْيوْ علْى دخُولْ وجداَ   دون حرْبْ غْنَمْها لعدُوْ نال لَمْرادْ

لو كان الغربْ[55] كانْ مجموعْ الكَلْمَ   يدهي بَدْ وَهْيُ الزرقَا جمْعْ الرُّومْ
لكَن نهلْك من دْعَ مَن قَسْمْ   آويحْ إلّي طغَى وجَا لَسْمَاه يحُومْ
علْيه يَصبْحْ لغْرابْ وصوْتْ البُومْ

طوفان الأقصى



يا لمولى أيدْ هذا لسلامْ بهمامْ … همتُ مصرفْ فالعزْ مجدْ فخيمْ
يرتقى بهْ فعزْ كلْ تنظام[56] … ينذكرْ ما بين الدولْ راسخْ عظيمْ
بيهْ تفخرْ لسلام[57] علـى كلْ ظلامْ … وْكل كفرْ يبقى محقورْ نكدْ دميمْ
بهْ يخصبْ هذا الوقتْ فلهنْ ورغدَا … وبه تركن للجودْ كشوطْ كلْ تمرادْ ظلامْ[58]
صارمْ لحقْ يمهدْ كـلْ حـي مهدَا … ولا يخلّي خرجْ لحدودْ ساطْ فبلادْ
ياليسلامْ بكيو علىْ دخولْ وجداَ … دون حربْ غنمها لعدوْ نال لمرادْ

يهنْ هذْ القطارْ منْ غلبْ العدوْ … ويدومْ هممنا فالهنْ والسطوْ
يطلعْ بدرا لسعودْ فكمالُ والصحوْ … ويلوحْ علىْ القطارْ بسرارْ يضوْ
والعدوْ الئيمْ بقى فالبلوْ

غرْ نجمْ منْ رقى وكانْ ضاوي … ولا بقى لو فالدهرْ ينالُ عزْ سطوْ
فاتْ قبلُ فلغربْ البردْ قيزْ[59] قاوي … ونكسرْ عرشْ بعدْ ظنينْ كلْ قوْ[60]
بعدْ حربْ بهلُ لمغيرْ كساوي … صدهمْ البلا فكلْ دهـوْ
بعدْ خانْ ليمانْ خلاْ وكلْ كعداَ … لا سرورْ فدنيا ولا يدخرْ زادْ
حمقهمْ الكفرْ كلْ حمقْ عداَ … غرهمْ الشيطانْ ولحهمْ فكيادْ
ياليسلامْ بكيو علىْ دخولْ وجداَ … دون حربْ غنمها لعدوْ نال لمرادْ

ما جازْ علىْ لمثيلْ يحكمْ لمثيلْ[61] … فصحيحْ خبارْ كلْ معقولْ ومنقولْ
هاكْ القولْ الصحيحْ يا روي نقلْ … تشهدْ لكْ فيه بالبلغْ هل لعقولْ
ويعرضْ بالكذوبْ منْ قلبُ مدغولْ





كلْ من ينكرَ شمسْ الجوْ حينْ تنْشال[61] يكْذَبْ وقْتْ طلوعْ شرُقْها العالي
باشْ يستعدرَ حين يزْولْ شكْ لخيال يعْودْ سُخْر يا بينْ محْفَل الموالي
غابتْ شموسْ العز عْراتْ روس لطْلالْ ولا بْقى الوقْتْ طلوعْها الجالي
يطْرُدْ ظلام الكفْر الّي قلوبْ صدا تفْيق بعدْ السينْ[63] ومْع الحقْ تسْكادْ[64]
صْوارَمْ الطّغيانْ يصْيرُ جميعْ غمْدَا تعْيشْ لسْلام فالهنا والمْنا ولّوداْدْ
يالْيَسلامْ بكْيو علْى دخُولْ وجداَ دون حربْ غنْمْها لعدُوْ نالْ لمْرادْ

يا علي الملك يا لمتْعَالْ الديّانْ حقَقْ بالجُودْ والفْضَالْ جمْعْ رجانا
انصرُ دين السّلامْ عن جمْعْ الأدْيان وهلّكْ وفْني وجيّحْ جمُوع عدْنَا
يلقَو الذلْ ولمْحَانْ ولْهَنَا

جادْ ربٍ رغْبِ فكُلْ مظْنُون ولاحتْ شموسْ العز نوْرها للعْيان
العْدُ ندمرْ وتَنْفَ وهينْ مدعُونْ وْ لا بْقى يتْخَطَّرْلُ غربْنا فالدْهانْ[66]
كلْ ما كانْ نهبْ لعدْيمْ دونْ قانونْ عادْ للَيَسْلامْ ونُور الهْدَى وليمانْ
نامْ وحلَمْ وتوعَّى بعدْ كل ركْدا[67] صابْ رسْ طَيَحْ مرم فشكْ لحدادْ
قامْ مفزوعْ وزادْ منْ القطَارْ شرْدا[68] وصار يتفكَر مُلْكُ كيفْ كانْ وبدْادْ
يالْيَسلامْ بكْيو علْى دخُولْ وجداَ دون حربْ غنْمْها لعدُوْ نالْ لمْرادْ

لا يجْمعْ يا لئيمْ لمعْدّي لحدُودْ من جارْ علَى القْطارْ بخريقْ العاد[69]
بفْريعْ نوْجدُ ارجعْ نكدْ مردُودْ من طْغ ودْع عن كُل حْداْدْ
ارجَعْ بسوابَقْ اليُوتْ البْدَدَا



اهْلاكْ لعُو هلاك الّي عْليه سَنَّدْ[70] وكُلْ مومَن وَفَ ربّي مْنَى مْرَادُ
وجَبْ علينا حمدْ الاّ تْنَاهْ بَنْعَدْ تْكَلْ فيهْ الوكْلان لَحَصْيَ عْدَادُ
والشكْرْ للْمُلَى لكْريم لَبْس يَنْحَدْ مَن تفضّلْ بكمالْ الجُودْعن عْبَادْ
كل وقْتْ وسَعْ طُول لحياتْ لبْدا وكلْ نفْسْ وْلَحْظَ هُما ذْكَرْ لُورَادْ
فالْمنامْ وسْينَ وزْمَانْ كلْ سَهْدا مَن صمْيمْ المهْجَ وادْخَالْ مير لَجْسَادْ
يالْيَسلامْ بْكيو عْلى دْخُولْ وجداَ دون حربْ غْنَمْها لعدُوْ نال لَمْرَادْ

نْهيتْ بْياتْ حُلْتي ولاَ نَهْاتْ عن فهْمْ الفَهْمين حلْيَتْ معناتي
العَقَلْ كيشْفْ قصدي بالمَقْلاتْ[71] يعرفْ ضْرْبِ صوْبْ ينصرْ حُجَاتي
والجاهلْ ما يلْ دْري لَتْقَاتي[72]

هَاكْ يا روي باشْ اهل التنى تْحَدّثْ من سْغْلَكْ[72م] يسري قولْي فْمِيرْدَاتْ[73]
ابْشَرَتْ الخيرْ لْطَلَبْ فَلْهَا تْقَوَّتْ اتْسَجَعْ الجبَانْ وْلَغْفيل يقْظَاتُ
الْكوَانْ عْلَى قَلْب بلْسْرَارْ بَاحَتْ كلْ ما سْبَقْ فالتَّكْوينْ بيْنَاتُ
رادْ لَكْريمْ يَبْشَرْنا بْنيل لَفْداَ مَنْ حبَالْ الطُّغْيَانْ الأرجَا وْلَسعْادْ
زالَتْ الكْثْرَ وسْعَادْ لْسْلامْ سَعْدا ولاحْ بدْرْ ضاوي بَيْنْ النجومْ وَقَّادْ
يالْيَسلامْ بْكيو عْلى دْخُولْ وجداَ دون حربْ غْنَمْها لعدُوْ نال لَمْرَادْ

واتْمَامْ القَولْ فَالْغَ[74] نختَمْ بَسلامْ عنْ مَنْ عَقَلْ ذكي لْمَعْنَاتي فَاهَمْ
ما فاحْ عْبيرْ كلْ طيبْ عْبَقْ بَنْسَامْ ومْا هَلْ لَمزَانْ بالغَيْثْ السَّاجَمْ
يْعَمْ أهلَ الثَّنا والمَقَامْ الفاخَمْ



بعدْ تختمْ قولي ياحفظُ بتنغامْ — كانْ سالكْ الودْب (75) عَنْ حرُوف أسمْ
قُلْ رُبعْ الكاف وضرْب باقْ تفهامْ — وَزيدْ خمُس الريْنَب لكُلْ عالم (76)
والنسبْ لمشرفْ مَن صيل (77) خير لآنامْ — سنْدِتي لخطْيَ ومصْيَب لجرايمْ
انتهتْ الحلّ فشهرْ فردْ لصيامْ — عام شرق هك لترخها موالمْ
والرسُلْ الهادي لنا جميع سنْدا — فسعتْ الكرب على جمعْ العباد بشْدادْ
كل من عندُ سيدْ المرسلين عمْدا — ما يخافْ فلحشرْ ولا فديق للْحادْ

ياليسلام بكيو على دخُول وجداَ — دون حربْ غنْمها لعدُو نالْ لمرادْ

* * *







شرح بعض الألفاظ

1ـ رابو لصوار: تهدمت الأسوار.

2ـ رصام العز : رسوم العز.

3ـ فزيز : خائف، وضاري يبهز أي تعود النخوة.

4ـ سرها غير التحزيز : تستحق القطع.

5ـ وينب : ينبع ويطلع.

6ـ كفول كفول : قوافل قوافل.

7ـ دغي : حينا، بسرعة.

8ـ يمد رجل : يموت.

9ـ ينضال : ينجو، ويهرب.

10ـ تودّا : كان، أعطي، أدّي.

11ـ يفاج : يفرج.

12ـ ديق : ضيق.

13ـ سجات : لعل معناها سيقت، ومكزرا = مززرة.

14ـ كسرى : لقب ملوك الفرس، والمراد بلاد فارس.

15ـ بمرهف : بمراهفي جمع مرهف أي سيف حاد.

16ـ أي أن العدو ألقي بنفسه إلى حيث الأفاعي والعقارب والساط (أو الصاط) : التّنين.

17ـ يشره : يطمع ويترامى على ما هو لغيره.

18ـ زرد : زرده أي درعه.

19ـ كيحف : أي ينزل ويهبط؛ وتيِّم : تنقلب.



20ـ التفوال : الأفول.

21م ـ سيتل : أسد.

21م ـ يهدّد العدو بأنه سيرى بعينيه شيئا لم يكن يخطر له على بال.

22ـ لقيال : الأقيال.

22م ـ نشو : اشتوى، والمغزل هنا السفود.

23ـ محال : جمع محلة وهي الجيش..

24ـ كَبْرَن : كبرياء.

25ـ عرّش : تمدد وبسط نفوذه.

26ـ حرب : أي درّب جنده وأعدّه

27ـ ماسغ : ما أصغى.

28ـ قصور : قسور أي الأسد.

29ـ ضغاس : اللبأ وهو أول ما يجلب، وفي لحن العامة لابن هشام أدغص وهي كلمة بربرية توجد في المعاجم البربرية.

30ـ خنيس : ذليل، والحزّ : الضيق والمحنة.

31ـ رقاو : عملوا ووضعوا. والزنّار من شارة النصارى.

32ـ سرهم الموت : يستحقون القتل؛ وشداد هو شداد بن عاد.

33ـ المبين أي القرآن المبين.

34ـ وكداو : وأوقدوا.

35ـ سرهم : أي يستحقون.

36ـ غردا : أي قطع الراس.

37ـ لطراد = الطراد والمطاردة في الحرب.

38ـ هذا مثل وصيغته القديمة عند الزجالي رقم1311 : ما عمل العنزى فالجبل الجزار يخرجُ منٍّ.





39ـ الحكر : الحقار والذل، صيل : أصل : سراخ : صراخ الحز : الاحتياج، شور : جهه وناحية، سكد؛ سار في خط مستقيم.

40ـ أهل الثنى : الدين يمدحون.

41ـ وشمن من عقل : وأي عاقل.

42ـ سرت : جرت ووقعت:.

43ـ منبطال : من أبطال.

44ـ حيدرا = حيدرة وهو الأسد ولقب به سيدنا علي ومقداد هو المقداد بن الأسود.

45ـ طاحُ فالخشب : وقعوا في الفخ.

46ـ لوب :الوباء.

47ـ يسوط فيه الصرصار : تهب عليه ريح صرصر.

48ـ فغموق اللج : في أعماق البحر.

49ـ فرقي : افريقيا.

50ـ وتطهح : وتبتهج..

51ـ بنو لصفر هم الروم.

52ـ تطهج : تفرح تبتهج.

53ـ أي ما زال فيما بعد، سيرى بعد.

54ـ أي رمى بنفسه في جمرة لا يخبو لظاها.

55ـ الغرب : المغرب.

56ـ تنظام : نظم

57ـ لسلام : المسلمون.

58ـ كشوط : أوغاد، تمراد : تمرد.

59ـ البردقير : البرتغال.



60. يشير إلى مقتل سباستيان ملك البرتغال في معركة وادي المخازن وَفقدان البرتغال لاستقلاله وعرشه.

61. يشير إلى القاعدة الأصولية التي تقول : ماجرى على المثل يجري على المماثل.

62. تنشال : تذهب وتغرب.

63. السين : السنة.

64. تسگاد : تستقيم

65. يعني أن السيوف تدخل في أغمادها.

66. يعني أن العدو لم يعد يفكر في الهجوم على المغرب.

67. ركدا : ركضا.

68. شردا : شرود أي هروب.

69. بخريق لعاد : أي بخرق العادة.

70. سند : اعتمد

71. بالمقلات : بالمقل أي بالعيون. وأصل المقلة شحمة العين.

72. لتقاتى : لجواهري ودرري.

73. أي من اصغى إليك.

74. فالغ : في اللغة أي في النظم.

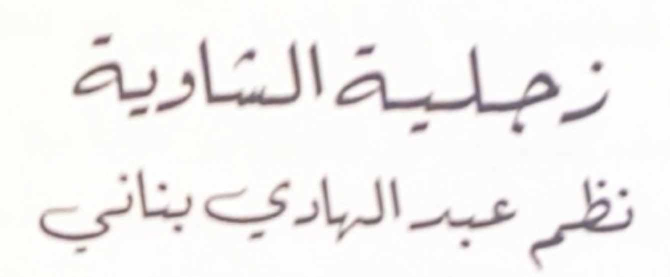
75. الودب : الأباء.

76. رمز لاسمه بحروف الجمل، وقوله ينيب أي يظهر..

77. صيل : أصل.







زجلية الشاوية

نظم عبد الهادي بناني



ـ نعزِّز هذه المختارات بقصيدة تلتقي في موضوعها مع التي قبلها وكان ناظمها عبد الهادي بناني معاصراً لهاشم السعداني وكان ينافسه، وقد ترجم له الأستاذ الفاسي وقال إنه كان يجالس السلطان المولى عبد الحفيظ الذي كان مولعا بالملحون وينسب له فيه ديوان مطبوع، وقال أيضا إنه كان يساجل شيخه الحاج إدريس لحنش، وهو زجال مكثر أحصى له الأستاذ الفاسي فيما قال ـ 141 قصيدة وقد توفي بفاس مسنا سنة 1925م[1].

لقد طبعت هذه القصيدة كالتي قبلها في المطبعة الحجرية بفاس تحت عنوان يشبه عناوين المؤلفات وهو الدرر البهية، في مدح رجال الشاوية وهي تتألف مما يعرف بالدخول وثلاثة عشر قسما يفتتح كل واحد منها بعروبي من ثلاثة أبيات وردمة ولها لازمة تتكرر في آخر كل قسم.

كان سبب نظم هذه القصيدة أن الفرنسيين ظلوا منذ احتلالهم الجزائر يعملون على الدخول إلى المغرب وقد قوى طمعهم بعد حرب إيسلي وكان دخولهم إلى وجدة سنة 1907 ثم إلى الدار البيضاء في السنة نفسها من النُّذر التي سبقت ما سمي بإعلان الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912م.

ولما دخل الفرنسيون إلى الدار البيضاء بدأوا يباشرون بعض الأشغال في الميناء والمدينة وينتشرون في جهاتها مثل مديونة وبرشيد وأحس أهل الشاوية بخطر هذا التدخل الزاحف نحوهم فأجمعوا أمرهم على الوقوف في وجهه ومقاومته وكانت الدعوة إلى الجهاد تصدر من كل جهة فنتج عنها انتفاضة الشاوية التي كبدت الفرنسيين خسائر ذات بال ولكنهم بسلا[illegible]ور وخططهم الحربية الحديثة تمكنوا من دخول سطات وأخضعوا قبائل الشاوية، وفي القصيدة بعض الإشارات إلى

1. معلمة الملحون 2/2: 128.





أحداث هذه الانتفاضة وتنويهات بشجاعة أبطالها والزجال يبدأها بالحمدلة والتصلية والترضية ثم يذكر السبب المباشر لقيام الانتفاضة وهو شروع الفرنسيين إثر احتلالهم الدار البيضاء في مباشرة أشغال الميناء وما كان من خسارتهم وقيام الناس عليهم ويقول إن بداية الحرب كانت خسارة عليهم ولكنهم أتوا بجيوش كثيرة واستولوا على قصبة مديونة وقصبة برشيد وعزموا على أخذ سطات والانطلاق إلى مراكش فواجهتهم مقاومة شديدة وقتل عدد كبير منهم ورجع كيدهم في نحرهم.

ويقول الزجال أن قائدهم درد (الجنرال DURDE) جاح أي هلك وأنه عندهم لا مثيل له وقد خلفه دماد (الجنرال D'AMADE) وقد أطنب الزجال في وصف خسائر العدو وما خلفه في ميدان المعركة من قتلى وما غنمه المجاهدون من أسلحة وذكر أن الألمان أظهروا الشماتة بالفرنسيين وفرحوا بهزيمتهم والتفت الزجال بعد هذا إلى الكلام على وجدة فدعا إلى البكاء عليها واستنهض همم أهل المغرب الشرقي للقيام إلى تحريرها وقال لهم انظروا ما فعل أهل الشاوية ثم عاد إلى مدح هؤلاء.

وقد خُتمت القصيدة بالدعاء للسلطان المولى عبد الحفيظ الذي لقبه هذا الشاعر وغيره من حاشيته بسلطان الجهاد وبعد أن مدحه افتخر في النهاية بنظمه وصرّح باسمه. ونشير في آخر هذا التقديم الموجز إلى أن القصيدة تشتمل على كلمات كثيرة من العامية المغربية فمنها : ناض أي قام وأصلها نهض، بلبطر أي بسرعة، وترنى أي وإذا به، وطاح أي سقط، الاضغان : الخدود والوجوه،، تسكد : استقام، تفافا : اضطرب، گارا : ساحة، شنيار : رايه وعلم وما طلع لو شنيار أي لم يرفع له علم ولم ينجح ولم يصل إلى مبتغاه. ومثل هذا كثير في هذه القصيدة وما قبلها ومما يلاحظ في القصيدة نظرة الاستهانة بالعدو وكثرة السباب والشتم له وذلك نابع من شدة الغضب والغيظ وفيما يلي نص القصيدة مع شرح بعض الألفاظ :



الحَمْد للْغاني لاَ ينَظْروه لَبصارْ   حَمْد ليس يَنْتَهي يا صاح فلعْبارَا
ودنا بالْهادي طَهَ شَرْيق لَنْوار   إيمام لوجُودْ الماحي بازْغ المَنْارَا[1]
الصَّلاتْ عليه من اللّهْ ليلْ ونْهار   والرضَى عن آلُو وأهلُ هل الطّْهارَا
والصحاب الوَدْ بالمطَّهْرين تَطْهار   مَن فناوا الكُفَّارْ سيْاتَل الغْزَارَا[2]
بالجْهاد اشتَغْلُ ومْضَو فيه لعمارْ   سَرْت نَمَدْح فيهم ونْقول بالجْهَار
يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار   بالجْهَادْ فلجْحُودْ خنْازَر النْصَارَا

سبَبْ هذا الفتان فالضِّيْ أديجور[3]   بها نَاسْ لَعْقُولْ لَفْضالْ نخَبَّرْ
ناض الكافَر بالعزم يصنَع بابورْ[4]   يعينْ علْى المون[5] وينقَلْ لحْجَرْ
حَط السَّكَا وسار يخدَمْ ظلْم أُجور   حتّى فات الحْدُود وطْغَى وتْجَبَّرْ

قامْ عليه الهَراجْ وتْفَلَّس وخْسَرْ

مْشا يغيثْ ورْجَعْ قل لَكْنُوس[6] عَجْلاَنْ   جا و جاب العَسْكَرْ ونْوَى يكونْ صاينَ
رتّب العَسَّا[7] باش ينال كُل أَمانْ   خابْ سعْيوا ولقَى لَهْوال والمْحَاينَ
بلْبطَرْ[8] حرْكَتْ لُو من كُل جيه شجُعان   ريتْلُو[9] البْلادْ أعبّواْ[10] الملايَنْ
فيهْ قَتْلوا عدَدَ الاّ خشَوْ مَنْ عارْ   السغَاصْ الظَّالَمْ وقاسْتُ خسْارا[10م]
لِهْ حَلْفوا ثمّ لا ضارْ قدّ ما دارْ   لو يعرَف يفنَوا على الاسلام غَارا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار   بالجْهَادْ فلجْحُودْ خنْازَر النْصَارَا

نـزل ولد الحرام بجنود كـثيـرا   واعمل يدُّ مع هْل الدار البيضا
أنووا يكون لْهم عزو َ(11) ودْخيرا   دخلهم فالزمام(11م) تمثيل فرْيضا
وتَرنْ(12) غير جرْ بهم لَحْصيرا(13)   حتى صاروا يحدثوا هـاذي فـيضا

ولاّ علاّ من العّلات فـرْيضـا
أبداً أيحارب لحرامي كل يوم قْتال   لينْ ما ردْ الرّاسْ فْسَاعْتُ يوْلِّي
غربت شموسوا من بعد الطلوع ونْضال   طاحت سواروا وبْقى فالفْضا مْتلِّي
كل يوم يجيب محلاّ(14) هْبيل لهْبال   جاحْ وبقى فهمومْ مْحَايْنوا مْقَلِّي
نوّضْ(15)السلطان يعينوا وشاع لَخبار   غلّب اللّه الشاويا على النصارا
طاحْ ميْمون الكفرَ(16) كبار وصغار   صـادفُ لمْحانْ ولَفْتانْ ولْخسارا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار   بالجْهَادْ فلجْحُودْ خنْازَر النْصَارَا

كم مَن كافر للرباط ادخل عريان   هذي هانا(17) وليس تشبهها هانـا
فروا وتفرقوا على جمْعَ البلدان   أرهُوط كْثَارْ جات منهم عريانا
عبـادين الأوثان يسهْلوا لَمحـان   والدقْ عْلى الأضغان(18)لَكْشُوطْ(19)عدْانا

فُوقْ نقْيموا علْى الكْوَارَشْ(20) شَعْبانَا(21)





اجتمعت الروم أُقال نكثرو العداد   جمع قاوي ما يتْنَهى ولا يلْوا[22] حدْ
نْحوزّ قصبَتْ مديوناً[23] يطيب لمراد   عاد[24] لحكامْ نقولوا فيدْنا تْسْكَدْ[25]
جاو بالحِيلات أدخلوا لها الفساد   حوزوها وأصبح أوطانها منكَد
زاد فالحين لقصْبَتْ بن رشيد[26] بَطَّارْ[27]   خفْ من رمْشَتْ عينْ أخَفْ مَنْ عمْاراً[28]
جاو بعض الشاويا ينصح الغدّار   خرَّجوه بحِيلاتْ الأنْوَى الكارا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار   بالجْهَادْ فلجْحُودْ خنْازَر النْصَارَا

خرجوا به اللئيم فالْحينْ اللّْمحجْ   ونوى يمشي سريع قاصد مراكش
جهزْ مُونَا وجابْ كل مَا يحتَجْ   وتَرنْ جا على الْمحَاينْ كيفتّش
جْ أوصل لَوْعارْ بين لَخنادَقْ فالفَجْ   دارت به لَبْطال وتْفَافَا[29] ودْهَشْ
وبقى بينَتْهم تالَفْ كيف الوَحْش

صارت القوم تْكزّر فالكلابْ تكزير   ما نفعهم لَعْدا عَداً ولا مْدافَع
نزلوا لمكاحَلْ ذاك النهار لكبير   والمَولِّي عنهم عيَّاوْ مَا يْدافَع
جَاتْ مَنْهم فانْنابْ الخيل كم من يسْير[30]   شُوفْ نجم الدين فبرجْ السعود طالع
دَرْمُوا[31] زادوا للسطات يا لحُضّار   بعد ما قاستْهم مَنْ قَبْلَهَا خسَارَا
زاد عُمَر السكتاني[32] سريعْ غيّار   حوزّ البَنْديراً[33] بالميزْ والشّطاراً

طوفان الأقصى

يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار   بالجهاد فلجحود خنازَر النصارا

اخوْا[34] يامَنْ تسالْ لقْصابي ورْجَع   لهلا يلقيه خير لحْقير الكاشَفْ
وادخَلْ فَجواَهْ[35] بالقهر من بعْد دلْع[36]   نْحطَمْ غرْس ومْاهْ لَحْتَالاَ[37] ناشَفْ
والبس ثوب الحْزان عاجَلْ والتَّقْمَعْ   ما نفعتُّوا قبيح لفعالْ مْناصَف[38]

وارجَعْ كيدُ فنحرْ هوْلُو صادَفْ

جَاحْ[39] درد ما نفْدا عنهم بَامْوال   ولا يوْجَدُو مثل ولْدَ الزِّنى فَبَاريزْ
كانْ لحرامي فالصُّوكا[40] يْدير حْيالْ   مع مْشاكَلْ ونْواعَر حْيَرْ هل الميزْ
خلفوا دماد[41] فْعَوْضُ جميع لَرذَالْ   وليس جاب لْخْبارْعلى ولاد لْحريز
ابدا يقاتل لعدُو ما طلَعْ لِهِ شْنْيارْ[42]   كل يوم يخلّي شطْيَا فوْسْط كارا
مَن مدافع وسلاح كثير ما ينْحْصارْ   والمجَارح والمُوتى ما لْها عبْارا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسرار   بالجهْادْ فلجْحُودْ خنْازَر النصْارَا

أما خلاو منْ كرْارَسْ[43] ذا القرطاس   وما خلاوْ من مدافع ومْهارزْ[44]
وما خلاوْ مَن خْوارجْ[45] في تهَراسّ   وما خلاوْ فالبْطاحْ من كنايز
وما خلاوْ مَنْ شْمارر[46] ما تقاسْ   وما مَن راسْ مَن الكسْدا يتَّفرْز

حينْ بْداتْ البْطالْ فيهم تغْيّر





لو نْظرتِ ما بهم سارْ مَن الأفاتْ　　شْحالْ من يدّينْ ارَجْلين ريت طارَتْ
يا لْهَا مَن صُوكا[47] عدّاتْ كل صُوكاتْ　　في بهاها لعَجْيب هل العقُولْ حارَتْ
يا نْدامَتْهُمْ على فعَلهم لوْ شاتْ　　يا خْسارَتْ قَلْ العِيفَاتْ[48] الشّمَايَتْ[49]
ابقَوْا مليُوحين[50] فْلَفْرَارْ صادْفْ نار　　والهموم الكثْرَ والشُّومْ والْحْرَارا
وزّعوهم لكلاب امَنْ تْسَالْ وطْيار　　كل طرْفْ تفرّقْ وحدْ مْشى الْحَارَا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار　　بالجْهَادْ فلجحُودْ خنازَر النْصَارَا
لبروص[51] على الدوام فيهم تشفّا　　وعليهم قام فِشْط[52] وزْهَى ونْشَطْ
سمعُ لفرنصيص وحْزَن والتّقْفَا[53]　　ومَن عيُون الكَنُوسْ لمفلّس نسْقَطْ
جَرحُوا مُحالْ كانْ بَاقي يترّفَا　　جرْحْ الآلُو طْبيبْ وْلا يَتْخَيَّطْ

لكن كان الخبيث بِلْسانُ شيَّطْ

اشْحالْ ما خوّفنا لكوازطي[54] فجرنان[55]　　كلامُ مردودْ عليه أبهْ ما رْضينَا
كل جَمْعَا[56] يأتي بجريدتوا الخوّان　　بْشي خْبايِر شَلاّ رينا ولاَ درينا
كلها من موبقات الدني الشيطان　　ولْد يبليس فعالوا خايبْا وشْينا
كيخوفنا من لفرانصيس لحمار　　أشْ يرجَى من خير فولّدْ لحمارا
ما قْرا حرُمْا ما عندُ الكلْ توقْار　　ما درْا للصدق الاجاب لُويسارا



يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار بالجْهَدْ فلجْحُودْ خْنازَر النْصَارَا

لُوريتي كيف كان لَحرامي يفرح عْلى وجْداَ منْين حازوها لَكْشُوط [57]

وأصبح ذاك النهار مسرور مطرَّح [58] ليتْ شِعري وَشْ طَازو لَلْمَزلوط

وجدا دار الاسلام صغْ كلام الصّحْ دابَ ربي يردْها مَن دونْ شْروط

وعْدُوها في تْرابْها يَضحَى مخبْوط

وينْ سيدي يحيى [60] سلطانها الأمير ريتْ سرُّ مصباح العارفين ظاهر

وايْنْ الصالحين رْجالها هل الخير وايْنْ السيد عُقْبا راحَتْ الخْواطَر

واشْ ما عارْ عليكُم يا كنوز لفقير مْشاتْ وجدا فحْاكم حازّها الكافر

يا سيوف الوهاب فْجوْ هذْ لَغْيار [61] يا هَلْ العطْفَا والبُرهان ولْيغارَا

وعْدْها خلاَنا تمثيلْ فارْق الدّار غايبين بالهموم عقولْنا سْكَارَا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار بالجْهَادْ فلجْحُودْ خْنازَر النْصَارَا

واجب البكا على دخولك يا وجدا ابكي يا درّت البْها بدموع الدم

دخّولك بْلا محارْبَ لامَتْ لَعْدا دخْلا فالْحينْ بارْدا دُون صْوارَم

هادي شداً وليسْ تشبهها شداّ لكن نرجى الكريم لجليل العالم

يهلَكْ فقْريبْ هذ لجْحيدْ الظالم



جاوبتني بلْسان الحال عنْد لمقال ... قالَتْ العذرا لَوْجيب بْصُوتْ عالي
تاهْ بنو آدم مْعَ القْمَاشْ والمـال ... ولا فْعَلْ باشْ ماءامَرْ ربْنا العالي
فاينْ خيْولي ورجْالي كهولْ وطْفال ... وينْ بْراجي وينْ مدْافعي ومالي
وينْ السكان فْقُربي وكـل جُوار ... ما نظرت فْلَوْرَا من جابتْ يُغْارَا
وين بنْي يزناسن يَاكْ غير لحرار ... واينْ بْني جيلْ أعربان والصحارا[62]

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار ... بالجهْاد فلجحُودْ خنْازَر النصْارَا

نهضوا يا هَلْ الشرق تغْزيوْ فلعدُو ... قومـوا لله كـلكم فساقْ الجدَ[62]
هـذا الكـافـر عنكم ادفـع جَهْدُ ... وعيون القلب ساهيا وغْشَاها رمدْ
قِـوّوا إيمـانكم للحـرب أزيـدُ ... عرفُوا من مات مَنْكم مات مْشْهَدْ

مغفور الذنب ساكن فْجنات الخلد

شف لفضال الشاويا هل النّجاد ... اشْحالْ هذا من شهر مقابْلين للروم
شف لفضال الشاويا فالزّيْادا ... عانهم بْفضلُ رب الورى القيوم
شف لفضال الشاويا فْخَرْقْ عادا ... كل هَزْبَرْ منهم يوم اللّطامْ[64] مَحزُوم
اتشبهوا بهم يا ناس الوفْا ولَسْرار ... فاجهْاد تفوزوا بالعز والتّيِّـارا[65]
سهلُّوا[65م] فالكلاب هل الشقا ولَشرار ... يْـلا أنتم بْغيتوا تبقَواْ فالْعْمارا





يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار بالجْهَادْ فلجْحُودْ خنْازَر النْصَارَا

شوفوا جمع الفحول قام للجهاد يا سعد الِّي بْحَلْهم قام يْجاهد
نصروا دين الاسلام وغزوا الجْحَادْ واصبح لفرنصيس مسقُورْ[66] وناكَد
ما رَوَحْ طايْلا وتْعمى من لَتْمادْ وامدادْ المومنين باقي فَالزَّايَدْ

واطلع بدر الإسلام بنْوارُوا واَقدْ

أشْ رَامَنْ لارا لبْطالْ وقْتْ لقْتال مجرَّد مَن لكساوي غيرْ فالسِّروَالْ
عْلى الخَيول المعتَبرايَا لْفاهَمْ رْجال بالزَّرايَمْ[67] وسْيوفْ حْدَادْ والسَايَل
الأسياد وجوه الجنا شموس لنْجالْ امثِيلْ هاذُو تفخرَ بهُم القَبايَل
جاهدوا فالكافر وسقو له لمْرَارْ رَوْحُوهْ مْيَسرْ[68] في حوَمْت السقَّارا[69]
ماقْراشي هاذي واعماتْ لِهْ لبْصار عَمَّروا من هاذي لَجْحِيدْ لا توْارَا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار بالجْهَادْ فلجْحُودْ خنْازَر النْصَارَا

صولي يا دُرّتْ الجمال الشاويا لك النصرا والأسرار ألعنايا
حَزْتِ لقبولْ والحْسانْ المزيّا لَكْ بقْعا مشرفاً فِكْ مْنايا
اتْغبْطَكْ سايْر المدُون أبادِيا اتبَخْترِ يالْقَاصرْا[71] رُوح حشْايَا
فَحلولْ العز يامرامي وغْنايَا





يا لشاويا فِيك رجال ما تْنُو جَادْ يا لشاويا فَالبَهْزَا[72] مْثِيل الأسُودْ
يا لشاويا مشهورَ افْيُومْ لَعنـاد يا لشاويا تهزم فاللّطْمَام[73] لَحسُود
يا لشاويا يَسبِواْ لَقْراب وبعْـادْ يا لشاويا شرّفْهُم رب لَوَجْـُود
يا لشاويا صول على جميع لَقْطَارْ يا لشاويا بهمْ حلّتْ الْبشارا
يا لشاويا جرْ الذّيـل ليل ونـهار يا لشـاويا نـاسَكْ حَازت التّمارا

يا هل الشَّاوية صولُوا بعَز وسْرار بالجْهَادْ فلجْحُودْ خنْازَر النْصَارَا

يا رب با لرسول وآيات القرآن والزهرا الطاهر ولحسن والحسين
انصر دين الإسلام عن ساير لاديان وانصر يا ذا الجلال جيش المسلمين
واهزم جند الجْحُودْ يا عظيم الشأن نتوسل بك لـك يـا نعم المعيـن

فـرج هذا الهْموم واحمِنا في الحين

ودُومْ سلطاني سيف الحق نور لّحاظْ روح ذاتي لمْجَد مولاي عبد الحفيظ
قام بالجهاد الملِكْ طيب لغراض رايت لِسلام رفعها كاظْمْ الغِيظ
أهمام ولد همام يترك العْدا فْتَبْعاض أشريف علوي بَحْرُ بالمواهب يفيض
به يفخر جيل ورْاَ زهر لحواض قام بشرط الملك الميرْ ناهْض نْهيض
سار سِيرا حسَنا يا لفاهم وناض على شريعت جد وفتح كل تغميض
وَشْ رَا من لاراَهْ على الكشُوط مغْتاضْ والبْطَال تْشالي فالحرب خفّ من فيض



ايحرض المسلمين على الجهاد تَحْراض   لِهْ باع فساير لفْنون واضح عريض
لِهْ لهمام عهُودْ صحْاحْ ليس تُنْقاضْ   إذا يقُولْ يوْاَفي فُوقْ الظّنّونْ ويعْيظْ
كلمتْ مسموعاَ قوت القلوب لمراض   آهْ عني من وحْش بهاه ساقْم مريض
قام بالسنّا والكتاب زال لخْواض   لِكْ فوض أمر يا ذا الجلال تفويض
خذ بيدُ وانصر بَنْدُ المجد يُحفاظ   ادخليّكْ بيمْاَم الأرسال يا لحَفيظ
هاكْ حلاًّ فطْريزْ الفَن با لحُفّاظ   بنت لفكْر أدريسيا تهْدْ لبغْيض
أكثيرت المعاني ومنقحا فللفاظ   يا نديم تغنّي بها وصون لقريض
والسلام نهيبُ ما فَاحْ طيبْ لَزهار   على الاشراف أولاد الزهرا هل الْغارا
قال عبد الهادي يرجى عفو الستار   الذكي لمشوّق للحج والزيارا[74]



شرح بعض الألفاظ

1. بازغ المنارا : مشرق المنارة وهي التي يوضع فوقها السراج.
2. سياتل الغزارا : أسود الحرب والقتال.
3. فالضي اديجور : في النهار والليل.
4. بابور : معناها هنا القطار وتطلق في الغالب على الباخرة وهي تعريب لكلمة Vapeur.
5. المَوَن : الميناء.
6. لگنوس : الأجناس والأمم.
7. العسا : العسس.
8. بلبطر : بسرعة.
9. ريتلو : نهبوا وسلبوا.
10. عَبّاوْ : أخذواوحملوا.
10م. السغاضْ : استغاظ وغتاط، وقاستُ مَسّته.
11. عزو = عزوه أي عمد وسند.
11م. الزمام : السجل
12. وترن : وإذا به.
13. جربهم لحصيرا : يعني خذعهم وغرّر بهم.
14. محلاّ : جيش..
15. نوض : أنهض وأقام.
16. طاح ميمون الكفر : سقط سعده وأفل نجمه.
17. هانا : إهانة.
18. الاضغان : الخدود.
19. الكشوط : الاوغاد.
20. الكوارش : الذين هم كالبهائم.
21. شعبانا : عادة في المغرب وهي قديمة وكانت معروفة في الأندلس كذلك وفيها يتم احتفال الناس واجتماعهم على الأكل والشرب في شهر شعبان.
22. ولا يلو : ولا له.
23. قصبت مديونا : قصبة مديونة معروفة بالقرب من مدينة الدار البيضاء.



24ـ عاد : حينئذ فقط.

25ـ تسكد : تستقيم.

26ـ قصبة بن رشيد : هي اليوم مدينة مشهورة.

27ـ بطار : بسرعة.

28ـ عمارا : رصاصة.

29ـ تفافا : تزعزع.

30ـ يسير : أسير.

31ـ درموا : اندفعوا وتقدموا بجهالة..

32ـ عمر السكتاني : من زعماء المقاومة في الشاوية.

33ـ البنديرا : الراية، وهي كلمة إسبانية bandera.

34ـ اخوا : خرج وانسحب، ولقصا بي : القصبات.

35ـ وادخل في جواه : دخل في غمده أي لزم حده.

36ـ دلع : انتشر في الأرض.

37ـ لحتالا : الحثالة.

38ـ مناصف : حيل ومكايد.

39ـ جاح درد : هلك درد وقتل، ودرد اسم قائد الحملة.

40ـ فالصوكا : في الحملة؛ وقد نوه الشاعر بخططه الحربية.

41ـ دماد : اسم قائد فرنسي.

42ـ شنيار : راية.

43ـ كرارس : جمع كروسة أي عربة.

44ـ مهارز : جمع مهراز (مهراس) نوع من المدافع.

45ـ خوارج : قتلى الكفار.

46ـ شمارر : جمع شمرير أي قبعة، وهي تعريب الكلمة الإسبانية Sombrero.

47ـ صوكه : حمله عسكرية.

48ـ العيفات : جمع عيفة أي شخص وسخ.

49ـ الشمايت : جمع شماته أي شخص حقير.

50ـ مليوحين : مرميين.

51ـ لبروص : الالمان وهي Prusse بالفرنسية وprusia بالاسبانية.





52. فشط : حفلة، وهي كلمة الاسبانية Fiesta.

53. واتّقْفا : شعر بالخزي.

54. لكوازطي : جرائدي يشتغل بالأخبار وهي من الكلمة الفرنسية Gazzette.

55. فجرنان : في جورنال أي في صحيفة وهي من journal.

56. جمعة : أسبوع.

57. لكشوط : الأوغاد.

58. مطرّح : مستريح.

59. وش طازو للمزلوط أي ما الذي دفعه إلى دخول وجدة.

60. سيدي يحيى صاحب ضريح معروف في وجدة ومثله سيدي عقبه وثمة كذلك سدي معافى وسيدي عبد الوهاب.

61. أي نفسوا وفرجوا هذا الكرب، والاستغاثة بأصحاب الأضرحة أمر شائع في قصايد الملحون.

62. بني يزناسن : وبني جيل من قبائل المغرب الشرقي.

63. فساق الجد : في ساق الجد أي على قدم وساق.

64. يوم اللطام : يوم العراك.

65. والتيارا : والنخوة.

65م- سهلوا اي ابدءوا واشرعوا.

66. مسقور : مهزوم.

67. بالزرايم : البنادق.

68. ميسر : مأمور.

69. السقرا : الهزيمة.

70. ماقراشي هاذى : أي لم يحسبها حسابا.

71. القاصرا : الجميلة وقاصرة الطرف : لا تمده إلى غير بعلها.

72. البهزا : النخوة.

73. اللطام الحرب.

74. تجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ محمد القندوسي له قصيدة زجلية كذلك قالها بمناسبة أحداث الشاوية وقد أكثر فيها من التوسل إلى الله أن ينصرالمجاهدين.. انظر مظاهر يقظة المغرب الحديث 2 :497 وترجمته في المعلمة 2 ق 2 ص339.



لا غالب إلا الله

الحمد لله وحده — ولا يدوم الا ملكه

الدرر البهية في مدح رجال الشاوية

الحمد للغاني من انظرو له لبصار — حمد ليس ينتهي يا طالب لعبارا

وثنا بالهادي صفة سر بين لسرار — انجاه لوجود الماحي بازغ المنارا

الصلاة عليه من الله ليل ونهار — والرضى عن الالوا امثل اهل الطهارا

والصحابة الوذ بالمحظي بن لمختار — من قبلنا والكفار رشيا نل الغدارا

بالجهاد اشتغل ومضوا فيه لغمار — نشرح نمدح فيهم ونقول بالجهارا

يا اهل الشاو ويا صولو ابغى وكبار — بالجهاد فلنجهدو دخنا زار النصارا حربه

سببت مزا الفتان والفتن اذ يجوز — بها ناشر العقول لفضال نختبر عروبه

ناض الكافر بالمغرب يصنع جانوز — يعيش على المون وينقل نجز

حط الشكة وصار يخرج كلم اهوز — حتى قبالة الحروب وطغى وتجبر

فاق عليه انتى اخ وتعلش وخسر

فيما يغيب ورجع في الكنوش عجلان — جا وجاب العسكر ونوى يكون طايف 2

ركب العسا باشر نبا لكل اعوان — خاب سعيو ولقى لنوان والحبايب

بلغ حزكت لوم كل جهة شجعان — ربطو البلاد اعتزا المشايخ

فيه قتلوا عند الاخشوم عار — الشغاغ المعلم وفاتت خسارا

لذ حلفوا انهم لادار فزما دار — لو تبعه فيتمشو على الانساق غارا

يا اهل الشاو ويا صولو ابغو ونزار — بالجهاد فلنجهدو دخنا زار النصارا حربه





الزازيـة



ـ تظهر الأدبيات الجفرية في الفترات التاريخية المضطربة والظروف الزمنية الصعبة عندما تسوء الأحوال ويفسد الزمان فتشيع التنبؤات وتتعدد الجفريات.

وإذا كان هذا يوجد خلال التاريخ المغربي والإسلامي على العموم فإنه قد بدا بصورة بارزة في الفترة التي سبقت وصول الفرنسيين إلى المغرب، فقد كثرت القصائد الجفرية، ومن أشهرها ما قاله الفقيه العميري والشيخ ابن عبود السلوي والفقيه الموقت صاحب القصيدة الزازية التي نثبتها في آخر هذا المجموع، وناظمها هو سيدي محمد بن عبد الله المبارك موقت مدينة مراكش، ولد سنة 1241هـ (1825م) وكان من أهل التربية والتصوف والمعرفة واشتهر بعلم التوقيت ومزاولته إلى أن توفي سنة 1330 هـ (1911م) وهو والد ابن الموقت صاحب المؤلفات العديدة المتوفى في 17 صفر 1369هـ الموافق 8 دجنبر 1949م[1].

عرف الموقت الأب بقصائده الجفرية وأشهرها هذه القصيدة التي التزم في أواخر أشطارها حرف الزاي فسميت بالزازية وهو يستهزئ فيها بالفرنسيين الذين نزلوا وقتئذ بالدار البيضاء والشاوية وتوجهوا بأنظارهم إلى مدينة مراكش ويتنبأ بهزيمة فرنسا، ولما كانت هزيمتها في الحرب العالمية الثانية[2]، قال بعض المغاربة يومئذ إن ذلك هو ما تنبأ به صاحب الزازية وللموقت جفرية أخرى يصف فيها أحوال ذلك الوقت[3].

وفيما يلي نص الزازية[4] مع شرح بعض ألفاظها :

1ـ انظر ترجمته في معلمة الملحون 2/2 :271

2 ـ القصيدة : 349.

3ـ انظر عرضا لمضمونها في أطروحة القصيدة : 349.

4ـ نقلا عن العدد الثاني من سلسلة ديوان الملحون للملحوني ص : 74.



أسايلني انفيدك ابكافر باريز[1] لستافد كن عايق واتبع الغرزا[2]
سكان الغرب ظنهم عباد الويز[3] فيهم اللي يبيع دينو بالخبزا[4]
بالظن الخاسر الجريم انوى گليز[5] يبني فيه القصور ويقابل لگزا
ويضالي عل القوم بالويز و الهميز حتى يلقى ايدير فالبهجا خنزا[6]
طمع المحال حين جا وبغى لكنيز فالغرب يشيط له كزا بن كزا[7]
لا صولى للجريم بالهزا تدبيز و لا عمرو ايدز فالغرب المغزا[8]
غروا يبليس فالحشا زحمو بنغيز وحكمت الله جابت فين الترزا[9]
اغواه ادخول ويهران بلا تجهيز ودخول اتوات ما لقى من فيه اغزا[10]
يعتاد الغرب هكداك ايكون اعجيز اينال امناه فيه ويدرك البرزا[11]
سطوت الله داير بالغرب اركيز وحصنت اصوارم المخازي بالفرزا[12]
محمول على الفضال ما يرضى تحييز انتجيه على الشراك ولو بالدبزا[13]
مهمو البطال يخشى باگنزيز بالعتف ايدوز فيه بفراخ الوزا[14]
شالا بسفاهتو ولا نفعو تخبيز و لا جرحو ارتاح من حر القرزا[15]

---

1. يعني الفرنسيين أي الفرنسيس حسب التعبير القديم.
2. عايق : منتبه، اتبع الغرزا؛ من المثل المغربي القديم : إذا كنت خراز، اتبع الغراز، راجع الجزء الثالث من هذا التآليف ص 161.
3. عباد الويز : يعني الفرنسيس والويز Louis اسم قطعة ذهبية نقدية.
4. أي بأبخس الأثمان.
5. گليز : جليز، وهو اسم جبل وجهة في مدينة مراكش.
6. يضالي : يواصل ويعطي بلا انقطاع والويز : عملة فرنسية، والهميز : ما يعطي لكبار القوم من الرشاوي، والبهجا : مراكش.
7. لكنيز : الكنز، ايشيط : يفضل، يبقى، كزا بن كزا : أي لا شيء.
8. يدز : يجز، والمعنى أن الفرنسيس لن تكون له في المغرب صولة ولا دولة ولن ينتفع منه بشيء.
9. فالحشا : في الحشا، بنغيز : بالنغز، فين الترزا : أين يرزأ ويهلك.
10. أي أن الفرنسيس لم يجد مقاومة تذكر في وهران وتوات.
11. تعجيز : عاجز، البرزا : البروز والظهور.
12. اركيز : ركائز.
13. الدبزا : لكمة، معركة.
14. أكنزيز : قزم، مهمو = ما همه أي أن المغرب لم يعبأ بالأبطال فكيف يعبأ بالأقزام.
15. شالا : هدد وأقبل مهاجما، وفرزا : هي لا شيء في اصطلاح أهل الكارطة.



لا غالب إلا الله

امْضَاتْ أيَّامْ بَانْ فيها كان ارْميزْ[1] ... فِيديه اتْشانَكْ ونُغْلَبْ بالغَمْزَا[2][3]
اليُومْ اضْحَى يسْيرْ عَنْدُ أولَادْ احريزْ ... فَالقبطا لازْمْ فْعَمْرُ يَتْعَزَّا
لُو كَانْ الْقَى يزوكْ فيهود امزميزْ ... وَلاَ عَنْدْ الكَنُوس فَالْبَرّْ يَتَّخْزَا[4]
مْثَلْ فَارْ الخَلاَ إلى خلاَّ كرزيزْ[5] ... ومْشاعَنْدْ الْمشَاشْ امْصَيَّدْ لَعْزَا
اللَّهْ اللَّهْ قَتُلْتْ ورمِيتْ الفَرْزِيزْ[6] ... أوْرَايَامَا انْخَافْ تُوصَلْنِي حَزَّا
لَلَّهْ الْحَمْدْ مُلْكَنا نُورْ ايبريزْ ... مَوْرُوثْ مَنْ السَّلَافْ دَايَمْ فَمْعَزَّا[7]
اللَّهُمَّا ابْجَاهْ مَنْ فَلْكُونْ اعْزِيزْ ... طَه نُورْ لَكْوانْ ولْيُوتْ الْبَهْزَا[8]
وَهْلُ وتْبَاعَتُو هَلْ المَجْدْ أتْمْيِيزْ ... وَجْمِيعْ اهْلْ السْرَارْ وَدْرِيس وكُنْزَا[9]
تَجْعَلْ لَفْرَا نْصِيسْ مْثَلْ البَرْ تْقِيزْ ... ايغْنَمْ فالْبْلاَدْ مَنْ بِه اسْتَهْزَا[10]
مَنّْ هَدِ مَا يفْلَتْ عَنْفُ مَنْ لكْريزْ[11] ... فَالقَرْجُوطَا ارْجْعَتْ لَلْكَافَرْ لَزَّا
هَذَ الگَاعا اصْفَاتْ مَا تَحْتَجْ تَغْييزْ[12] ... وَضْحَى حبْلْ العَگيدْ مَرْخُوفْ الْكُرْزَا[13]
صْبَحْ الْكَافَرْ ابْحَرْبتُو مَخْرُوبْ افْطِيزْ ... سِيفْ الْقُدْرَى فْسَرْتُو طَعْزُو طَعْزَا[14]

---

1. ارميز : أي قوي، في يده مقدرة وهذا من كلام أصحاب لعب الورق(الكارته).
2. اتشانك : أوراق لا قيمة لها. (في لعب الورق).
3. الغمزا : الغمزة وهذا من أساليب أصحاب لعب الورق أيضا.
4. امزمز : بلد معروف في جهة مراكش كان فيه اليهود ومثله دمنات، ويزوك : يحترم ويلتجئ.
5. كرزيز : ركن. والمشاش : القطط.
6. الفرزيز : الأطفال، والحزا : الشدة.
7. السلاف : الأسلاف.
8. ليوث البعزا : لعله كما يقال في الفصيح : أسود الشرى. البهزا : العزة والغلبة.
9. الإشارة إلى المولى إدريس الأزهر وأمه كنزة.
10. الإشارة إلى ما وقع للبرتغاليين في وقعة وادي المخازن.
11. لكريز : شدة الحبل، القرجوطا : الحلقوم، لزا : اختناق.
12. االكاعا : القاعة، تغييز : دراس معاد.
13. مرخوف الكرزا : مرخي العقدة.
14. طعز : طعنه.





هَكْ الْغُزْ الزْقِيقْ فالْموهُوبْ اغْرِيزْ   مَغْزُولْ افْسَاعَتْ الْغزاَ مَن ثَلْثْ اجْزاَ
لاَ تَعْبَا بَالْهِيزْ وَلاَ بَتْخَرْبِيزْ[1]   فَالْغَرْبْ اللِّي اقْوَى ايرُدْ بَالْوَكْزاَ
سَبَّقْ الْبَا وُحَمَّلْ الرَّا بَعْدْ الْمِيزْ   وُبَالْيَا اكْمَالْهُمْ تُوخِيرْ الْهمْزا[2]
هَدَا تُوهِيبْ مَنْ اقْصَى قَلْبْ الْهَبْرِيزْ[3]   مُوقِتْ الْبْلاَدْ عَنْوان رَمْزاَ
خُذْ وفْخَرْ عَلَى الْعَدَا مِيزْ أُتَرْمِيزْ   وَفْهَمْ بَنْجَابَتْ الَعْقَلْ كَيْفْ التَجْزاَ
السَّرْ إلَى اخْفَاكْ شُفْ ارْبَابْ الْمِيزْ   والتَّقْوَى مَا بْقَوا فْتَقْوَاسْ الرَّزَّا[4]

ولاَ تَلْقَاهْ حَايْزْ ومُولْ الْقَزَّا[5]

1- التخربيز : الكتابة التي لا تقرأ ويقال أيضا : التخرميز والوكزا = الوكزة : الضربة بجمع اليد،
2- الهبريز : من معانيها في الفصيح الذهب الخالص
3- ب ريء.
4- تقواس الرزّة : تدوير العمامة.
5- ربطة العنق وكانت لليهود والنصارى.





جفرية

لسيدي لحسن أوعلي





ـ ختمت الجزء الرابع من هذا التأليف بجفر للكفيف الزرهوني، وهو واحد من ثلاثة أجفار شاعت بين الموريسكيين في غرناطة وجهاتها، وهي تشتمل على تنبؤات بما سيقع في آخر الزمان وورد فيها أن الإسلام سيعود إلى الأندلس، وقد كانت تلك الأجفار مما بعث الأمل في نفوس أولئك الموريسكيين الذين قاموا بثورة في جهات غرناطة وهي الثورة التي دونها المؤرخ الإخباري مارمول، وقد أورد في كتابه ترجمات لتلك الأجفار قام بها الموريسكي ألونسو القستلي بأمر من المسؤولين عن محاكم التفتيش، ومنها ترجمة جفر طوق الحمامة للكفيف الزرهوني[1].

وقد اقتضى تنسيق مادة هذا الجزء الخامس أن نختمه بجفرين من الأجفار التي ظهرت قبل إعلان الحماية الفرنسية في المغرب..

فأما أحدهما فهو القصيدة الزازية المشهورة ولاسيما لَدَى المراكشيين، وناظمها هو موقت مدينة مراكش في وقته الفقيه الموقت الأب وقد سقناها آنفا.

وأما الجفر الثاني فينسب إلى من اسمه سيدي لحسن أوعلي وفي كتاب القصيدة للأخ الزميل الدكتور عباس الجراري حلٌّ لنظم هذا الجفر ونثر لشعره وسرد لمعظم أبياته[2]. وقد ترجم الأستاذ المرحوم محمد الفاسي لصاحب هذا الجفر وبدأ الترجمة بقوله : «ورد في كناش الشليح ص 73 ما يلي : من كلام سيدي لحسن أوعلي رحمه الله. وذكر عروبيا طويلا فيه 36 بيتا وتذييله».

ولعل المقصود بالشليح هو الأستاذ عبد الله الشليح رئيس جمعية هواة الملحون بمراكش، وبعد أن ذكر الأستاذ الفاسي أول القصيدة وآخرها

1ـ راجع ما كتبناه هناك.
2ـ القصيدة : 351.





الذي فيه تاريخ نظمها وهو عام 1274هـ قال : «وفي هذه الجفرية تنبؤات أولها لعام «احضاش» ولا يمكن أن يكون إلا عام 1311 وآخرها (أي آخر التنبؤات) عام 74 حيث قال : «ريح النصر في عام ربعة والسبعين[1]» أي موافق 1954م - 1955م ثم قال : «فإذا كانت هذه القصيدة غير مزورة وكتبت قبل الحوادث المذكورة فتكون إحدى الغرائب»، وقد استدرك بعد هذا قائلا : «بعد التأمل ظهر لي أن هذه القصيدة الجفرية منحولة، وذلك لأن الخط للشيخ محمد بن عمر المراكشي فلعله هو الناظم ونسبها لهذا الشيخ الذي لا أعرف عنه أدنى شيء ولم أكن سمعت به من قبل»[2].

وفي القصيدة ذكر لدخول الفرنسيين إلى بلاد توات :

نيران توات شاعت في ساير لرضين   حركت فكيك حرها وصل السودان

وهذا كقول الموقت في الزازية :

اغواه دخول وهران بلا تجهيز   ، ودخول توات مالقى من فيه غزا

وفي القصيدة أيضا ذكر لدخول الفرنسيين كذلك إلى وجدة والدار البيضاء :

وعلى وجدة مع البيضاء متفقين   ناس التصريف كافة قالو بلسان

يسعد من هو مقابل وقتو والدين   حتى باتي الفرج ويكمل السلوان

وفيها أن الأجفار أخبرت بوصول الفرنصيس إلى المغرب :

يا أسفا الحق يبقى أو بين   خبرو به لجفار يغبا ليس يبان

1ـ يعني عام 1374هـ.

2ـ معلمة الملحون ج 2 ق 2 ص 177، وقد أثبت الباحث عبد الرحمن الملحوني ولد الشيخ ابن عمر هذه القصيدة منسوبة إلى سيدي لحسن اوعلي. انظرها في العدد الثاني من سلسلة ديوان الملحون له.





من لام وفا ونون وصاد وسين   إلى وصلو لفرنسا يبعد لحسان

وثمة شبه بين هذه القصيدة وبين القصيدة الجفرية المنسوبة إلى الشيخ الأكحل التي سبقت الإشارة إليها[1].

إن الشعر الجفري قديم في المغرب، ومعظمه من قبيل الأراجيز كأرجوزة المنجم عبد الواحد الضبي القرطبي الذي عاش في آخر القرن الثاني الهجري وقد تحدث المؤرخ ابن حيان حديثا طويلا عن هذا المنجم وساق خبره مع أمراء بني أمية وذكر أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن بقتله مع ما كان من إيثاره واجتبائه له[2].

وأما أرجوزته فقد ظلت مرجعا لأهل الحدثان حتى عهد الموحدين[3]، وممن نسبت إليهم أشعار جفرية عبد الملك بن حبيب[4] وابن عبد ربه[5] وابن الحنَّاط[6] وابن مرانة السبتي الذي ذكر ابن خلدون في المقدمة أن له قصيدة في الملاحم على روى الراء قال: «وهي متداولة بين الناس وتحسب العامة أنها من الحدثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا أنها مخصوصة بدولة لمتونة لأن الرجل كان قبل دولتهم، وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من موالي بني حمّود وملكهم لعدوة الأندلس»[1]. ومن الملاحم أو القصائد الجفرية

---

1. راجع ما تقدم ولنا أن نتساءل عما إذا كانت القصيدتان نظمتا بعد السنوات والأحداث المشار إليها فيهما.
2. المقتبس، السفر الثاني: 403 – 406.
3. الاستبصار: 111 ونظم الجمان: 145.
4. نظم الجمان: 144.
5. نفسه.
6. نفسه





المغربية التي ذكرها ابن خلدون قصيدة تسمى التّبعية وهي من المتقارب على روى الباء ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين قال : والظاهر أنها مصنوعة[2].

ومن هذه الملاحم التي ذكرها ابن خلدون أيضا[3] وابن عذارى[4] ملحمة اليهودي ابن النغريلة وهي زجل تبلغ أبياته نحو الخمسمائة ذكر فيها قرانات دلت على دولة الموحدين، ومنها قصيدة من عروض المتقارب على روى الباء في حدثان دولة بني أبي حفص وتنسب لابن الآبار وهو غير ابن الأبار المشهور، وقد وقف ابن خلدون بالمغرب على ملحمة أخرى في دولة بني أبي حفص، وذكر أيضا ملحمة أخرى منسوبة إلى من سماه بالهوشني ونص على أنها ملعبة على لغة العامة في عروض البلد وأورد أولها ثم قال : «وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى».

وتعتبر ملحمة طوق الحمامة للكفيف الزرهوني التي نشرناها في الجزء الرابع من هذا العمل أقدم ملحمة عامية تامة وصلت إلينا ونحن نقدر أنه ظهرت ملاحم وجفريات بعدها في عهود الوطاسيين والسعديين والعلويين، ولكننا لا نعرف منها إلا ما يوجد في الرباعيات المنسوبة إلى سيدي عبد الرحمن المجدوب المتوفى سنة 976 هـ وفيها يذكر آخر الزمان والقرن 14 وقد عاش في زمن يدعو إلى القول في الجفريات إذ كان البرتغاليون يحتلون السواحل المغربية والسعديون يجاهدون من أجل إخراجهم منها ثم كان القرن 14 فظهرت الجفريات التي أشرنا إليها ومنها الجفرية المنسوبة إلى سيدي لحسن أو علي وهي التي نوردها مع شرح بعض ألفاظها فيما يلي :

1ـ المقدمة 170.
2ـ نفسه.
3ـ نفسه.
4ـ البيان المغربن قسم الموحدين :228.



لا غالب إلا الله

بِسْمْ اللّه الرَّحيمْ الجَليلْ المُعين — مَفْتَاح الْبَادْيين بِسْم اللّه اعْـوان

وَالصَّلاَة والسلام عَن جدّ الحسْنين — قَبْلَتْ اَرْواحْ لآجْل كَانت لَكْوَانْ

أبُو آدم تَـاجْ جَمْـعْ الـمُرْسَـلِين — إمَام الأنْبِيَاءْ أحْمَدْ سَيِّدْ عَدْنَانْ

بَعْدْ اصلاَتْ الرَّسُولْ نْوَضَّحْ بْالتَّبْيين — شَرْطْ السَّاعَة فَاللُّوحْ[1] ضْيِفْ حَلْ في الزَّمَانْ

بِهَا لَجْفَارْ خَبْرُو بَاقِي سِنِين — نَظْرُوهَا فَاللُّوحْ بَاحو بَالْكُتْمَانْ

في عَامْ احْضَاشْ[2] يَظْهَر تَخَوَاضْ العين — وَتَفْرْعَنْ الجَّران[3] في جَمْيعْ الوِيدَانْ

تَقْوَى الذّيَابْ والسَّبْعْ يَرْجَعْ مسْكين — حَتَّى مُوكَا[4] تْصُول عن جمعْ البِيزَانْ

وْهَلْ الرَّفْعَة تَخْمَدْ بَعْلا مَنْ هُو شين — نَاسْ الرَّتْبَة تْعُودْ خَافْضَة بَعْد الشَّانْ

يَا أسَفِي الْحَق يَـبْقَى أُوبِيين — خَبْرُو بِهْ الْجَفَارْ يَغْبَالِيسْ[5] يبَانْ

مَنْ لاَمْ، وَفَاءْ ورا، وَنُونْ. وصَادْ، وسِين[6] — إلَى وَصَلُو الْغَرْبَنَا بَعْدْ الْحَسَانْ

لِهْ إشَارَة فِي عَامْ وَاحَدْ وعَشْرِينْ — مَنْ مِيمْ وَنُونْ زدْنَا والزَّايْ بْبَيَانْ

يَاتي بَدْوي عْلَى يِدْيه يفْرغْ لَخزين[7] — فَقَدْ الْفَضَّة إيَّام حَرْفُ الْفَاءْ في كْفَانْ

قْبَلْ مَنْ اعْدَادْ في ثمنيا والتَّسْعين[8] — يْلِيه ضَوّطِيرْ مَقْصُوصْ الجُنْحَانْ

نيرَانْ اتْوات شْعلَتْ فِي سَايرْ لَرْضِيين — حَرْقَتْ فِكِيكْ حَرّهَا وصَلْ السُّودَانْ

تَخْرُج لَحْرُوكْ عَامْ ثْمَنْيَا وَ الرَّبْعِين[9] — تَكْثَر لَهْوَالْ مَعْ شَدَّاتْ لَفْتَانْ

وِيضيقْ الْعِيشْ عَلْ التَّاجَرْ والمَسْكين — ويتْولاَوْ الحكَّام الْقُومْ الطُّغْيَانْ

تَرْجَعْ الْقُلُوبْ قَاسْحَا مَنْ بَعْدْ اللِّين — يْحَرَاجُو هَلْ الْمَالْ وِيكْثَرْ النِّينَانْ

وَ مَا يُوقَعْ عَامْ رَبْعَة وثْلاَثِين[10] — بَعْدْ الشّـدَّة عَنْ جَمْـعْ البُلْـدَانْ

تَدْمَعْ الْعُيُونْ عَامْ سَتَّة والْخَمْسِين[11] — وَتْمُوتْ النَّاسْ بِينْ شَعْبَانْ ورَمْضَانْ

طوفان الأقصى



يَظْهَرْ بشَارْ عَامْ تَسْعُودْ أو سَتِّين[12]   فيهْ البُشْرَى تبَانْ مَا بَاقِي كتْمَانْ
ريحْ النَّصْرَاْ عَامْ ربعَة والسَّبْعِين[13]   جَابُو لجْفَار فيهْ يرْتَاحْ الوَلْهَانْ
يَطْلَعْ نَجْمُ لاسْلام مَا بَيْنْ الفَجْرَيْنْ   يَصبَحْ نُورُو شْريقْ في سَايَرْ لُوطَانْ
وَعْلَى وَجْدَةَ مَعَ البَيْضَاءْ مَتَّفْقِينْ   نَاس التَّصْريفْ كَافَّة قَالُو بلْسَانْ
يَسْعَدْ مَنْ هُو مقَابَلْ اوقَاتُو والدِّين   حَتّى يَاتي الفرَح ويكمَلْ السَّلْوَانْ
آتَى لِنَا شرِيفْ مَتْقَلَّدْ سَيْفِين   أتَى لِنَا هِيبْتْ جْمِيعْ الطُّرْقَانْ
أتَى لِنَا شْريفْ عَزّ المَضْيُومِين   في يَدُو حَرْبَى تَحرَقْ العْدَاَ في البْدَانْ
أتَى لِنَا شْريفْ نُورُو مَنْ نُورَيْنْ   يَمْلَكْ تُونَس وَمَاحْدَاهَا مَنْ سُكَّانْ
هَابْ النَّصْرَاْ لِهْ ربّْ العَالَمين   يَخْبَرْ دِين العلُوجْ وَ الرُّومْ ورُمَانْ
تَرجَعْ لِهُودْ في ازمَانُو مذْلُولِين   يَهْلَكْ حبْرهُمْ ويفْتَنْ الرَّهْبَانْ
اللهُمَّ بْحَقْ تَكْوين الكَوْنِينْ   وْالحَق الاّ يَحُوطْ بُوصَافُوا إنْسَانْ
وبْحَقْ العَرْشْ والقَلَمْ بحَقْ الدِّين   وبْحَقْ لاَ يَنْتْهَى جَهَرْ أو كُتْمَانْ
وُ بالكُرسِي وجَاه مدَاحْ السَّبْطِينْ   وبْحَقْ اللُّوح وَ النَّعيمْ مَعَ رَضْوَانْ
وَبْحَقْ الفَائزين بَسْرَارْ التَّمْكين   وبْحَقْ السَّاجْدِين للَّة الدِّيَانْ
نْهَايْتْ ما برْزْ به هذا النظَمْ حصين   مُولاه يقُولْ : ياالسَّامَعْ ذا العَلْوَانْ
تَاريخُو عَدَّ شَارْ يافَاهَمْ تَبْيِينْ   بَاحَتْ به الجْفَارْ نَتْهَى في شعْبَانْ

«أتَتْ إيامْ الهْنَا زَالَتْ لاحْزَانْ»





شرح بعض الألفاظ

1ـ يعني اللوح المحفوظ.

2ـ يعني عام 1311هـ وفي هذا العام توفي السلطان مولاي الحسن وتبدّلت الأحوال بالمغرب.

3ـ الجران : الضفادع.

4ـ موكا : البوم.

5ـ يغبا : يخفى.

6ـ أي لفرنصس.

7ـ لعل الإشارة إلى فراغ بيت المال بسبب ثورة بوحمارة واضطرار المولى عبد العزيز إلى أخذ قرض من انكلترا وفرنسا علم 1321هـ (1903م) وكانت له عواقب وخيمة.

8ـ لعل الإشارة إلى مؤتمر مدريد عام 1298 في عهد المولى الحسن ولعل المقصود في الشطر الأخيرمن البيت.

9ـ لعل الإشارة إلى حوادث الظهير البربري في عام 1348هـ.

10ـ لعل الاشارة إلى الحرب العالمية التي اشتد أوارها عام 1334هـ (1915م).

11ـ لعل الاشارة إلى الحوادث التي كانت عام 1956(1937).

12ـ لعل الإشارة إلى زيارة الملك المنعم محمد الخامس إلى فرنسا عام 1369(1950) ومطالبته بالاستقلال.

13ـ لعل الإشارة إلى تباشير عودة الملك المنعم محمد الخامس وإعلان الاستقلال.





خاتمة

تم بحمد الله هذا العمل التراثي المتواضع الذي عنونته بتاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، وهو عنوان وضعته على سبيل التقريب إذ أن العمل وإن أرَّخ للأمثال والأزجال منذ ظهورهما إلى عصرنا فإنه يشتمل أيضا على منتخبات عديدة تمثل مختلف العصور من هذين النوعين من أنواع التراث الشعبي في الغرب الإسلامي، ومن هنا يعتبر العمل كذلك انطلوجيا كبيرة في هذا الموضوع ولو أنها فيما يخص الأزجال تقتصر على بعض ما يتعلق منها بالأحداث.

وهو من جهة أخرى ينتمي إلى تحقيق النصوص ومايقتضيه من ضبط وشرح وتعليق وتقديم ونظرا لكثرة المادة فقد اضطررت إلى الإيجاز في ذلك كله ولو توسعت لكان العمل أكبر مما هو الآن.

وفي العمل كذلك مضمون تاريخي يتمثل في المادة التي جمعتها حول شخصية أبي الحسن المريني، وقد يقول البعض إن جمع المادة هو الغالب، في هذا العمل ولعلي أجيب بأن الجمع أساس لما سواه وهو يسبق مرحلة التحليل، وربما يلاحظ آخرون أنني أدرجت بعض الترجمات الأجنبية وألحقتها بأصولها العربية، وقد بررت ذلك بأن بعضها يتعلق بأعمال شخصية لي وأنه يمثل وضربا من الزمالة الأكاديمية نموذجا من التعاون العلمي بين المحقق والمترجم، وأما بعضها الآخر فقد وجدته مترابطا في المصادر التي نقلت منها، وتكاد هذه التراجم تكون توضيحا لتلك النصوص العامية القديمة فضلا عن دلالتها التاريخية وأرجو أن لا أكون مخطئاً في هذا الاجتهاد.



ولا أستبعد في الأخير أن يوجد من يقول ما لنا وللاشتغال بهذا الكلام العامي وهذا رأي غير رشيد، وقد كان سببا في ضياع معظم التراث العربي العامي الذي كان دائما في الثقافة العربية قسيما للتراث الخاصي كما نبه على ذلك الجاحظ وابن خلدون وغيرهما.

وقد افتتحت هذا العمل بكلام في الموضوع لابن قتيبة وأختمه بدعاء ورد في آخر كتاب الأمثال المولدة (العامية) لبديع الزمان الهمداني قال:

«اللهم إنا نسألك قولا بالحق وعملا به، وطلبا للرشد وانتهاء إليه، ونعوذ بالله من أن ينقلنا الهزل عن الجد، وأن يستحوذ علينا الباطل دون الحق، وأن نهرب إلى دعة الجهل وطلاوته عن تكلف العلم ومرارته، وأن يغرنا ثناء الناس علينا عن أنفسنا ويغلبنا حسن ظنونهم على يقيننا وأن نقنع من العلم بالتظرف ونرضى من الأدب بالاسم ومن الفهم بالرسم».





فهرس الأعلام *

---

* هو حسب ورود العلم أول مرة.















فهرس الأماكن*

---

* هو حسب ورود المكان أول مرة.



لا غالب إلا الله
طوفان الأقصى



مصادر ومراجع

ديوان ابن قزمان

المغرب في حلي المغرب.

السفينة لابن مباركشاه

العاطل الحالي والمرخص الغالي ، لصفي الدين الحلي.

عدة الجليس، ومؤانسة الوزير والرئيس ، لابن بشرى.

حدائق الأزاهر ، لابن عاصم.

المقتطف، من أزاهر الطرف ، لابن سعيد.

نفح الطيب ، للمقري.

نثير الجمان ، لابن الأحمر.

نثير فرائد الجمان له أيضا.

الإحاطة ، لابن الخطيب.

البيان المعرب ، لابن عذارى.

الذيل والتكملة ، لابن عبد الملك.

التكملة ، لابن الآبار.

المقدمة ، لابن خلدون.

درة الحجال ، لابن القاضي.

العبر ، لابن خلدون.

اللمحة البدرية ، لابن الخطيب.

المعجب ، لعبد الواحد المراكشي.

الاستقصا ، للناصري.

ألف ليلة وليلة ، تحقيق محسن مهدي.

الديوان المطرب، في أقوال عرب إفريقية والمغرب ، لسونك.

كتاب أدباء مالقة ، لابن عسكر وابن خميس المالقيين.

ديوان ابن الزقاق.

نفاضة الجراب ، لابن الخطيب تحقيق أحمد مختار العبادي.



نفاضة الجراب، تحقيق السعدية فاغية.

أزهار الرياض ، للمقري.

نيل الابتهاج ، لأحمد بابا.

نظم الجمان ، لابن القطان.

رحلة القلصادي ، تحقيق محمد أبو الاجفان.

جنة الرضى ، لابن عاصم . تحقيق صلاح جرار.

روضة الاعلام ، لابن الأزرق تحقيق سعيدة العلمي.

حديقة الأزهار ، للغساني، تحقيق محمد العربي الخطابي.

كناش الحايك (طبعة الأكاديمية).

الزجل في المغرب ـ القصيدة لعباس الجراري.

من وحي الرباب ، جمع الحاج عبد الكريم الرايس.

الإتحاف الوجيز ، لمحمد بن علي الدكالي.

مظاهر يقظة المغرب الحديث ، لمحمد المنوني.

ديوان سيدي الاخضر بن خلوف.

مادة الملحون في دائرة المعارف الإسلامية.

كتاب الاستبصار، لمؤلف مجهول.

وصف إفريقيا ، لليون الإفريقي ترجمة حجي والأخضر.

المحاضرات لليوسي ـ تحقيق حجي والشرقاوي.

تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.

تاريخ الجزائر العام ـ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي.

معجم كولان للعامية المغربية (الطبعة المغربية).

تكملة المعاجم العربية ، لدوزي.

الدارجة المغربية ـ مجال توارد بين الأمازيغية والعربية ؛ لمحمد شفيق.

رحلة ابن بطوطة.

عجائب الآثار ؛ للجبرتي.

الإتحاف الوجيز ؛ لمحـ ... ي ... ـكالي.

مظاهر يقظة المغرب الحديث ؛ للفقيه المنوني.

ديوان ابن زمرك.





المقتبس، لابن حيان (السفر الثاني).

معلمة الملحون، لمحمد الفاسي.

خلاصة تاريخ تونس، لحسن حسني عبد الوهاب.

مجلات

مجلة دعوة الحق.

مجلة الأندلس.

مجلة تطوان.

مجلة هسبريس.

مجلة المناهل.

مجلة البحث العلمي.

المجلة الافريقية

مراجع أجنبية

CHRESTOMATHIE MAROCAINE : Gerges. s. Colin
Todo Ben Quzman : Emilio Garcia Gomez











الثمن : 80 درهما